القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الحادية والثلاثون العدد 9603 الأحد14 تموز (يوليو) 2019 – 11 ذو القعدة 1440 هـ
Volume 31 - Issue 9603 Sunday 14 July 2019

ثلاء اليمنية: مدينة تاريخية إسلامية حصينة

عصام محفوظ ومسرح القول المضاد

حوار: بشير صفصاف القائد السابق للبحرية الليبية

الجزائر: أزمة متواصلة وزوبعة من التشكيك
02

«تنظيم الدولة»: محطات الصراع من أجل البقاء
28

صورة «سيلفي» تكشف حالتك الصحية والنفسية
32

السودان: انتصار أول ومخاطر كامنة

حققت انتفاضة الشعب السوداني نصراً مبدئياً تمثل في توصل قوى إعلان الحرية والتغيير إلى مسودة اتفاق نهائي مع المجلس العسكري يشمل الإعلان السياسي والإعلان الدستوري، كما يحدد تنظيم الحكم في المستويات السيادية والتنفيذية والتشريعية. ورغم أن هذه الخطوة جرت بوساطة أثيوبيا ومنظمة الوحدة الأفريقية، فإن اضطرار المجلس العسكري إلى القبول بها كان مرده التظاهرات العارمة التي عمت أرجاء السودان احتجاجاً على مجزرة فض الاعتصام وتثبيت إرادة الشعب في التغيير الديمقراطي. وهذا لا يلغي احتمالات المخاطر الكامنة، وأولها انقلاب العسكر على بعضهم أو ضد الاتفاق.

(حدث الأسبوع، ص 8ــ15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

الجزائر: الأزمة تراوح مكانها وإسلامي على رأس البرلمان وسط زوبعة من التشكيك

الحراك ما زال مشتعلا وسلطة الأمر الواقع ما زالت تريد فرض الأمر الواقع، والمؤسسة العسكرية تحاول الحفاظ على الحل الدستوري.

الجزائر – «القدس العربي»: كمال زايت

دخل الحراك الشعبي في الجزائر أسبوعه الـ 21 والأزمة تراوح مكانها، فلا شيء تغير في المعادلة المعقدة، فالحراك ما زال مشتعلا يرفض الانطفاء أو الانكفاء، وسلطة الأمر الواقع ما زالت تريد فرض نفسها، والمؤسسة العسكرية تحاول الحفاظ على الحل الدستوري، وعلى المخارج التي يمكن من خلالها الوصول إلى حل للأزمة السياسية القائمة، من دون أن تصل إلى إقناع كل الأطراف، الأمر الذي يؤجل الحل إلى حين، خاصة وأن ولاية الرئيس المؤقت عبد القادر بن صالح انتهت رسميا في التاسع من تموز/يوليو رغم أن المجلس الدستوري أفتى بمواصلته مهامه على رأس الدولة حتى تنظيم الانتخابات وتسليم السلطة إلى الرئيس المنتخب، إلا أن الفتوى تعرضت لانتقادات كثيرة، وهي ضعيفة السند. تحولت الكتابة عن الأزمة السياسية إلى تكرار وإعادة للكلام الذي قيل ويقال منذ أسابيع، فالوضع العام في البلاد ما زال يقف عند النقطة ذاتها، والانسداد الحاصل يسير بالبلاد نحو التطبيع مع هذا الواقع الذي يصبح عاديا يوما بعد آخر، لكن هذا لا يمنع أن هناك بعض المتغيرات، فالأسبوع الماضي عقدت ندوة ضمت جانبا من المعارضة ومنظمات ونقابات وجمعيات وناشطين منتدى الحوار الوطني، وهو المنتدى الذي قاده الوزير السابق والمعارض عبد العزيز رحابي، وهي أول مبادرة حوار جدية من طرف المعارضة، التي قررت التحرك وعدم ترك الساحة شاغرة، وخرجت الندوة بأرضية تتضمن عدة نقاط، مثل الشعب هو صاحب السيادة ومصدر جميع السلطات وفقا للمادتين 7و8 من الدستور، وأن بيان أول تشرين الثاني/نوفمبر 1954 هو المرجعية الموحدة في إقامة الدولة الجزائرية وأن الوحدة الوطنية ثابت مقدس، والانتخابات القانونية الحرة والنزيهة هي السبيل الوحيد للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها، مع رفض كل أشكال الاستبداد والسلطة المطلقة، كما أصر المشاركون في الندوة على احترام الحقوق والحريات كما نصت عليه قوانين الجمهورية والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان واحترام التعددية الحزبية والنقابية وحرية العمل الجمعوي وحرية الإعلام العمومي والخاص، وأن الجيش هو مؤسسة دستورية تتمثل مهامها الدائمة في المحافظة على الاستقلال الوطني والدفاع عن السيادة الوطنية وعن وحدة البلاد وسلامتها الترابي، ورفض أي تدخل أجنبي في الشؤون الداخلية للبلاد تحت أي شكل من الأشكال.

وقدم المنتدى عدة اقتراحات مع التأكيد على تثمين الحراك الشعبي واستبعاد رموز النظام السابق، وفتح الحقل السياسي والإعلامي واحترام مبادئ القضاء العادل والحقوق والحريات الفردية والجماعية، وتشكيل هيئة لتسيير هذا الحوار تتكون من شخصيات وطنية مشهود لها بالنزاهة والمصداقية والأهلية العلمية وتتمتع بقبول شعبي واسع، ويختار أعضاؤها في إطار توافقي بين أطراف الحوار مع استبعاد رموز النظام السياسي الفاسد والحوار مفتوح على كل الوساطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المنخرطة والمرافقة للهبة الشعبية والشباب والشخصيات المواكبة للثورة السلمية وإنشاء هيئة وطنية لتنظيم الانتخابات والإشراف عليها وذلك في إطار اتفاق سياسي معتمد من خلال حوار وطني سيد، تكون مهمتها «الإشراف على جميع مراحل العملية الانتخابية» وأن هذه الهيئة يجب أن تتشكل من شخصيات توافقية معروفة بكفاءتها ونزاهتها وحيادها، وأنه يجب أن ينتخب أعضاؤها من طرف نظرائهم، على أن يكون هؤلاء الأعضاء متحررين من أي انخراط حزبي وألا يحوزوا على أي ولاية انتخابية جارية ولا عضوية حالية في أي هيئة تنفيذية، كما يتم اختيار شخصية توافقية لرئاسة هذه الهيئة، ويتم انتخاب نواب للرئيس وأمين عام.

واقترحت الأرضية التوافق على فترة مدتها 6 أشهر تفضي إلى انتخابات حرة وتعددية تمكن الشعب من ممارسة سيادته كاملة، شرط تعديل قانون الانتخابات، وقانون الإعلام في بنوده المتعلقة بالانتخابات، وتجميع وتوحيد النصوص القانونية المتعلقة بالانتخابات ضمن الإطار القانوني للهيئة.

وأكد أصحاب الارضية على أنه يقع على عاتق الرئيس المنتخب بكل حرية تجسيد مطالب الشعب السيد في التغيير الجذري للنظام من خلال إصلاحات سياسية ودستورية تكرس الديمقراطية الحقة وبناء دولة القانون والحريات والمؤسسات الشرعية، أما فيما يتعلق بالمؤسسة العسكرية فدورها سيكون مرافقا في المرحلة المقبلة، ومع دعوتها إلى المساعدة على حل حل الأزمة وتحقيق الانتقال الديمقراطي وذلك باحترام الإرادة الشعبية والتجاوب مع المطالب المشروعة للثورة السلمية والهبة الشعبية.

تحذيرات قائد الجيش

الفريق أحمد قايد صالح نائب وزير الدفاع قائد أركان الجيش تحدث هذا الأسبوع مرة أخرى، وجاء خطابه مليئا بالتحذير والوعيد ولم يأت بأي بارقة أمل من أجل حل الأزمة القائمة، فقد أكد أن الشعارات التي تردد في المظاهرات، وتدعي أن هناك حكما عسكريا، هي نتاج أفكار مسمومة أملتها دوائر معادية للجزائر، نافيا أن يكون من تم توقيفهم في إطار قضية رفع علم غير العلم الوطني سجناء رأي، وأن الشعب الجزائري لا يمكن خداعه بهذه الألاعيب.

وجدد التأكيد على أن «الانتخابات الرئاسية التي نعتبرها مفتاحا حقيقيا للولوج إلى بناء دولة قوية ذات أسس سليمة وصحيحة، دولة تعمل قيادة الجيش بكل إصرار على ضمان بلوغها في ظروف آمنة ومستقرة» على الرغم من العقبات التي يحاول الرافضون للسير الحسن لهذا المسار الدستوري الصائب وضعها في الطريق، على غرار رفع شعارات كاذبة ومفضوحة الأهداف والنوايا مثل المطالبة بالدولة المدنية ورفض الدولة العسكرية.

وذكر أن «هذا العهد الصادق الذي أصبح الوفاء به، يقلق أتباع العصابة وأذنابها إلى درجة أنهم باتوا يقومون بحملات تشكيك معروفة المرامي، في كل عمل تقوم به المؤسسة العسكرية وقيادتها النوفمبرية، وفي كل جهد يقوم به كل مخلص لهذا الوطن، حيث تبنوا من أجل ذلك نهج الدعوات الصريحة إلى رفض كل عمل بإمكانه الإسهام في حل الأزمة، معتقدين أنهم بإمكانهم الإفلات من قبضة القانون».

وحذر قائد الأركان من سماهم بـ «العملاء» قائلا: «إننا نحذرهم شديد التحذير، بأن الجزائر أغلى وأسمى من أن يتعرض لها ولشعبها، مثل هؤلاء العملاء الذين باعوا ضمائرهم وأصبحوا أدوات طيعة بل وخطيرة بين أيدي تلك الدوائر المعادية لوطننا. إن تحذيرنا هذا يمليه علينا، صلب الصلاحيات المخولة لنا وتستوجبه طبيعة المهام النبيلة والحساسة التي تشرف قيادة الجيش على تحمل وزرها، هذه المهام الحيوية التي تعتبر المحافظة على السيادة الوطنية وصيانة الوحدة الترابية والشعبية للجزائر، وديمومة أمنها واستقرارها، بمثابة حجر زاويتها».

مفاجأة عرفها البرلمان الجزائري الذي انتخب رئيسا جديدا لغرفته الأولى (مجلس الشعب) بعد أخذ ورد ومد وجزر، فحزب السلطة الأول، جبهة التحرير الوطني أراد الاحتفاظ بالمنصب لنفسه، لكنه لم يجد من يرشحه لخلافة معاذ بوشارب الذي استقال تحت الضغط، سوى أمينه العام محمد جميعي، وهو أحد الذين تحولوا إلى سياسيين بالمال، فقد ترشح على رأس قائمة حرة وأصبح نائبا في البرلمان عن مدينة تبسة، وبسرعة ضمه عبد العزيز بلخادم الأمين العام السابق لجبهة التحرير الوطني إلى الحزب، في إطار فتحه الباب أمام أصحاب المال.

بيدرسن يحل عقدة الأعضاء الستة في اللجنة الدستورية: أربعة للروس واثنان للأمم المتحدة

تل الحماميات

تم التوافق على رئاسة مشتركة للجنة الدستورية بين المعارضة والنظام، وميدانياً استعادت الميليشيات الروسية والنظام السيطرة على تل الحماميات ولم تتمكن فصائل المعارضة من تثبيت نقاط تمركزها.

منهل باريش

أكد مصدر مقرب من فريق المبعوث الدولي إلى سوريا غير بيدرسن أن معضلة «الستة أعضاء» قد حلت بشكل نهائي مع روسيا. على أن «تسمي موسكو 4 أعضاء من المستقلين وممثلي المجتمع المدني فيما يبقى 2 يسميهما بيدرسن». وهو مخالف لتصريح الناطق باسم الهيئة العليا للتفاوض يحيى العريضي الذي قال إن الأمم المتحدة ستختار أربعة أسماء بينما يختار النظام اسمين.

وأضاف المصدر لـ«القدس العربي»: «تم التوافق على البروتوكول الإجرائي (القواعد الإجرائية) والذي ينص على رئاسة مشتركة للجنة الدستورية بين المعارضة والنظام. وأن يحصل أي بند في مسودة الدستور على موافقة 75 في المئة من أصوات أعضاء اللجنة الدستورية. وأن يشكل القرار الدولي رقم 2254 لعام 2015 مرجعية لعمل اللجنة. بحيث يضمن إنجاز دستور خلال فترة 6 أشهر وانتخابات رئاسية خلال 18 شهرا. ويصار في النهاية إلى إقرار المسودة الدستورية من قبل اللجنة الدستورية الموسعة التي تحظى بتمثيل شعبي كبير، حسب كلام المصدر.

ميدانيا، استعادت الميليشيات الروسية وميليشيات النظام السيطرة على تل الحماميات شمال محافظة حماة السورية بعد يوم من خسارتها إثر قصف عنيف لم يتمكن خلاله مقاتلو فصائل المعارضة من تثبيت نقاط تمركزهم بسبب صغر مساحة التل التي تعقد في العاصمة الكازاخية نور سلطان. ورافق لافرنتيف نائب وزير الخارجية الروسية سيرغي فيرشينين. والتقى المبعوث الروسي مع وفد تركي ترأسه المتحدث الرسمي باسم الرئيس التركي، إبراهيم كالن. ونائب وزير الدفاع، يونس امرة قره عثمان أوغلو ونائب وزير الخارجية التركية، سادات أونال والمسؤول عن الملف السوري.

وذكرت وزارة الخارجية الروسية في بيان لها أن المسؤولين «ناقشوا الوضع في إدلب في ضوء تصاعد التهديد الإرهابي في منطقة خفض التصعيد وضرورة ضمان حماية المدنيين وكذلك العسكريين الروس والأتراك».

وأشارت الوزارة إلى أن اللقاء تناول «تبادل الآراء بشكل موسع حول ملف التسوية السياسية للأزمة السورية، مع التركيز على استكمال عملية تشكيل اللجنة الدستورية وإطلاق عملها، بموجب قرارات مؤتمر الحوار الوطني السوري في سوتشي وقرار 2254 لمجلس الأمن الدولي».

وذكر البيان أن الطرفين بحثا أيضا التحضيرات لعقد لقاء دولي جديد ضمن «صيغة أستانا» (روسيا، تركيا، إيران) حول سوريا، مطلع شهر أب/أغسطس المقبل، في عاصمة كازاخستان، نور سلطان حسب ما نقلت وكالة «سبوتنيك» الروسية.

وعلمت «القدس العربي» من مصدر عسكري مقرب من أنقرة أن لافرنتيف «لم يشر إلى استمرار العمليات العسكرية في إدلب وانما قال إن العملية العسكرية المحدودة قد حققت هدفها وضمنت أمن بعض المناطق في سهل الغاب».

على الجانب الروسي فقد أعلن نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف يوم الأربعاء الماضي أن اجتماع صيغة أستانا للمحادثات حول سوريا سيعقد يومي 1 و2 آب (أغسطس) المقبل.

وأضاف في تصريحات أن «موعد الاجتماع محدد ومتفق عليه مع كل الأطراف المعنية التي قد تشارك في هذه الجلسة».

وعلق المسؤول الروسي حول اللجنة الدستورية قائلا: «هناك أفكار محددة وملموسة تفتح المجال لنتفق بالشكل النهائي على تشكيل اللجنة الدستورية والثلث الأخير منها». متابعا في حديث لـ«سبوتنيك» «نطالب بممثلين للمجتمع المدني هناك اقتراحات محددة حول أسماء للمرشحين وحول أسلوب اتخاذ القرار، ونحن أجرينا مشاورات مع بيدرسون في موسكو، وبعدها توجه إلى دمشق ليلتقي مع وزير الخارجية السوري وليد المعلم».

وتزامن كلام بوغدانوف مع جولة يقوم بها المبعوث الروسي بين طهران وأنقرة ودمشق وبيروت التي انضمت إلى قائمة المدعوين إلى مسار أستانا بصفتها مراقبا. وترغب موسكو بإشراكها بمبادرة الرئيس فلاديمير بوتين حول إعادة اللاجئين السوريين إلى سوريا، حيث لجأ إلى لبنان قرابة مليون سوري يعانون مضايقات كبيرة وخطابا عنصريا تتبناه أطراف سياسية بعينها وعلى رأسها التيار الوطني الحر الذي يتزعمه وزير الخارجية اللبنانية جبران باسيل.

من الواضح أن مسار أستانا ما زال مستمرا وأن التصعيد سيبقى مستمرا وأن رسائل القصف والعمليات العسكرية ستبقى مستمرة ولن تتوقف. حيث أصبح المسار حكم ضرورة للأطراف الثلاثة الضامنة بسبب ارتفاع حدة الخلاف مع أمريكا وتعقد الملفات معها.

باختصار

26 قتيلاً في هجوم لحركة الشباب على فندق في كيسمايو جنوب الصومال

مقديشو - قُتل 26 شخصاً على الأقل وأصيب 56 آخرون بجروح في هجوم شنّه الناشطون الإسلاميون في حركة الشباب على فندق في مدينة كيسمايو الساحلية في جنوب الصومال، بعد حصار استمر 12 ساعة وانتهى صباح السبت.
وبين القتلى صحافية كندية صومالية أثار موتها غضبا كبيرا.

وفد من المخابرات المصرية يجتمع بالرئيس الفلسطيني

رام الله – اجتمع وفد من جهاز المخابرات المصرية، السبت، مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس، في مقر الرئاسة الفلسطينية برام الله وسط الضفة الغربية.
وبحث الوفد مع الرئيس «عباس» ملف المصالحة الفلسطينية بين حركتي «فتح» و«حماس» حسب مصدر في الرئاسة الفلسطينية.
ولم يعرف بعد مزيد من التفاصيل حول ما دار في الاجتماع.

جماعة الإخوان: لم يثبت علينا يوما أي مساس بأمن الكويت

إسطنبول – قالت جماعة الإخوان المسلمين، السبت، إنه لم يثبت عليها يوماً أي مساس بأمن الكويت أو استقرارها.
جاء ذلك في بيان لها تعقيبا على إعلان السلطات الكويتية، الجمعة، ضبط خلية تابعة لجماعة الإخوان المسلمين، قالت إنها هاربة وصدرت بحق عناصرها أحكام قضائية في مصر.
وقال الجماعة، في بيان، إنها فوجئت ببيان وزارة الداخلية الكويتية يتحدث عن إلقاء القبض على عدد من المواطنين المصريين العاملين هناك واصفاً إياهم بأنهم «يشكلون خلية إرهابية من الإخوان المسلمين».

تركيا توسع حملتها ضد حزب العمال الكردستاني شمال العراق

اسطنبول – ذكرت وزارة الدفاع التركية أمس أن أنقرة وسعت حملتها العسكرية في شمال العراق ضد من يشتبه أنهم أعضاء بحزب العمال الكردستاني المحظور.
وكان الجيش التركي قد بدأ حملته في أيار/مايو الماضي.
وأظهرت قناة «تي.آر.تي» الحكومية التركية مقاطع فيديو لمدفعية تقصف ما يزعم أنها أهداف للحزب.

متحدث عسكري ينفي تسليم ميناءي المخا والخوخة لقوات سعودية

عدن – نفى متحدث عسكري يمني، السبت، ما تداولته وسائل إعلام عن تسليم القاعدة العسكرية بميناءي المخا والخوخة، غربي اليمن، إلى قوات عسكرية.
جاء ذلك في تصريح المتحدث باسم القوات المشتركة لتحرير الساحل الغربي في اليمن، العقيد وضاح الدبيش.
وأوضح أن وحدات من القوات المشتركة في الجيش اليمني ما زالت تؤمن الميناءين وأنه لا صحة لأنباء تسليمهما لقوات سعودية.

عزل قاض باكستاني على خلفية إدانة رئيس الوزراء السابق شريف

إسلام أباد – عزلت السلطات الباكستانية قاضيا كبيرا بعد صدور مقطع فيديو يعترف فيه بأنه تعرض للابتزاز لإدانة رئيس الوزراء السابق نواز شريف.
وقال وزير العدل فاروق نسيم في مؤتمر صحافي أمس إنه تم إعفاء القاضي ارشاد مالك، الذي أصدر حكما بالسجن سبع سنوات بحق شريف في كانون الأول/ديسمبر 2018 بناء على اتهامات بالفساد، من منصبه.

أحزاب وشخصيات جديدة تتصدر المشهد السياسي التونسي

الباجي قائد السبسي

مشروع تعديل القانون الانتخابي هو الحل الذي رآه من هم في الحكم صالحا لإقصاء كل من نبيل القروي وعبير موسى عن دائرة المنافسة في الانتخابات المقبلة.

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

تفيد آخر استطلاعات الرأي في تونس لمعرفة نوايا التصويت في الانتخابات التشريعية والرئاسية التي ستجري في تشرين الأول/أكتوبر المقبل تقدم صاحب قناة «نسمة» التلفزيونية نبيل القروي على جميع منافسيه المفترضين في هذا الاستحقاق الديمقراطي. كما تفيد تقدم حزب نبيل القروي الجديد المسمى «قلب تونس» على الجميع بما في ذلك حركة النهضة التي بقيت لفترة طويلة تحتل الصدارة في نوايا التصويت في الانتخابات التشريعية التي تجرى بالتوازي مع الرئاسية.

ولعل ما جعل القروي يحظى بهذه الشعبية التي فاجأت الكثيرين هو إصراره على الاعتناء بالمشاكل الاجتماعية في قناته التي يقبل التونسيون على مشاهدتها بأعداد كبيرة على مدار السنة. بل أكثر من ذلك فقد حول أحد برامجه إلى منبر لجمع التبرعات وتحويلها إلى فقراء وضعاف الحال وهو ما ساعده كثيرا على كسب قلوب المواطنين في الجهات الداخلية والفقيرة.

وتواصل بدورها عبير موسى رئيسة الحزب الدستوري الحر احتلال المراتب الأولى، حيث جاء حزبها في المركز الثالث بعد حركة النهضة بالنسبة للانتخابات التشريعية وهي التي تبنت خطابا راديكاليا إقصائيا للإسلاميين رافضا للتعاون معهم. وتمجد موسى زمن بن علي وتعتبره عهدا مزدهرا وأن بن علي قد أطيح به بفعل مؤامرة دولية وليس ثورة ولا بد في رأيها من محاكمة كل من كان طرفا في التآمر على أمن الدولة خدمة للأجندات الخارجية.

في المقابل فإن الدساترة «المعتدلين» الذين كان يمثلهم حزب المبادرة الدستورية الديمقراطية برئاسة كمال مرجان الذي اندمج مع حزب «تحيا تونس» الذي يرأسه رئيس الحكومة يوسف الشاهد يحتل المرتبة الرابعة في نوايا التصويت في الانتخابات التشريعية. ويبدو أن خطاب الاعتدال والتوافق مع الإسلاميين لم يعد يستهوي الدستوريين مع تجربة الباجي قائد السبسي وراشد الغنوشي وحشر رئيس الجمهورية في الزاوية والانقلاب عليه بمعية رئيس الحكومة.

الحل في الإقصاء

ولعل مشروع تعديل القانون الانتخابي الذي صادق عليه مجلس النواب وينتظر ختم رئيس الجمهورية هو الحل الذي رآه من هم في الحكم صالحا لإقصاء كل من نبيل القروي وعبير موسى عن دائرة المنافسة في الانتخابات المقبلة. فالفصل 42 مكرر الجديد من هذا القانون الانتخابي المتعلق بإقصاء نبيل القروي ينص على أنه «لا يقبل الترشح للانتخابات التشريعية لكل شخص أو قائمة تبيّن للهيئة الانتخابية قيامه أو استفادته خلال الـ12 شهرا التي تسبق الانتخابات بأعمال تمنعها الفصول 18 و19 و20 من المرسوم عدد 87 المتعلق بتنظيم الأحزاب السياسية» أو «تبيّن قيامه أو استفادته من الإشهار السياسي».

أما الفصل المتعلق بإقصاء عبير موسى فقد نص تعديل القانون على أنه يمنع من الترشح للانتخابات من لا يحترم النظام الديمقراطي ومبادئ الدستور والتداول السلمي على السلطة أو يدعو للعنف والتمييز والتباغض بين المواطنين أو يمجد سياسات الديكتاتورية وممارسات انتهاك حقوق الإنسان. حيث عرف عن عبير موسى تمجيدها لنظام بن علي وسخريتها من النظام الجديد ومن دستور سنة 2013 الذي أسس للجمهورية الثانية وبالتالي فقد سن القانون على مقاسها تماما مثلما كان يفعل بن علي نفسه لإقصاء خصومه على غرار أحمد نجيب الشابي وغيره.

وفي هذا الإطار يرى الناشط الحقوقي والسياسي التونسي صبري الثابتي في حديثه لـ«القدس العربي» أن حكام اليوم في تونس وفي نظام «ديمقراطي» يمارسون الممارسات ذاتها التي كان يمارسها سابقا نظام بن علي الذي يصفونه بأنه نظام ديكتاتوري. لا شيء تغير في تونس إذن، حسب الثابتي، لأن المتضررين من نظام بن علي يمارسون سياساته نفسها وهو ما يجعل معارضتهم لحكمه سابقا محل تساؤل، هل كانوا فعلا يعارضونه من أجل تكريس دولة الحق والقانون وتكريس نظام ديمقراطي حقيقي؟ أم كانت المعارضة فقط من أجل الحصول على السلطة أو على نصيب منها للاغتناء وتحقيق المنافع؟

ويضيف: «أن استطلاعات الرأي الأخيرة تثبت الفشل الذريع لمنظومة الحكم الجديدة في تونس التي ملت الناس شعاراتها السياسية الفضفاضة مقابل عجزها عن تحقيق الرفاه للمواطن. فما فائدة الديمقراطية والبطون خاوية والطبقة الوسطى مسحوقة والمواطن يعاني الأمرين من أجل معيشته اليومية؟ أتوقع شخصيا أن يتغير المشهد السياسي في تونس في الانتخابات المقبلة مع وجود مليون ونصف المليون ناخب جديد مسجلين أغلبهم من فئة الشباب الذي لم يعايش صراع بن علي مع الإسلاميين ولا يهمه بالمرة بقدر ما تهمه معيشته اليومية والحياة الكريمة التي يحلم بها».

في المقابل تعتبر الناشطة الحقوقية التونسية آمنة الشابي في حديثها لـ«القدس العربي» أن نتائج استطلاعات الرأي وإن كانت فعلا انعكاسا لحالة اليأس من الطبقة السياسية الحالية إلا أن ما هو أكيد أن النتائج ستتغير مع اقترابنا من الموعد الانتخابي. إذ سيلعب المال السياسي، حسب محدثتنا، دورا بارزا في تغيير موازين القوى لصالح الأحزاب التي تتلقى تمويلات من الخارج والأحزاب المحاطة بحزام من كبار رجال الأعمال الذين يدفعون لها بسخاء دفاعا عن مصالحهم.

وتضيف: «تشهد الانتخابات التونسية عديد الاخلالات ولا تحترم المعايير الدولية للانتخابات الحرة والنزيهة ومن ذلك العنف الذي سلط على بعض الأحزاب في 2011 و2014 لمنعها من عقد اجتماعاتها وكذلك المال السياسي الذي يأتي من الخارج والداخل ويمس مبدأ المساواة في الحصول على التمويل. وأخيرا تم تنقيح القانون الانتخابي قبيل فترة وجيزة من إجراء الانتخابات، وهذه الاخلالات هي نوع من أنواع التزوير الذي لا يقتصر فقط على التصريح بنتائج مخالفة لما تضمنه الصندوق».

الجهود الأوروبية تسفر عن انفراج «ملغوم» في الأزمة بين واشنطن وطهران

يبدو أن طهران حصلت على تعهد فرنسي بحماية الأوروبيين للاتفاق النووي وطلبوا من طهران الحذر بصدد ناقلة النفط الإيرانية ووعدوا بإنهاء الأمر قريباً.

بارجة بريطانية في مضيق هرمز

نجاح محمد علي

من المقرر أن يقوم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بزيارة هامة قريباً إلى طهران في إشارة لافتة إلى نجاح جهود مبعوثه الخاص كبير المستشارين في قصر الإليزيه السفير إيمانويل بون الذي زار طهران يومي الثلاثاء والأربعاء في محاولة لإنقاذ الاتفاق النووي من الانهيار، وتهيئة مناخ مناسب لإيجاد حوار بين الولايات المتحدة وإيران.

التسريبات القادمة من طهران تتحدث عن انفراج مقيد بمدى التزام الأطراف الأوروبية بدورها في تنفيذ الاتفاق النووي أو خطة العمل المشترك الشاملة، وما يمكن أن يصدر عن الإدارة الأمريكية التي صعدت من لهجتها وهددت على لسان الرئيس دونالد ترامب بعقوبات مضاعفة على إيران على الرغم من أنه واصل إرسال طلبات باستعداده التفاوض والحوار المباشر وجهاً لوجه تمهيداً لإيجاد علاقات دبلوماسية طبيعية.

وقد تعهدت طهران للمبعوث الفرنسي بأنها لن تبادر إلى المزيد من خطوات تخفيض التزامها بنبود الاتفاق خصوصاً في شأن زيادة نسبة تخصيب اليورانيوم إلى 20 في المئة وإعادة تشغيل أجهزة طرد مركزي كانت قد عطلتها قبل إبرام الاتفاق بالإضافة إلى إدخال مفاعل أراك للماء الثقيل لإنتاج البلوتونيوم مرة أخرى، لكن طهران لن تفعل ذلك بدون مقابل خصوصاً وأنها تبدو الوحيدة من باقي أطراف خطة العمل المشترك الشاملة التي تنفذ التزاماتها بعد خرق واشنطن للاتفاق وهو يدفع إلى انهياره بالكامل، وفي ضوء تراخي الدول الأوروبية (فرنسا ألمانيا بريطانيا) في العمل بالتزاماتها وفق الاتفاق.

وقيل في هذا السياق إنه تم الاتفاق على أن تفعل الدول الأوروبية نظام إنيستكس للالتفاف على العقوبات الأمريكية بشرط أن يضمن هذا النظام حصول إيران على أموال النفط لشراء ما تشاء هي من بضائع ومعدات وبالعملة الصعبة (اليورو مثلاً) بمعنى أن تحل عملة أخرى محل الدولار في البنوك السيعة الأوروبية التي وافقت على الانضمام إلى هذا النظام المصرفي لشراء النفط الإيراني كما كان قبل انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق. وقد أبلغت كبير مستشاري الرئيس الفرنسي أنها لا تمانع في إجراء مفاوضات ثنائية مباشرة مع الولايات المتحدة أو متعددة بانضمام وزير الخارجية الأمريكي إلى الاجتماع المقرر يوم 15 من هذا الشهر لوزراء خارجية (ألمانيا فرنسا بريطانيا الصين روسيا) وإيران لبحث الاتفاق النووي، إذا رفعت الإدارة الأمريكية العقوبات وأوقفت لغة التهديد.

وقال الإيرانيون للضيف الفرنسي إن كل الخيارات مطروحة على الطاولة ومنها خيارا المفاوضات بعيداً عن لغة التهديد والضغوط، والحرب الشاملة إلى أبعد حد إذا انزلقت الحالة الراهنة إلى صدام عسكري بعد احتجاز البحرية الملكية البريطانية ناقلة نفط إيرانية في مضيق جبل طارق، واستمرار ما تسميه طهران (فبركة أنباء لا قيمة لها) عن محاولة احتجاز إيران ناقلة نفط بريطانية في منطقة مضيق هرمز.

وفي هذا الواقع انتبه المرشد الأعلى خامنئي إلى أن تهديدات القادة العسكريين (الحرس الثوري والأركان) وحتى رئيس السلطة القضائية آية إبراهيم رئيسي، منحت الذريعة للولايات المتحدة وبريطانيا الغارقة في مشاكلها مع بريكست والمنافسة على رئاسة حزب المحافظين وبالتالي رئاسة الوزراء، لتبررا عملية (تدويل) أزمة مرور الناقلات عبر مضيق هرمز الأمر الذي يعني استقدام المزيد من القوات الأجنبية إلى المنطقة بما يتعارض مع رؤية إيران الدائمة بشأن أمن المنطقة.

وعُلم أن المرشد الإيراني الأعلى أوعز للقادة العسكريين بتخفيف إطلاق تصريحات وتهديدات حول القضايا التي تتحمل حكومة الرئيس حسن روحاني مسؤولية التفاوض أو القيام بخطوات عملية وقانونية لحلها ومنها بالطبع أزمة ناقلة النفط الإيرانية وعدم تحميل إيران مسؤولية أعمال (قرصنة ومهاجمة سفن) وتهديد أمن الملاحة وهي بريئة منها، كما حصل في قضيتي تفجيرات الفجيرة، ومهاجمة ناقلات النفط، وقد نفذت العمليتان بعد تهديدات إيرانية بإغلاق مضيق هرمز إذا منعت إيران من تصدير نفطها.

يُشار إلى أن وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف كان أعلن أن بلاده ستعمل على إطلاق سراح الناقلة الإيرانية عن طريق القنوات الدبلوماسية والقانونية وبالتغريدات، في حين تعالت أصوات في إيران مطالبة باحتجاز ناقلة نفط بريطانية رداً بالمثل.

ويدرك المرشد الأعلى أن عليه ضبط إيقاع المسؤولين داخل إيران خصوصاً وأنه قام بتغييرات كبيرة في هيكلية الحرس الثوري شملت القيادة العسكرية وقيادة الباسيج (القوات الشعبية) وجهاز استخبارات الحرس، ومن هنا فإن توحيد الخطاب الإيراني يبقى ضرورة ملحة لتفادي تحمل تكاليف إضافية بسبب تصريحات غير مدروسة وتهديدات.

التخفيض مقابل التخفيض

وأكدت طهران للفرنسيين أنها ستقابل بخطوة إيجابية بل وبخطوتين أي خطوة إيجابية من الأوروبيين تحديداً بشأن تعويضها عن الخسائر التي لحقت بها جراء انسحاب ترامب من الاتفاق النووي، وأنها ستلغي كل الإجراءات السابقة وذلك بعد أن رفعت طهران شعار التصعيد مقابل التصعيد وقالت في أكثر من مناسبة إنها ستخفض التزاماتها تجاه الاتفاق لكنها لم تخرج منه وستواصل السماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بتفتيش منشآتها للتحقق من سلمية برنامجها النووي.

ويبدو أن طهران حصلت على تعهد فرنسي بحماية الأوروبيين للاتفاق النووي وأنهم لن يسمحوا بانهياره من واقع معرفتهم أن ذلك سيؤدي إلى نتائج كارثية، وطلبوا منها توخي الحذر في مسألة ناقلة النفط الإيرانية ووعدوا بإنهائها قريباً. والأكثر من ذلك فقد أعلن كبير مستشاري ماكرون أمام أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي الأميرال علي شمخاني وفق ما نقل التلفزيون الإيراني الرسمي أن إيران باتت اليوم قوة تفرض نفسها بالمنطقة، وأنها ورغم الإجراءات الأمريكية فإن قوتها ومكانتها في المعادلات الإقليمية والدولية شهدت نمواً لافتاً، مؤكداً على أن باريس ترغب باستمرار الحوار والتعاون مع إيران لإدارة الأزمات في سوريا واليمن والعراق ولبنان.

هذا الأمر يفترض أن ينعكس على الاجتماع الوزاري هذا الأسبوع لدول (4+1) وإيران، وقد يشهد انضمام وزير الخارجية الأمريكي أو من ينمثله، أو أن يغادر الرئيس الفرنسي ماكرون إلى واشنطن للقاء ترامب الذي كان بحث هاتفياً مع الرئيس الفرنسي جهوده لإيجاد أرضية الحوار مع الإيرانيين وذلك قبل أن يبدأ كبير مستشاري ماكرون زيارة لطهران الثلاثاء الماضي.

ويقول الإيرانيون إن الكرة الآن في ملعب ترامب أولاً إذا كان يرغب في حل الأزمة فعليه الاستماع لما سينقله له الرئيس الفرنسي، وفي ملعب الأوروبيين بالدرجة الثانية إذا كانوا بالفعل جادين ويمتلكون الإرادة السياسية لحماية الاتفاق النووي وتنفيذ ما تم الاتفاق بشأنه مع موفد ماكرون في طهران، أو أن تعود طهران مرة أخرى إلى سياسية التصعيد مقابل التصعيد إذا واصلت واشنطن فرض عقوبات.

جاءت المفاجأة المتعلقة بالتسريبات في وقت حساس داخلياً وسط التنافس في صفوف حزب المحافظين على منصب رئاسة الوزراء وأزمة بريكست.

«سخونة ترامب» تخيم على الانتخابات البريطانية وبريكست يطيح بالسير داروك

لندن ـ «القدس العربي»: محمد المذحجي

لم يبق إلا أقل من 10 أيام لانتخاب أعضاء حزب المحافظين في المملكة المتحدة زعيم الحزب، وبطبيعة الحال رئيس وزراء بريطانيا. وشهدت البلاد مناظرة نارية بين المرشح الأوفر حظا، بوريس جونسون، وجيريمي هانت، وتحدثا عن أزمة بريكست وعن تعثر عملية انسحاب البلاد من الاتحاد الأوروبي رغم مضي أكثر من 3 سنوات على الاستفتاء بهذا الشأن، وأرجع كلاهما سبب الأزمة لسياسات رئيسة الوزراء المستقيلة، تريزا ماي، وأدائها الضعيف. بينما كان من المقرر أن يتم التركيز خلال المناظرة على الملفات الداخلية للبلاد، لكن «سخونة ترامب» كانت الموضوع الطاغي خلال المناظرة، وتحدث جونسون وهانت مرات عديدة عن الرئيس الأمريكي وسياساته، وانتقده هانت بشدة. والنقطة الأبرز كانت الهجوم غير الطبيعي والناري لترامب على تريزا ماي وسفير بريطانيا لدى الولايات المتحدة، السير كيم دايجل داروك الذي يعرف بتأييده لبقاء بلاده في الاتحاد الأوروبي.

ووصفت وكالة «دويتشه فيله» للأنباء الرسمية الألمانية منشورات دونالد ترامب على شبكات التواصل الاجتماعي ضد كيم داروك بأنها «هجمات تويترية تحمل لهجة غير طبيعية». وفعلاً تجاوزت اللهجة التي استخدمها ترامب في تغريداته ضد داروك، خطابه المعتاد، حيث قال الرئيس الأمريكي إن سفير المملكة المتحدة «السخيف» لدى واشنطن هو «شخص شديد الغباء» و«أحمق متعجرف». وغرد على تويتر قائلا «السفير السخيف الذي فرضته المملكة المتحدة على الولايات المتحدة ليس شخصا نتحمس له، إنما هو شديد الغباء» مضيفا «أحرى به أن يتحدث لبلاده، ولرئيسة الوزراء تريزا ماي، عن مفاوضات بريكست الفاشلة، وألا ينزعج جراء انتقادي للطريقة السيئة التي دارت بها المفاوضات». ووجه ترامب سيلا من الانتقادات لتريزا ماي بالقول «لقد أخبرت ماي كيف تنجز هذه الصفقة، لكنها تابعت السير في طريقها الغبي العاجز وفشلت في إنجاز الصفقة. كارثة!». وعن السفير كتب ترامب «لا أعرف السفير، لكنني أُخبرتُ أنه أحمق متعجرف. أخبروه أن الولايات المتحدة تتمتع الآن بأفضل نظامين اقتصادي وعسكري في العالم، وأن النظامين يشهدان تنامياً وتحسنا وقوة بشكل متزايد، شكرا، سيدي الرئيس!».

فيما أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستجري تحقيقا رسميا في هذه التسريبات، ومن يقف خلفها، ويؤكد ذلك أن هناك طبخة أُعد لها من خلف هذه التسريبات. ما أكدته صحيفة «إندبندنت» البريطانية من خلال قولها «الآن أصبحت الأمور أكثر وضوحاً فيما يخص سبب وتوقيت تسريب رسائل البريد الإلكتروني للسير كيم نايجل داروك، السبب هو سياسات السفير المعارضة لبريكست. داروك هو من مؤيدي بقاء بريطانيا في الاتحاد الأوروبي». ويفسر ما كتبته «إندبندنت» هجمة ترامب النارية على داروك بشكل أوضح، وأن ترامب لم يك راضياً عن سياسات السفير البريطاني لدى بلاده، خاصة لأن ترامب يدفع باتجاه ما يوصف ببريكست حاد وانسحاب بدون توافق لبريطانيا من التكتل الأوروبي. ومن زاوية أخرى، يعتبر السير داروك مانعا أمام استراتيجية ترامب في الظروف الراهنة والتي ترمي إلى عقد صفقات تجارية كبيرة مع بريطانيا، وأن تحل الشركات الأمريكية محل الأوروبية في السوق البريطانية.

ولم يتضح بعد من يقف خلف تسريب رسائل بريد داروك الإلكترونية التي أدت إلى توتر دبلوماسي بين الصديقين والحليفين العتيقين، لكن من المؤكد أن مسربي هذه الرسائل وجهوا ضربة قاتلة إلى السير داروك وعمر عمله الدبلوماسي، خاصة أن سفيري البلدين الحليفين يلعبان دورا محوريا واستراتيجيا في تنسيق العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، فضلاً عن التنسيق بينهما في الملفات الدولية. وجاءت المفاجأة المتعلقة بهذه التسريبات في وقت حساس للغاية داخليا، إذ تمر بريطانيا بأزمة عميقة باسم بريكست، ويتنافس مرشحان من حزب المحافظين على منصب رئاسة الوزراء وتحديد سياسات البلاد الجديدة إزاء أزمة بريكست.

والسؤال الأساسي هو من كان ولا يزال يقلق إلى هذا الحد من بقاء السير داروك في منصب سفير بريطانيا في أمريكا، إذ سارع في إنهاء عمله الدبلوماسي؟ في حال من المتوقع أن يفوز بوريس جونسون بمنصب رئاسة الوزراء، وأن يعين شخصاً غير جيرمي هانت لمنصب وزير الخارجية، وأن يتم تعيين سفير جديد في الولايات المتحدة. لكن يبدو أن ثقل السير كيم نايجل داروك الدبلوماسي وتأثير سياساته المؤيدة للاتحاد الأوروبي كانا كبيرين إلى الحد الذي اقتضت الضرورة أن يغادر منصبه قبل تعيين رئيس الوزراء الجديد لبريطانيا. ويذكر الأسلوب الذي استخدم للإطاحة بداروك، بملف تسريب رسائل بريد هيلاري كلينتون الإلكترونية.

ويعتبر كيم داروك من السفراء المخضرمين في السلك الدبلوماسي، ويمتد تاريخه المهني إلى أكثر من 4 عقود. وشغل منصب مستشار الأمن القومي لرئيس الوزراء، في الفترة من كانون الثاني/يناير 2012 إلى أيلول/سبتمبر 2015 وقاد فريق الأمن القومي في قضايا مثل صعود تنظيم «الدولة» في العراق وسوريا، والتدخل الروسي في أوكرانيا، والتهديد النووي الإيراني، وانهيار السلطة في ليبيا. وقبل تولي منصب سفير المملكة المتحدة لدى الولايات المتحدة في كانون الثاني/يناير 2016 شغل منصب مستشار الأمن القومي لرئيس الوزراء السابق ديفيد كاميرون لمدة عام واحد.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9603 الأحد14 تموز (يوليو) 2019 – 11 ذو القعدة 1440 هـ

إلى متى يمكن أن يستمر «زواج المصلحة» بين روسيا وإيران؟

بعد أن حقق التحالف الروسي الإيراني في سوريا بعض أهدافه، ظهرت مؤشرات تدل على إن المصالح بينهما تقف على مفترق طرق.

فالح الحمراني

مقاتلة روسية في سوريا

العلاقات الروسية الإيرانية لها جذور تاريخية عميقة، ومرت بمراحل متعددة: من التفاعل الوثيق إلى العداوة والنزاعات المباشرة، ومصالح الطرفين متشابكة، بيد أنها لا تتطابق دومـا، لاسيما في السياسة الإقليمية، سواء في منطقة قزوين أو الشرق الأوسط أو آسيا الوسطى. لكن ترتب في السنوات الأخيرة بوضوح أكثر نمط من العلاقة يقوم على الاعتماد على بعض، بمعنى لا يمكن لروسيا ولا إيران تحقيق مصالحهما بدون مساعدة الآخر، أو على الأقل عدم وجود معارضة منه.

ويشمل التعاون بين البلدين مجالات كثيرة، اقتصادية وعسكرية/فنية وأمنية وفي مجال الطاقة، والشؤون الجيوسياسية. وكل هذا يجعل من الصعوبة إحداث تغيير (كما ترغب أمريكا وإسرائيل والسعودية) في موقف روسيا من التعاون والتفاعل مع إيران. وتدعم موسكو رغبة إيران بالانضمام إلى مجموعة «شنغهاي» للتعاون، وتحث دول الخليج العربية على تطبيع علاقاتها بطهران لصالح استقرار المنطقة.

ورغم تعرض البلدين لمزيد من العقوبات الغربية يتصاعد التبادل التجاري باطراد.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو، إلى أي حد ينبغي أن يرتفع مستوى التناقضات بين الدولتين، كي يتحول سير العلاقات بينهما من التعاون إلى التنافس في الشرق الأوسط؟

ولاحظ تقرير صادر عن «المجلس الروسي للشؤون الخارجية» وهو مؤسسة دراسات سياسية قريبة من الكرملين، أنه ومن أجل تحليل آفاق التعاون الإيراني ـ الروسي في المنطقة، يجب تحديد المجالات التي يمكن أن يحدث فيها صدام المصالح في الشرق الأوسط، والعوامل التي تجعلها يتعاونان وبالتالي في ظل أي ظروف سيكون من الصعب توسيع تعاون البلدين في المنطقة، وما هي المخاطر المحدقة بها؟ ومن خلال الإجابة يمكننا أن نستنتج إلى متى يمكن أن يستمر «زواج المصلحة» بين روسيا وإيران.

فبعد أن حقق التحالف الروسي الإيراني في سوريا بعض أهدافه، والأهم منها دعم أركان النظام السوري، وعدم إطاحة المعارضة والتشكيلات المسلحة غير النظامية ببشار الأسد، ظهرت مؤشرات تدل على إن المصالح الروسية الإيرانية تقف على مفترق طرق، وتتباعد تدريجيا، وفي بعض الأحيان تصطدم، ما يخلق الشكوك بشأن مستقبلها. فإذا كانت أولية روسيا إحلال الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، بما يخدم مصالحها، فان إيران تسعى إلى ترسيخ حكومة دمشق، بيد أن توسيع حضورها في سوريا يمكن أن يخلق خطر اندلاع مواجهات عسكرية في المنطقة. وتكمن طموحات إيران على ما يبدو في بناء ممر بري في الشرق الأوسط يمر عبر العراق وسوريا ولبنان، ما سيثير مخاوف تل أبيب، ويهدد باندلاع مواجهة بين إسرائيل وإيران وسيعمل على ادامة زعزعة الاستقرار في المنطقة. كما يمكن أن تكون مسائل توزيع مقدرات الاقتصاد السوري سببا في اصطدام مصالح روسيا وإيـران. فالبلدان الحليفان لبشار الأسـد، يراهنان على الحصول على مختلف العقود التي تعد بالمنافع الاقتصادية، لمرحلة ما بعد انتهاء النزاع، وعلى خلفية شحة الثروات الطبيعية في سوريا، فليس من المستبعد أن تنشأ بين روسيا وإيران خلافات ملموسة بشأن توزيع العقود بشكل عادل لاستثمار الموارد. وانطلاقا من ذلك يتساءل بعض المحللين عن مدى طول الفترة، والظروف التي يمكن أن يبقى بها التحالف، الذي يصفونه بالهش، قائما بين موسكو وطهران.

ونظرا للحضور العسكري الروسي في سوريا فإن موسكو ستبقى تعتمد على إيران من أجل عدم إضاعة ما تراه انتصاراتها هناك، بمعنى انه سيتعين على روسيا خفض سقف طموحاتها مؤقتا وتقديم تنازل لإيران التي من دون دعمها ستكون آفاق حكومة بشار الأسد غامضة، ومصيرها غير مضمون.

علاوة على ذلك فإن سياسة الولايات المتحدة، الساعية لتحجيم نفوذ الدولتين، تدفع موسكو وطهران للتقارب أكثر. والمعروف أن روسيا وإيران تنظران إلى أمريكا باعتبارها الخصم الرئيسي لهما، وتسعيان إلى خلق، ولحد أقصى، الصعوبات أمام هيمنتها الاقتصادية والسياسية. والقاسم المشترك الآخر للبلدين هو العمل على إعادة إعمار سوريا التي دمر النزاع فيها شبكة البنية التحتية للبلاد، وعلى حد بعض المعطيات فإن إعادة إعمار سوريا تتطلب زهاء 400 مليار دولار. وترفض الولايات المتحدة وأوروبا المساهمة في العملية ما دام بشار الأسد في السلطة. وتنطوي الاستثمارات الإيرانية في سوريا على أهمية كبيرة بالنسبة لروسيا، وحتى إعـادة بناء البنية التحتية إلى حد مقبول وهناك احتمال ضعيف لتحقيق هذه السيناريوهات في المستقبل المنظور.

ويرصد الباحث والسياسي بيوتر كورتونوف، وجود خطرين أو كما يقول سيناريوهين يهددان بانهيار العلاقات الروسية/الإيرانية. الأول هو تصعيد النزاع الإيراني مع إسرائيل. فقد خلق توسع النفوذ العسكري الإيراني في سوريا ورد إسرائيل بشن غـارات دوريـة عليه، مقدمات لاندلاع حرب واسعة النطاق بين الطرفين. وفي رأي الباحث الروسي، فإن تطور الأحـداث على هـذا النحو يمكن أن يضع حدا لتعاون روسيا وإيران في سوريا. وقال «إن روسيا غير مستعدة للدخول في نزاع مع إسرائيل (ولاسيما مع الولايات المتحدة)». وتوقع أن روسيا في أفضل الأحـوال ستتخذ موقفا محايدا، وستسعى إلى أن تؤدي دور الوسيط لحل النزاع، وفي الوقت نفسه تضمن الاستقرار في سوريا. والسيناريو الآخر الذي سينعكس سلبا على العلاقات بين طهران وموسكو هو وقف إيران تنفيذ التزاماتها في خطة العمل المشتركة الشاملة، المتعلقة ببرنامجها النووي تماما. فالمجتمع الدولي بما في ذلك روسيا، يولي أهمية كبيرة لقضية منع إيران من الحصول على أسلحة نووية.

ويرى كورتونوف أن العلاقات بين روسيا وإيران في الشرق الأوسط قد تشكلت ليس لتحقيق الأهداف المشتركة للدولتين، وإنما لمواجهة التهديدات المشتركة. ويرجح «أن هذه العلاقات لا تتميز بالثقة المتبادلة أو الاعتماد الاقتصادي». ولكنه يرى «أن من الصعب للغاية وصـف هـذه الشـراكة بالقصيرة الأجـل». ويقول: على الرغم من انعدام الثقة بين الطرفين، فإن الأهـداف التي تقرب موسكو وطهران من بعضهما البعض في المنطقة لن تختفي في المستقبل المنظور. ويخلص إلى أنه وعلى الرغم من أن سوريا لم تعد ساحة للاشتباكات العسكرية الساخنة، فإن عملية إحلال الاستقرار الكامل فيها ستستغرق لخطر مستمر لسنوات عديدة. وما دام أن روسيا وإيران في حاجة إلى بعضهما البعض في المنطقة، فمن غير المرجح أن تقضي خلافاتهما إلى انهيار تحالفهما الاستراتيجي.

Volume 31 - Issue 9603 Sunday 14 July 2019

أمن العراق بين مخاطر عودة تنظيم «داعش» وإضعاف المؤسسة العسكرية وتمرد الفصائل

تصاعد العمليات الإرهابية جدد المخاوف من عودة محتملة لداعش بعد إعادة ترتيب عناصره وأساليب عمله.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تظاهرات مطلبية في كركوك

تواجه الأوضـاع الأمنية والعسكرية في العراق، مخاطر جدية في هـذه المرحلة، سـواء في تصاعد احتمال عودة تنظيم «داعش» إلى المناطق التي كانت تحت سيطرته قبل الإعـلان عن نهايته عام 2017 أو وجود حراك سياسي لإضعاف المؤسسة العسكرية الأولى (الجيش) من خلال زج الفصائل المسلحة فيها، وتوقع هيمنة قادة الميليشيات عليها وفقدانها القدرة على مواجهة التحديات، أو في وقوع العراق في دائرة تداعيات النزاع الإرهاب الأمريكي.

ورغم تأكيد رئيس الـوزراء عادل عبد المهدي، أن «الدولة مسيطرة على الأمن، وان الإرهاب قد انحسر» ومع إعلان القوات المسلحة انطلاق عملية عسكرية كبيرة في ثلاث محافظات (نينوى والأنبار وصلاح الدين) لتطهير الحدود مع سوريا ومنع تسلل عناصر تنظيم «داعش» منها، إلا ان تصاعد العمليات الإرهابية للتنظيم في عدة مناطق من العراق، جدد المخاوف من صـواب توقعات الخبراء العسكريين العراقيين والتقارير الأمريكية، من عودة محتملة للتنظيم في العراق بعد إعـادة ترتيب عناصره وأساليب عمله، مستغلا الثغرات الأمنية والجيوب الكثيرة المنتشرة في المناطق الواسعة خارج سيطرة القوات المسلحة.

ويقارن المطلعون، الظروف الحالية بظروف نشوء التنظيم عام 2014 التي كانت سائدة في المحافظات (السنية) والتي سهلت سيطرته عليها، والتي أبرزها انشغال القوى السياسية بالصراع على المصالح والمنافع وايهام القادة العسكريين للحكومة بسيطرتهم على الأوضـاع الأمنيـة، وانـتشار مشاعر الظلم والتهميش بين سكان تلك المناطق إضافة إلى التدخل الإقليمي، وهـي عوامل تبدو مشتركة بين الأمس واليـوم. وأبـدى العديد من العسكريين والمحللين، خشيتهم من ان عمليات ملاحقة عناصر التنظيم وتمشيط المناطق التي تنفذها القوات المسلحة في العديد من المناطق المتوترة، قد تشكل عملية استنزاف لتلك القوات وخاصة انها مستمرة منذ الإعـلان عن القضاء على التنظيم عام 2017 بدون تحقيق نتائج حاسمة تتناسب مع الجهود المبذولة، حيث تقتصر في الغالب على العثور على مقرات مؤقتة وبعض المعدات العسكرية التي تركها التنظيم واعتقال مشتبه بهم من السكان المحليين، بينما تفر عناصر التنظيم من مناطقها قبل تقدم القوات إليها، كما تواصل خلاياه النائمة في المدن والنواحي، تنفيذ ضربات وتفجيرات هنا وهناك، بهدف إثبات وجوده وزعزعة أمن المدن المحررة من سيطرته، حيث شنت عناصر التنظيم هذا الأسبوع، هجمات على مواقع القوات المسلحة والمدنيين في الفلوجة وكركوك وديالى وأطراف نينوى، أسفرت عن مقتل وإصابة العديد منهم.

وفي وقت تخوض فيه المؤسسة العسكرية معاركها مع الإرهاب، فان قوى سياسية شيعية متنفذة، تمضي في تمكين الفصائل المسلحة التابعة لها، من إحكام السيطرة على مقاليد أعرق وأهم مؤسسة عسكرية في البلد، عبر سيناريو بدأ منذ عام 2003 آخره قرار ضم فصائل الحشد إلى الجيش العراقي، بينما تعارض فصائل أخرى مرتبطة بالحرس الثوري حل نفسها والتخلي عن ارتباطاتها الخارجية.

وقد أقر رئيس الوزراء عادل عبد المهدي في مؤتمره الصحافي الأسبوعي، برفض بعض فصائل الحشد، حل نفسها والالتحاق بالقوات المسلحة، مبررا ذلك بالقول: «سنعطيهم فرصة أخرى للدخول أو تسليم السلاح» معززا بذلك المخاوف من عدم قدرة الحكومة على فرض إرادتها على قـادة بعض الفصائل التي تستقوي بقدرتها التسليحية الكبيرة والدعم الخارجي المعروف. وفي مؤشر مقلق للعراقيين، فقد انتشرت في شوارع المدن، لافتات تحمل شعارات وصور للحشد وعليها عبارة «الحشد بـاق». وتعتبر فصائل مثل «كتائب حزب الله» العراقية، و«كتائب سيد الشهداء» و«النجباء» و«الخراساني» و«أنصار الله الأوفياء» و«سرايا الجهاد» و«سرايا عاشوراء» وميليشيات أخرى، انها ضمن خانة «فصائل المقاومة الإسلامية» ولا تخضع لـ«الحشد» وتـصر على الاحتفاظ باستقلاليتها وأسلحتها الثقيلة ومعسكراتها، بعيدا عن المؤسسة العسكرية الرسمية.

وإضافة إلى رفض تنفيذ قـرار حل الحشد، فقد ظهرت مؤشرات أخرى على تمرد الفصائل منها قيام فصيل معروف، بمهاجمة بيت رئيس الوقف الشيعي علاء الموسوي في تحد للحكومة والمرجعية الشيعية معا، واضطرار السلطات إلى اطلاق سراح مقتحمي سفارة البحرين نتيجة ضغوط فصائل مسلحة رغم إعلان عبد المهدي احالتهم إلى المحكمة، أضافة إلى شن قوى شيعية، حملة لتسقيط قائد عمليات الأنبار محمود الفلاحي بعد تسريب تسجيلات مفبركة عن تقديمه معلومات عن مواقع الحشد إلى الأميركان، وهو الأمر الذي عارضه سياسيو وحكومة وأهالي الأنبار واعتبروه استهدافا جديدا لرموز وطنية من المكون السني دافعت عن المحافظة ضد الإرهاب ولكنها رفضت الخضوع لفصائل الميليشيات.

وليس بعيدا، تجري تطورات مريبة في محافظة كركوك النفطية شمال العراق عبر سعي الحزبين الكرديين الحاكمين في الإقليم، لإعادة المحافظة إلى سيطرتهما بكل الطرق والوسائل، عبر الضغوط المحلية والدولية، وسط اتهامات من قوى عربية وتركمانية، بمسؤولية الحزبين عن سلسلة تفجيرات في المحافظة، بهدف خلخلة الوضع الأمني وإعادة البيشمركه إليها.

وبالتزامن مع هذه التطورات والتحديات، تواصل حكومة بغداد جهودها في الدفاع عن جارتها حكومة طهران لافشال العقوبات الأمريكية عليها، حيث أعلنت وزارة الخارجية العراقية، خلال مشاركتها في اجتماع الوكالة الدولية للطاقة الخاص بالاتفاق النووي «إن التخلي عن الاتفاق النووي يمكن أن يكون كارثيا على الجوار بأكمله».

وهكذا تبدو خريطة المشهد الأمني في العراق، غير مطمئنة وتحفل بالكثير من الألغام التي قد تنفجر في أي لحظة وتغير وضع الاستقرار الهش الذي لن يصمد أمام هذه التحديات، وبالتالي عودة أوضاع الفوضى السائدة في عام 2003.

الأردن: النفط من البصرة إلى العقبة والعراق تجذبه

يراهن الأردن على الجمع بين العراق ودول الجوار العربي خارج الارتباط المطلق بأجندة الحسابات الإيرانية في الإقليم والمنطقة.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

بدت وزيرة الطاقة الأردنية هالة زواتي مسرورة نسبيا وهي تعلن مساء الخميس وخلال وجودها في بغداد أن الحكومة العراقية صادقت على مشروع ناقل النفط بين البلدين.

كان يفترض أن يعلن هذا النبأ في شباط/فبراير الماضي لكنه تأخر عدة أشهر بسبب ضغط اللوبي الإيراني داخل البرلمان العراقي.

وفقا لما يقدره خبير في الملف العراقي من وزن الدكتور منتصر العقلة سفير عمان في بغداد يمكن النفاذ بالعديد من المصالح الأردنية مع العراق الشقيق في حال تملك المهارة في استغلال نمو الأجنحة والتيارات العراقية الراغبة في العودة إلى علاقات طبيعية ومصلحية مع دول الشرق العربي.

ملاحظات السفير العقلة وغيره من خبراء الشأن العراقي الأردنيين تحدثت منذ أسابيع قليلة عن نمو طبقة من التكنوقراط والسياسيين العراقيين تؤمن بالابتعاد ولو قليلا عن الأجندة الإيرانية التي تتحكم بمسار الكثير من الأمور عندما يتعلق الأمر بعلاقات واتفاقيات مصالح مع دول مجاورة.

من هنا مثلا تسلل اللاعب السعودي وقبله القطري ويحاول الإماراتي.

من هنا أيضا استدعى وزير النفط العراقي نظيرته الأردنية والمشغولة بدورها بخيارات الطاقة البديلة إلى بغداد لكي يزف لها نبأ انتهاء الجدل والمصادقة على المشروع المنتظر بعنوان نقل النفط عبر الأراضي الأردنية.

ثمة بطل مجهول لهذا الاتفاق الاستراتيجي الكبير تحمس له طوال الوقت ونصح عمان بالتفاصيل وهو سفيرة بغداد في الأردن صفية سهيل.

في كل حال استطاعت الوزيرة زواتي وبعد ظهر الخميس الماضي ان تعلن بملء الفم أن مجلس الوزراء العراقي صادق على النقلة النوعية في مجال التعاون الاستراتيجي النفطي.

وفقا لبروتوكول الاتفاق سيعمد العراق إلى تصدير النفط من ميناء البصرة عبر العقبة الأردنية وبالتالي سواحل البحر الأحمر إلى عدة اتجاهات. ومن شان هذا الاتفاق ان ينعش الأمل في تحريك أولا قطاع النقل البري الأردني وثانيا النشاط اللوجستي في ميناء العقبة الراكد.

لافت جدا ان اتفاق النفط من البصرة إلى العقبة يبرز في الواجهة رغم شكوى قطاع المصدرين الأردنيين من تراجع صادراتهم إلى السوق العراقية في الشهور الأربعة الماضية بالرغم من توقيع 15 اتفاقية شاملة مع العراق والاحتفال بها بحضور رئيس الـوزراء عمر الرزاز ونظيره العراقي عند حدود طربيل قبل عدة أسابيع.

الأوساط المقربة من وزير الصناعة والتجارة الأردني الناشط جدا والذي قام بعدة زيارات وعشرات الاتصالات مع العراقيين الدكتور طارق الحموري تبدو متفائلة بارتفاع نسبة الصادرات لاحقا.

الأصـوات نفسها تحـاول تقييم ومتابعة كل تفاصيل الاتفاقيات المتوقعة مع الآخرين على أمل اتخاذ كل التدابير البيروقراطية الممكنة لنقل التواصل التجاري والصناعي وحركة التصدير إلى مستويات متقدمة تخدم مصالح البلدين والشعبين كما يقدر الوزير الحموري.

في كل حال لا تزال ثمة إعاقات ومطبات في طريق إطلاق علاقات تبادل استراتيجية مع العراق. لكن في المقابل يزيد شغف بغداد بالتعاون مع عمان وتلاحظ الأخيرة أن قبضة اللوبي الإيراني المتخصصة في مراقبة الأردن حصريا تتراخى قليلا ليس فقط بحكم انشغال الإيرانيين بمعاركهم الجديدة والخاصة ولكن بحكم احساس المزيد من العراقيين بضرورة الانفتاح أكثر على دول المشرق. نجح الأردن على الأرجح هنا في تأسيس سيناريو يساعد في إقامة مشاريع تواصل اقتصادي وتجاري وصناعي بين مصر والعراق لكن عبر الأردن.

ويبدو ان الرزاز سمع من المصريين عندما زار القاهرة مؤخرا ما يشجعه على لعب دور الوسيط أكثر في تبني رواية التقارب المصالحي بين العراق المحكوم بدائرة نفوذ إيرانية وبين دول المشرق ومن بينها الأردن ودول الخليج ومصر.

طبعا يراهن الأردن هنا على تعزيز فرصته ومساحته في تبني رواية الجمع قدر الامكان وأكثر بين العراق ودول الجوار العربي على أساس معادلة مصلحية وبدون مبرر للارتباط المطلق والكامل بأجندة الحسابات الإيرانية المعقدة في الإقليم والمنطقة.

وقد لا تنجح الاستراتيجية الأردنية. لكن من الواضح انها فعالة وانه ثمة من يتجاوب معها في بغداد وان الوزير الحموري يبدو متطلعا أكثر لمكاسب ملموسة في المستقبل القريب تعود بالنفع والفائدة على البلدين والشعبين كما فهمت «القدس العربي» مباشرة قبل إعلان الوزيرة زواتي عن المنتج أو المنجز الجديد.

إلى أن يحصل ذلك تبدو فكرة تقارب بغداد مع جوارها من الدول المشرقية مغرية وجذابة لعدة أطراف خصوصا وأنها قد تخدم مصالح مصر والأردن أيضا في قطاعي الملاحة والنقل كما قد تخدم مصالح العراقيين في تنويع الأسواق والتصدير والاستيراد.

استراتيجية الانفتاح على المشرق والبحر الأحمر

حدث الأسبوع

السودان: اتفاق على الإعلان السياسي المحدد لهياكل الحكم في الفترة الانتقالية

الخرطوم ـ «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

بعد أكثر من أسبوع على المفاوضات المباشرة التي تمت بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير في السودان، تم التوصل إلى اتفاق مكتوب يحدد هيئات الحكم في الفترة الانتقالية وذلك تمهيدا للتوقيع على اتفاق يعلن بداية عهد جديد في السودان.

وبعد انتظار طويل للصحافيين في ردهات أحد فنادق العاصمة الخرطوم، خرج محمد الحسن لبات، ممثل الاتحاد الافريقي وأحد طرفي الوساطة، بجانب الوسيط الإثيوبي محمود درير، ليعلن للصحافيين «التوصل لاتفاق كامل على الإعلان السياسي المحدد لكافة هيئات الحكم في المرحلة الانتقالية» وأضاف أن اللمسات الأخيرة لدراسة والمصادقة على الإعلان الدستوري (الوثيقة الثانية) على وشك الاكتمال.

وكانت الوساطة الإثيوبية المدعومة من الاتحاد الافريقي، نجحت في جمع المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير في مفاوضات غير مباشرة، ثم تفاوض مباشر، وذلك بعد الأحداث التي شهدتها الخرطوم في الثالث من حزيران/يونيو الماضي والتي أسفرت عن مقتل عشرات المعتصمين أمام مبنى قيادة الجيش، وجرح المئات، ما أدى لإيقاف التفاوض بين الطرفين بشكل نهائي.

الملامح الرئيسية للاتفاق الذي أعلن بشكل مبدئي فجر الخامس من هذا الشهر، يقضي لوضع حد بين شريكي التغيير الذي أطاح بحكومة عمر البشير في الحادي عشر من نيسان/ابريل الماضي. وينص الاتفاق على إجراء تحقيق وطني مستقل وشفاف بشأن أحداث العنف التي حدثت بعد اسقاط البشير وذلك بإشراف الاتحاد الافريقي، وتشكيل مجلس سيادي بالتناوب بين العسكريين والمدنيين لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، يتكون من خمسة عسكريين وخمسة مدنيين وعضو آخر يتم اختياره بتوافق الطرفين، على أن تكون فترة الرئاسة الأولى 23 شهرا للعسكر وتكون الفترة الثانية 18شهرا لقوى الحرية والتغيير.

وشمل الاتفاق تشكيل حكومة كفاءات وطنية مستقلة برئاسة رئيس وزراء، ويتم تشكيلها من قبل قوى الحرية والتغيير وتم تأجيل تشكيل المجلس التشريعي لفترة لاحقة بعد تكوين الحكومة والمجلس السيادي في فترة لا تتجاوز التسعين يوما. وكان الطرفان قد اتفقا في السابق بخصوص المجلس التشريعي على أن تكون نسبة قوى الحرية والتغيير 67 في المئة على أن تكون النسبة المتبقية لمجموعات شاركت في التغيير لكنها لم توقع على إعلان قوى الحرية والتغيير، لكن صدرت تصريحات – بعد ذلك – من نائب رئيس المجلس العسكري، قائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دلقو «حميدتي» تشير إلى عدم موافقته على هذه النسبة.

وتفيد بعض المصادر بأن تأخير الاتفاق على المسودة النهائية لما تم سابقا، سببه الاختلاف على بعض التفسيرات القانونية التي نتجت عن ترجمة النصوص من اللغة الإنكليزية إلى العربية وعلى سبيل المثال ورد: يتم (اعتماد) الوزراء من قبل المجلس السيادي، حيث فسر المجلس العسكري كلمة (اعتماد) الواردة في النص، بالحق في قبول أو رفض تعيين الوزراء، بينما ترى قوى الحرية والتغيير أنها تعني فقط (المصادقة) دون الحق في القبول أو الرفض، وهناك اختلافات أخرى متعلقة بصلاحيات البرلمان الانتقالي، وقد وصف الكثير من المراقبين هذه الخلافات بكونها ليست جوهرية وناتجة عن سوء فهم، وقد تم تجاوزها بحضور الوسطاء.

وتزامن مع الليلة الطويلة للوصول إلى تفاهمات مكتوبة تفضي لتكوين الحكومة الجديدة، مع إعلان المجلس العسكري لمحاولة انقلابية هي الخامسة خلال ثلاثة أشهر، وأعلن رئيس اللجنة الأمنية بالمجلس العسكري، الفريق أول ركن جمال عمر ابراهيم عن إحباط الأجهزة الأمنية لمحاولة انقلابية بواسطة مجموعة من الضباط وضباط صف في الخدمة والمعاش في القوات المسلحة وجهاز الأمن «بهدف تنفيذ انقلاب عسكري لعرقلة الاتفاق بين المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير».

وتم الإعلان عن القبض على 12 من الضباط منهم 7 في الخدمة و5 على المعاش وتم التحفظ على 4 من ضباط الصف بينما لم يتم توقيف قائد المحاولة الانقلابية.

وشكّك كثيرون في وجود محاولة انقلابية مستندين لحديث المجلس العسكري عن محاولات سابقة لم تتم محاكمة أي أحد فيها، وأوضح المحلل السياسي صلاح الدومة، أن مصداقية المجلس بخصوص المحاولات الانقلابية باتت محل شك كبير بعد أن تعددت الروايات والحكايات بهذا الخصوص في الفترة الأخيرة.

وبخصوص الاتفاق يقول الدومة لـ«القدس العربي» أن حديث المبعوث الافريقي أشار إلى أن الطرفين اتفقا على الإعلان السياسي الذي يحدد مستويات الحكم الثلاثة (التشريعي والتنفيذي والمجلس السيادي) بتحديد دقيق وواضح لصلاحيات ومهام كل مستوى، متوقعا الاتفاق على الإعلان الدستوري الذي يشكل أساسا للدستور الانتقالي بعد تعطيل دستور 2005 في أول بيان بعد التغيير الذي حدث.

ويضيف: «ما تم من اتفاق حتى الآن يشير بوضوح إلى الجهود الذي بذلته الوساطة الافريقية والإثيوبية المشتركة في دفع الشريكين إلى تفاهمات تمهد لبدء عهد جديد، وما ورد إلينا يشير إلى أن الخلافات التي حدثت في الصياغة بسيطة ولا تؤثر على جوهر الاتفاق وتم تجاوزها».

وبخصوص لقاء وفد من قوى الحرية والتغيير بقادة الجبهة الثورية التي تضم الفصائل المسلحة، أوضح الدومة أنها محاولة للوصول لأرضية جيدة لإنهاء الحروب في السودان، مؤكدا أن التفاوض سيكون بعد تكوين الحكومة الجديدة خاصة بعد الإعلان عن الأولوية للسلام في المرحلة المقبلة وتخصيص الستة أشهر الأولى للحكومة المقبلة لملف الحركات المسلحة وتحقيق السلام.

وشهدت العاصمة الإثيوبية أديس أبابا الأسبوع الماضي بدء لقاءات بين وفد من قوى الحرية والتغيير وقادة الجبهة الثورية، مالك عقار وأركو مناوي وجبريل إبراهيم، وحسب المصادر، فإن هذه اللقاءات هدفت للتشاور في بعض القضايا التي تخص المرحلة المقبلة، خاصة عملية السلام لتقريب وجهات النظر والوصول لتفاهمات مفاوضات رسمية مع السلطة الانتقالية المقبلة، وتجدر الإشارة إلى أن الحركات الثلاث التي تجري معها المفاوضات موقّعة على إعلان قوى الحرية والتغيير.

ويرى الكاتب والمحلل السياسي عثمان ميرغني، أن السودان يمر بمرحلة صعبة جدا ومخاض عسير وحذر، الأمر الذي يتطلب بناء مؤسسات قوية في الفترة الانتقالية، ويضيف لـ«القدس العربي» أن تأخير الوصول لتفاهمات بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري وما حدث من جدل وتشاكس خلال الأشهر الماضية ضاعف من اهتزاز الثقة بين الطرفين.

ويشير ميرغني إلى ضرورة كسب الوقت لتقليل الخسائر الفادحة وتجنيب البلاد سيناريوهات سيئة على غرار ما يحدث في ليبيا، مؤكدا أن انعدام الرؤية الواضحة والبطء الشديد في تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه هو الذي قاد البلاد إلى هذه المرحلة.

ويرى المصدر أن عدم الوضوح قاد لتأجيل أي شيء حتى بعد أن يتم الاتفاق عليه، مشيرا إلى الحساسية التي تسود موقف الطرفين من قضايا عديدة والتي تسببت فيها تركيبة الطرفين والضغوط التي يتعرضان لها وما حدث في الفترة الماضية وما يتوقع أن يحدث على شاكلة ما يتم الحديث عنه بين الفينة والأخرى عن محاولة انقلاب عسكري.

وشهدت الأيام الماضية جدلا واسعا حول أحداث فض الاعتصام في الثالث من حزيران/يونيو الماضي، وذلك بعد إطلاق خدمة الإنترنت التي تم قطعها في ذلك اليوم، وأثار نشر الفيديوهات والمقاطع الصادمة حالة من الغضب الشديد تجاه المجلس العسكري والقوات النظامية، خاصة قوات الدعم السريع التي ظهر أفرادها بزيهم المميز وهم يقومون بتعذيب المعتصمين بصورة وحشية.

وألمح ناشطون إلى أن توقيت اطلاق الإنترنت قبل التوقيع النهائي على الاتفاق، يهدف من جهة ما إلى تعطيل الاتفاق بخلق رأي عام قوي ضد المجلس العسكري وإظهار موقف قوى الحرية والتغيير بالضعيف بقبول التفاوض وتقديم تنازلات ووضع أيديهم في أيدي ملطخة بالدماء، بينما ترى مجموعة أخرى أن تكوين الحكومة المدنية بأسرع ما يكون هو الضمان الوحيد للقصاص ومحاسبة الجناة.

وأعلنت جهات عديدة رفضها للاتفاق بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري ووصفته بالثنائي ومن تلك الجهات المنسقية العامة لمعسكرات النازحين واللاجئين في دارفور التي قالت عبر بيان رسمي أنها ترفض ما تم من اتفاق وأضافت: «نعلن رفضنا القاطع للمساومات الرخيصة التي تجري بين المجلس العسكري الانقلابي وقوى إعلان الحرية والتغيير باسم الثورة والشعب السوداني، والاتفاق الثنائي الذي وقعوا عليه هو خيانة للثورة ودماء الشهداء، ومحاولة يائسة لاستدامة حكم المؤتمر الوطني والأقلية الصفوية التي ظلت تحكم السودان منذ أن ورثت السلطة من الإنكليز في 1956».

وأضاف البيان الممهور باسم الشيخ عبد الرازق يوسف، أمين العلاقات والناطق الرسمي باسم المنسقية بأن هذا الاتفاق الثنائي الغرض منه قطع الطريق أمام تحقيق أهداف وشعارات الثورة المتمثلة في الحرية والسلام والعدالة، واسقاط النظام ومحاكمة المجرمين والسلطة المدنية الكاملة وحل قضية الحرب والنازحين واللاجئين.

ودعت المنسقية الشباب والنساء وقوى الثورة الحقيقية وجميع فصائل الشعب السوداني لمواصلة الثورة حتى تحقيق أهدافها المتمثلة في تغيير نظام عمر البشير الدموي وتصفية مؤسساته ومحاكمة رموزه واستعادة أموال الشعب المنهوبة وضمان عودة ملايين النازحين واللاجئين والمشردين وتعويضهم، وحل مشكلة الحرب من جذورها، وبناء دولة المواطنة المتساوية وسيادة حكم القانون.

هل يغرد جيش السودان خارج سرب العسكرتاريا العربية؟

صبحي حديدي

ثمة الكثير الذي يغري، وينفع الناس أغلب الظنّ، في إجراء دراسة موثقة محكَمة تقارن بين سلوكيات جيوش الأنظمة العربية إزاء انتفاضات الشعوب، منذ 2011 وحتى الساعة؛ ابتداءً من تونس وليبيا ومصر واليمن، وانتهاءً بالبحرين وسوريا والجزائر والسودان. بعض خلاصات دراسة كهذه سوف تسرد قواسم مشتركة عديدة بين عسكرتاريا الأنظمة هذه، في رأسها التشبث بالسلطة وكراهية تسليمها أو تناقلها، ورفض مغادرة القصور الرئاسية مع احتلال الثكنات في آن معاً، وتكريس عبادة السلاح وتقديس «جيش الوطن». كما ستسرد فوارق، بعضها ملموس وبعضها صارخ، في مدى استعداد كلّ جيش لإراقة الدماء وتخريب البلاد واستخدام أيّ وكلّ سلاح فتاك ضدّ الشعب.

من جانبي، شخصياً، لا أتردد في منح جيش النظام السوري، وتحديداً خلال49 سنة من حكم آل الأسد، بشراكة عوائل الاستبداد والنهب والفساد المعروفة؛ قصب السبق في الوحشية والبربرية والعنف العاري، وفي فقدان حسّ الانتماء إلى الوطن، والانحياز في المقابل إلى العائلة والعشيرة والطائفة أوّلا وأخيراً. ما من جيش لأيّ من الأنظمة السالفة، بما في ذلك جيش العقيد الملتاث معمر القذافي، اقتلع أظافر الأطفال وأطلق النار على المتظاهرين العزّل منذ الساعات الأولى لاندلاع التظاهرات السلمية؛ وبالتالي للمرء أن يتخيّل، محقاً بالطبع، مآلات جميع الانتفاضات العربية لو أنها جوبهت بجيوش على غرار جيش حافظ وبشار وماهر الأسد.

وتلك دراسة تنفع، راهناً، في قراءة مشهد السودان بعد أن أعلن وسيط أثيوبيا ومنظمة الوحدة الأفريقية التوصّل إلى مسودة لوثيقة اتفاق نهائي بين المجلس العسكري وقوى إعلان الحرّية والتغيير، يتوجب أن تشمل الإعلانين السياسي والدستوري، كما يتوجب أن تنظم مسارات الحكم في مستوياتها السيادية والتنفيذية والتشريعية. ومن الخير، هنا، التشديد على مدلولات الفعل «يتوجب»، إذْ أنّ التوقيع على الوثيقة تأجل من الخميس إلى مساء أمس السبت، وليس من المؤكد أن سلسلة القضايا العالقة (مهلة إرجاء تشكيل المجلس التشريعي، النسبة المئوية لقوى «الحرّية والتغيير» بالقياس إلى نسبة العسكر في عضوية المجلس، شخصية رئيس الوزراء، مرجعيات السلطة التنفيذية، مواقف الأحزاب خارج الكتل الستّ التي تشكّل مجموعة «الحرّية والتغيير»، التحقيق في مجزرة فضّ الاعتصام...)؛ سوف تجعل التوقيع سلساً وميسّراً وآمناً.

وحتى لو تمّت مراسم التوقيع، بالأحرف الأولى كما يتردد، وشهد عليها مندوبو دول عربية وأفريقية ودولية، وأقيمت الاحتفالات بانتصار تمهيدي لانتفاضة شعبية سلمية تجاوز عمرها الفعلي الأشهر الستة؛ فإنّ الأسئلة الأخرى، المنبثقة من الباطن العميق لإرث العسكرتاريا العربية وتقاليدها، سوف تظلّ قائمة ومطروحة وملقاة مثل حجر ثقيل على منضدة المستقبل: هل يمكن للجيش السوداني أن يفعلها، فيغرّد خارج سرب الجيوش العربية، وينحني أمام الإرادة الشعبية؟ وهل يفعل ذلك، حقاً، وهو وريث دكتاتوريات عسكرية وانقلابية متعاقبة لم تكن ثلاثة عقود من سلطة عمر حسن البشير سوى أحد فصولها؟ ومَن الذي سيفعلها: أمثال عبد الفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو وسواهما من الضباط الأعلى إخلاصاً لشخص البشير حتى عهد قريب، والأشدّ انتماءً اليوم أيضاً إلى الإرث الانقلابي إياه؟ وما معنى الإعلان عن إحباط محاولة انقلاب عسكرية في هذا الظرف الراهن تحديداً، قبيل ساعات على توقيع مسودة الوثيقة؟

نعرف، في كلّ حال، أنّ المجلس السيادي المزمع تشكيله سوف يحكم لمدّة تزيد قليلاً عن ثلاث سنوات، وفي عضويته سوف يحضر العسكر بعديد ملحوظ، والأهمّ من هذا أنهم سوف يحافظون خارج المجلس على سطوة الجيش دون أيّ مساس بحجمه أو قوّته أو صلاحياته؛ يستوي في هذا أن تبقى بعض الكتائب في صيغتها النظامية، أم يواصل بعضها الآخر صفة الميليشيا الجنجويدية على شاكلة «قوات الدعم السريع».

ونعرف، استطراداً، أنّ جنرالاً شبّ على الانقلاب، سوف يحلو له المشيب عليه خلال المرحلة الانتقالية!

السنة الحادية والثلاثون العدد 9603 الأحد14 تموز (يوليو) 2019 – 11 ذو القعدة 1440 هـ

السودانيون يستعدون للاحتفال بنقل السلطة وصعوبات تواجه إقرار الإعلان الدستوري

عمار عوض

يستعد السودانيون هذا الأسبوع للاحتفال بأكبر عملية انتقال سياسي للسلطة في الفترة الأخيرة، بعد ثورة سلمية قامت على شكل تظاهرات واعتصامات أذهلت العالم واستمرت نحو نصف عام، تخللتها الكثير من الأحداث. حيث من المفترض ان يعقد السبت (أمس) اجتماع مفصلي بغرض المصادقة على وثيقة الاتفاق النهائي ومهرها بالأحرف الأولى بعد انتهاء لجنة قانونية مشكلة من المجلس العسكري وإعلان الحرية والتغيير من كتابة مسودة الاتفاق النهائية التي تشمل الإعلان السياسي والإعلان الدستوري الذي ينظم عمل وصلاحيات مستويات الحكم المختلفة التي جرى الاتفاق عليها (مستوى سيادي – تنفيذي – تشريعي).

وأشار أحد الموظفين في مكتب الوساطة الإثيوبية والافريقية في حديث لـ«القدس العربي» إلى تفاؤله بالتوصل إلى اتفاق سريع في اليومين المقبلين حسب المعطيات الموجودة لديه وقال «في حال مصادقة الطرفين على مسودة الاتفاق بشكلها النهائي في اجتماع السبت سيتم تشكيل لجان فنية من الجانبين للإعداد للاحتفال والتوافق على موعده المقرر له مبدئيا ما بين يوم غد الاثنين والخميس المقبل، بالإضافة إلى تحديد موقعه ما بين ساحة الاعتصام أمام القيادة العامة للجيش أو رمزيتها، أو اختيار أحد الساحات الكبيرة في الخرطوم لنفس الغرض. إلى جانب توجيه الدعوات لرؤساء دول الجوار وممثلين من الدول العربية والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة». لكن القيادي في قوى الحرية والتغيير محمد وداعة، وهو من كتلة نداء السودان، تحدث لـ«القدس العربي» قائلا «إن الأمر لن يمر بمثل هذه السلاسة، وكان من المفروض التوقيع على الاتفاق السياسي ومن بعد ذلك الدخول في مناقشة وتوقيع الإعلان الدستوري الذي يأخذ مشروعيته من الاتفاق السياسي» مشيرا إلى أنهم يدرسون الاتفاق السياسي الآن ليقرروا موقفهم منه وبعدها سيدخلون لدراسة تفاصيل الإعلان الدستوري وان ذلك ربما يأخذ وقتا.

وكان الحزب الشيوعي السوداني وهو أحد الأحزاب المؤثرة في الساحة، أصدر تصريحا باسم السكرتير السياسي للحزب محمد مختار الخطيب مستهجنا التأخير الذي لازم تسليم وثيقة الإعلان الدستوري لمطليهم، وزاد الخطيب بإعادة موقفهم الداعي لعدم مشاركة أي من أعضاء المجلس العسكري في المجلس السيادي، وهو ما أعتبره أحد قيادات قوى الاجماع الوطني مؤشرا لاتجاه الحزب لخلط الأوراق، وانه ربما يؤخر مسألة التوقيع على الاتفاق لوقت متأخر، لكنه عاد وقال «هم سيعرقلون سرعة الوصول لاتفاق لكنهم في النهاية لن يخرجوا عن اجماع القوى السياسية والشعب السوداني ليقفوا لوحدهم في موقف المخالف وسيقبلون بالاتفاق في نهاية المطاف مع بعض التعديلات الطفيفة».

ومن المنتظر ان يتم فور التوقيع النهائي للاتفاق تعيين رئيس الوزراء، وأعضاء المجلس السيادي من العسكريين والمدنيين، ومن جهة رئيس الوزراء ما زالت حظوظ الخبير الاقتصادي دكتور عبد الله حمدوك كبيرة جدا لإجماع كل الكتل عليه إلى جانب عنه «القدس العربي» الأسبوع الماضي. ولكن في مقابل ذلك ارتفعت أسهم رئيس حزب المؤتمر السوداني المهندس عمر الدقير، على غير ما كان متوقعا، وفي هذا الخصوص قال محمد وداعة القيادي في حزب البعث السوداني «أولا الدقير هو مرشح أحزاب نداء السودان – وهو تجمع صغير يضم 6 أحزاب داخل كتلة نداء السودان ليس من بينها حزب الأمة أو الحركات المسلحة– وحظوظه كبيرة إذا تم اعتماد مبدأ الكفاءة والحزبية معا، أو إذا ذهبت المعايير إلى الكفاءة والاستقلالية، ففي هذه الحالة أما ان يستقيل الدقير من رئاسة الحزب وهذا الأمر يعود له إن أراد ذلك، وما زال النقاش قائما على المعيار للاختيار هل هو حزبي وكفاءة، أم مستقل؟».

يشار إلى ان الدقير ينتظره مشوار طويل، ان يتم اعتماده في كتلة نداء السودان أولا والتي تضم أحزابا وتنظيمات سياسية وحركات مسلحة، وهو اجماع صعب المنال، ومن ثم تنتظره موافقة الكتل الخمس في تحالف الحرية والتغيير، وهو أمر صعب أيضا، ومن ثم تجاوز معيار الكفاءة والاستقلالية.

وكان من المتوقع ان يتم التوقيع على الإعلان الدستوري والإعلان السياسي بالأحرف الأولى يوم الخميس في اجتماع دعت له الوساطة الافريقية بعد الفراغ من الصياغة القانونية، لكن حال دون ذلك تمسك بعض مكونات قوى الحرية والتغيير مثل تحالف قوى الاجماع بضرورة تسلم المسودة من أجل الاطلاع عليها قبل التوقيع، ومع ذلك تواصل الاجتماع بغرض تلافي النقاط المختلف عليها في الصياغة، ومنها هل سلطة مجلس السيادة هي (الاعتماد) للوزراء بدون إبداء رأي حولهم أم تستخدم صيغة (التشاور) التي تعني إعطاء سلطة الرفض أو القبول؟ وتم تجاوزها باستخدام لفظ (الاعتماد) إلى جانب صيغة ارجاء تشكيل المجلس التشريعي لـ 90 يوما، حيث كانت تطالب قوى الحرية والتغيير بتثبيت موقفها الداعي لمنحها 67 في المئة من عضوية المجلس فيما رفض العسكر ذلك، وتم اعتماد صيغة (يحتفظ كل طرف بموقفه حول نسب المجلس التشريعي إلى ما بعد تشكيل المجلس السيادي ومجلس الوزراء) من دون تفصيل في موقف كل طرف.

وفي غضون ذلك عقد وفد من قوى الحرية والتغيير اجتماعا مع مكوناتها من قوى الكفاح المسلح في أديس أبابا التي تضم الحركة الشعبية لتحرير السودان قيادة عقار وحركة تحرير السودان بقيادة منى اركو مناوي وحركة العدل المساواة.

وقالت مريم الصادق المهدي، نائبة رئيس حزب الأمة القومي عضو الوفد: «إن اجتماعنا أديس أبابا مع الجبهة الثورية، والحركات المسلحة الأخرى، تهدف إلى إجراء حوارات ومشاورات عميقة وجادة حول القضايا الوطنية والتحول الذي ينشده السودانيون» وأضافت «إن القضايا التي تهم قوى الحرية والتغيير تتمثل في كيفية سير التحول الديمقراطي مع صنع السلام في السودان ووقف الحرب».

وأوضحت أن عملية بناء السلام تستغرق وقتا، مشيرة إلى أن قوى الحرية تبحث التفاصيل الجزئية الخاصة بالأشهر الستة الأولى من الاتفاق والمخصصة للسلام.

وزادت: «هذه الجزئية تم التوافق عليها في الاتفاقية، لكنها لم تفصل هذه المرحلة المهمة، لذلك نعقد هذه الاجتماعات لبحث طريقة تنفيذها». من جهته، قال القيادي في تجمع المهنيين السودانيين محمد ناجي الأصم: «إن لقاءات وفد قوى الحرية والتغيير مع الجبهة الثورية تهدف إلى تنوير قيادة الجبهة الثورية بما تم وبما يدور مع المجلس العسكري الانتقالي». وأضاف في تصريحات صحافية أنهم حريصون على ترتيب الوضع الداخلي التنظيمي والهيكلي لقوى الحرية والتغيير بشكل أفضل، حتى يستوعب كافة المكونات بالقدر المناسب والمعقول الذي يعبر عن الجميع.

وتابع: «تماسك قوى الحرية والتغيير أولوية استراتيجية لتماسك الفترة الانتقالية» نافيا وجود أي تباين مع الحركات المسلحة.

وأوضح الأصم أنه التقى رئيس الوزراء الإثيوبي في أديس أبابا، بطلب من الأخير كوسيط لطرفي الأزمة في الخرطوم، وأكد له ضرورة حضوره في مراسم التوقيع النهائي للاتفاق المنتظر بين طرفي الأزمة السودانية، كجزء أساسي في الوثيقة.

وفي ظل كل هذه المعطيات تبقى الاحتمالات مفتوحة نحو توقيع سريع على الاتفاق آخر الأسبوع المقبل وما بين العودة لنقطة الصفر في التفاوض في ظل تعنت بعض القوى السياسية المؤثرة إلى جانب معضلة اتفاق قوى الحرية والتغيير على مرشح مجمع عليه لرئاسة الوزراء وأعضاء المجلس السيادي، وهي مهمة لن تكون سهلة في أي حال من الأحوال.

في أربعينية فض «الاعتصام» انطلاق مسيرات وسط السودان

خرج مئات المتظاهرين السودانيين، السبت، في مسيرات «العدالة أولا» التي دعت إليها «قوى الحرية والتغيير» بمدينتي الخرطوم ومدني، وسط البلاد، حسب شهود عيان.

وأفاد الشهود بأن متظاهرين خرجوا في منطقة الحاج يوسف شرقي الخرطوم، وآخرين في مدينة مدني وسط البلاد، استجابة لدعوة قوى الحرية والتغيير.

وتأتي الحشود، قبل ساعات من الموعد الذي أعلنته، قوى الحرية والتغيير، لانطلاق مواكب «العدالة أولا» التي دعت إليها، بمناسبة مرور 40 يوما على أحداث فض اعتصام المحتجين أمام مقر قيادة الجيش في الخرطوم.

وذكر تجمع المهنيين السودانيين، على صفحته على فيسبوك، أن مئات الطلاب الجامعيين في الخرطوم وأم درمان، خرجوا في مظاهرات استجابة للدعوة، وهم يحملون صورا لضحايا فض الاعتصام.

وقالت القوى في بيانها، إن «محاسبة الجناة والمجرمين على الجرائم والانتهاكات التي تم ارتكابها في مجزرة اعتصام القيادة العامة دين واجب السداد، لا تملك أي قوى سياسية أو نقابية أن تتهاون فيه أو تتنازل عنه».

وأضاف البيان: «التحقيق المستقل والشفاف في هذه الجرائم وتقديم المسؤولين عنها (من أمر وخطط ونفذ) للعدالة مطلب لا التفاف عليه».

وتحمل المعارضة المجلس العسكري، مسؤولية فض الاعتصام أمام قيادة الجيش في 3 يونيو/حزيران الماضي، والذي أدى إلى سقوط 128 قتيلا وفق المعارضة، فيما تقول آخر إحصائية حكومية إن عددهم 61 قتيلا.

وصباح الجمعة، أعلن الوسيط الافريقي محمد الحسن ولد لبات، اتفاق المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير «اتفاقاً كاملاً على الإعلان السياسي المحدد لكافة هيئات المرحلة الانتقالية».

وكشف أن المجلس العسكري وقوى إعلان الحرية والتغيير اتفقا أيضا على الاجتماع السبت، «للدراسة والمصادقة على الوثيقة وهي الإعلان الدستوري».

Volume 31 - Issue 9603 Sunday 14 July 2019

مآلات الوضع في السودان

درة قمبو

ما ان نضح حقيقة أن السودان خارج لتوه من ثلاثين سنة من الحكم العسكري الدموي، حتى ندرك أن جولة وحيدة لا يمكن تصور انها قادرة على نسف كل ذلك الماضي الرهيب، فطبيعة التغيير في مثل هذه الأحوال في الغالب تستدعي دورات من الكفاح لتفكيك نظام أورث السلطة لمجموعة عسكرية رباها رأسها المخلوع عمر البشير، ومعها قدر من الكيد يستحيل تجاهله متمثلاً في ميليشيا الدعم السريع التي روعت دارفور لسنوات طويلة، قبل أن تنتقل بالمشاهد نفسها للعاصمة السودانية الخرطوم وغالب المدن الأخرى الكبرى خارجها بعد سقوط البشير وقبيل الوصول لاتفاق تقاسم السلطة بين العسكر والمدنيين الثوريين في الأيام القليلة المنصرمة. هذا الاتفاق ما كان للمجلس العسكري الانتقالي سليل عهد الرئيس المخلوع عمر البشير، أن يمضي إليه راغباً، وما حمله عليه الخوف من تبعات فعلته الشنيعة في الثالث من حزيران/يونيو الماضي حين فض الاعتصام السلمي أمام قيادة الجيش السوداني في الخرطوم شرق، ووسطاء، ولا ضغط الوسطاء الافارقة والإثيوبيين فحسب، بل ما رأه من حرك الشارع الثوري الحي في الثلاثين من حزيران/يونيو، حين دعت قوى ثورية لموكب في الذكرى الثلاثين للانقلاب الذي قاده العميد حينها عمر البشير بتدبير من الإسلاميين السودانيين الذين يتزعمهم الراحل حسن الترابي. ففي مشهد فاجأ المتظاهرين أنفسهم، غصت الشوارع بملايين المواطنين الرافضين للمجلس العسكري والمستنكرين لما اصطلح الشارع الثوري على تسميته بمجزرة القيادة العامة، خلافاً للتوقعات التي جعلت كثيرين يظنون أن الدماء المراقة في آخر أيام شهر رمضان ستخوف الثوار وتجعلهم أسرى إما للصدمة أو اليأس.

وعلى الرغم من أن الاتفاق في رأي كثيرين منح العسكر وضعاً ما كانوا ليحلموا به، إلا أن الاعتقاد بأنهم سيبقون عليه لن يكون من حسن الفطن، فقائدا المجلس العسكري الأبرز الفريق أول عبد الفتاح البرهان ونائبه الفريق محمد حمدان دقلو الشهير بـ«حميدتي» لم تكن سيرتهما زاهية خلال فترة عملهما تحت إمرة الرئيس المخلوع البشير في دارفور، إذ راجت مقاطع صوتية وانتشرت شهادات تشير لتورط البرهان إبان وجوده هناك في انتهاكات كبيرة في الإقليم الذي عانى من الحرب لأكثر من عقد ونصف، كما أن سجل حميدتي لا يمكن وصفه بالحميد في سنوات صعوده ولمعان نجمه كقائد لميليشيا الجنجويد سيئة السمعة، بل أن الشكوك حول أدوارهما في الماضي، تعززت وربما تحولت ليقين عقب تورط المجلس العسكري في فض الاعتصام السلمي صبيحة آخر أيام شهر رمضان، ومع هذا فالرجلان على الأرجح سيحتفظان بمكان جيد في هياكل السلطة المدنية المقبلة، ما يعني منحهما شرعية معنوية، تعزز من رغبة مجلسهم في الانفراد بالحكم والتي ظهرت بشكل جلي منذ الأسابيع الأولى للانقلاب.

بدأ المجلس العسكري الانتقالي خطابه للشعب السوداني بأنه لا ينوي السيطرة على مقاليد الحكم في البلاد، وإنه فقط يعتزم تسليم السلطة لحكومة مدنية وفق مطالب الشارع الثوري، لكنه سرعان ما انطلق ينازع المدنيين المتفاوضين معه على نسب وتقاسمات، لم يكن حده المشاركة في المجلس السيادي بأرجحية العدد والرئاسة لصالحه، وهو ذات المجلس الذي تعهد بحماية الاعتصام وردد مراراً وتكراراً نفي نيته فضه، لكنه هو نفسه من اعتدى عليه بوحشية وقتل بدم بارد واغتصب وجرح المئات من المعتصمين في نهاية شهر الصوم، ثم في اللحظة ذاتها أعلن تراجعه عن اتفاقه السابق مع قوى الحرية والتغيير التي أقر بها ممثلاً وحيداً للثورة ، قبل ان يبرر نكوصه عن الاتفاق المبدئي، بقوله إن تلك القوى السياسية لا تمثل الحراك الشعبي الثوري!!

كل تلك الأفعال وبشكل متوالي، أسست لحالة من فقدان الثقة في المجلس العسكري من قبل مفاوضيه وأيضاً الشارع الثوري المساند له، سيما مع الصلات غير الخفية بين المجلس العسكري والمعسكر السعودي الإماراتي. فليس سراً الحديث عن علاقة الفريق أول عبد الفتاح البرهان بأبو ظبي التي عاد منها لتوه وقتها للانضمام لمجموعة الانقلاب الأولى على البشير، حيث يتنقل بينها واليمن منذ أكثر من عام بحكم منصبه كمفتش عام للجيش السوداني، أما نائبه الفريق محمد حمدان دقلو، فهو حسب اعترافه في خطاب جماهيري لجامع بشرية محشودة له في الخرطوم، ينشر في اليمن وحدها نحو (30) ألف مقاتل ضمن التحالف السعودي الإماراتي في تلك البلد، هم من جنديه في ميليشيا الدعم السريع في نسختها المطورة عن ميليشيا الجنجويد، حيث يتقاضى عنهم مئات الآلاف من الدولارات مقابل قتالهم ضد الحوثيين.

رابطة المصالح تلك تصعب من تصور رغبة حميدتي في التخلي عن مصدر قوته المادية والسياسية، فنوايا القوى السياسية الصاعدة مجدداً مع الحراك الشعبي بحل ميليشيا الدعم السريع التي جرى تنسيبها للجيش السوداني، لم تكن يوماً مخفية، كما أن أي سلطة لا تتناغم مع مطلب الشارع بإعادة الجنود السودانيين من اليمن لن تحظى بالقبول الشعبي، ما يحيل مباشرة لفقدان حميدتي كل أوراقه، فيحيى بلا مال ولا ورقة ضغط سياسي على الداخل الذي يخشى من انتشار أكثر من (409 ألف مقاتل شاب، بأفضلية تسليح على كل القوات النظامية الموجودة في البلاد مع حضور بشكل لافت، مع إثارة المتاعب في قلب المدن وخصوصاً العاصمة الخرطوم من اعتداءات جسدية على السكان وممتلكاتهم.

يضاف إلى ذلك إحاطة بعض جماعات المصالح من نظام الرئيس المخلوع البشير وكذلك مجموعات إسلامية متطرفة - رغم تقاطعاتها مع المحور القطري التركي– بالمجلس العسكري، وتغذيتها له بمزاعم أمكانية استمراره في سدة الحكم بمعاونتها وأحزاب سياسية صغيرة، استناداً على الدعم السعودي الإماراتي الذي دلل على قوته في مواجهة الضغوط الخارجية المحتمل وقوعها على المجلس، على الأقل بسابقة دعمه لنظام عبد الفتاح السيسي في مصر، فالرجل من قائد انقلاب على شرعية دستورية للراحل مرسي، إلى رئيس بكامل وضعية الرئاسة حتى بات حالياً رئيساً للاتحاد الافريقي بعد مروره بنفس الضغوط والمطبات التي بدأت بالظهور في طريق المجلس العسكري، بدءاً من عقوبات الاتحاد الافريقي الموقعة على عسكر الخرطوم وتجميد عضوية السودان في الاتحاد.

ومع تزايد الغضب الشعبي عقب عودة خدمة الإنترنت من أن المجلس العسكري كان يضمر سلفاً فض الاعتصام وفق تسريبات صحافية وكذلك الفيديوهات التي وثقت للهجوم على المعتصمين، يبقى عصياً على المراقب التكهن بصمود أي اتفاق مع المجلس العسكري المهدد بالمحاسبة القانونية على جريمة فض الاعتصام التي أقر بها متحدثه الرسمي الفريق شمس الدين كباشي ولم تفلح محاولات نفيها من البرهان وحميدتي لاحقاً، وهو ذات المجلس الذي لن يروقه تمرير بند لاتفاق بنصه على ان من يثبت تورطه من أعضائه في مجزرة القيادة العامة سيقدم للمحاكمة، ولن يشعر بالطمأنينة مع مطالبات قوى سياسية حية بإعادة هيكلة جهاز الأمن والمخابرات وقوات الدعم السريع على الأقل، وهم يعلمون أن النية هي حل القوتين غير المريحتين للشارع، وهما أهم الركائز التي يعتمد عليها في القمع منذ وصوله للسلطة.

أزمة السودان السياسية

السودان: الفرق الشاسع بين شريط الفيديو والذرائع

سيد احمد علي بلال

كيف يمكن التفكير بأقل قدر من الانفعال بشأن الفيديوهات التي تسربت وانتشرت بعد عودة شبكة الإنترنت بعد قطعها عشية فض الاعتصام أمام مباني قيادة القوات المسلحة في العاصمة السودانية الخرطوم؟

تطرح الفيديوهات مجموعة من الأسئلة المشروعة:

هل كان اعتراف الفريق الكباشي بأن كل القيادات العسكرية قد اتخذت قرار فض الاعتصام في حضور القضاء والادعاء العام لأخذ مشورتهم؟ هل كان في ذلك الاعتراف إخفاء للحقيقة؟ هل كان ذاك الاعتراف حقيقياً أم انه تحمُّل جماعي لجريمة ارتكبها عضو واحد من أعضاء المنظومة؟

هل كان ذلك الاعتراف الجماعي يتضمن تسليم أشرطة فيديو تم فيها تصوير فقرات من عمليّة فض الاعتصام بغية التحكم في بعض عناصر الاعتصام وتركيعهم عند اللزوم؟

هل مصوّر أشرطة الفيديو متطوّع أم محترف، وهل أقدم على عمل كهذا بدون إذن من سلطة عليا؟ ولما لم يثر إقدامه على التصوير اعتراضا من زملائه؟

من الذي احتفظ بالصور طوال هذه الفترة الممتدة من 4 حزيران/يونيو إلى 9 تموز/يوليو 2019 وأين احتفظ بها؟ وهل كان قطع الإنترنت قد تم بقصد منع تسرب الفيديوهات؟ وهل يفهم في هذا السياق فهم ما قاله أحد أعضاء المجلس العسكري بأن قطع الإنترنت يمثل إجراءً يتعلق بالأمن القومي؟

ما الهدف وراء تسريبها ونشرها الآن؟

القتلى والانتهاكات

منذ أن تم فض الاعتصام كانت ثمة تقديرات تشير إلى أن هناك جريمة أكبر وصور فيديو أكثر وأهداف متعددة، لذلك ارتفعت عدة أصوات مطالبة بإعطاء أولوية لعملية التحقيق في كل عملية فض الاعتصام. وقد حاول المجلس العسكري أن يقيم مغالطة بشأن تقديرات نقابة الأطباء وتقديرات وزارة الصحة حول عدد القتلى، ولكن أي حكومة تحترم نفسها كانت ستهتم بعدد المفقودين، فهو المعيار العددي الذي تبدأ منه أي محاولة للتحقق من عدد القتلى والجرحى والغرقى والذين ما زالو مجهولي المصير. إن ما تظهره الفيديوهات يمثل عملية استباحة تقوم بها جيوش أجنبية غازية في أزمان غابرة.

كان الفريق البرهان قد قال إنّهم أوقفوا المفاوضات حين سمعوا بعض أعضاء الفريق المفاوض لهم يقول «لقد كسبنا»؛ إن ما تظهره الفيديوهات يمثل استباحة كاملة شملت نساء وأطفالا وصبيانا وصبيات وشريحة اجتماعية وصلت لما قد يبلغ حد اليقين بالأمان في ذلك المكان بعد أن طمأنهم القادة العسكريون بانه لن يتم فض الاعتصام. وجاء تنفيذ المذبحة في فجر يوم 3 حزيران/يونيو الموافق 29 رمضان من الساعة الثالثة وحتى التاسعة صباحاً.

الفيديوهات

إن الفيديوهات البشعة بما حملته من عنف وقتل وإذلال واغتصاب تفرض الآن على كل المشاركين في عمليات التفاوض الماضية والآنية والمقبلة اعتبار التحقيق في عملية فض الاعتصام أولوية، وأن أيّ معيق لها يعتبر مجرماً وأيّ إعاقة لها جريمة ويُحوّل التفاوض من ممكن على تقاسم سلطة بين عسكريين ومدنيين إلى تفاوض مستحيل لتقاسم سلطة بين مجرمين وضحايا.

إن ما حدث يجعل التحقيق في المذبحة على رأس أولويات المرحلة الانتقالية.

وهناك أسئلة أخرى يمكن التحقق منها بسهولة مثل: من هم العسكريون الذين ظهروا في الفيديوهات؟

وبالطبع فإن ظهور فيديو واحد من هذه الفيديوهات يلزم القيادة العسكريّة والمدنيّة بإجراء تحقيق عاجل حوله. ونتساءل كيف يُسمى أو يُعرّف المجلس العسكري بأنّه المجلس العسكري الحاكم – بينما الذين يظهرون في الفيديوهات ويقتلون الناس ويذلونهم عسكريون يرتدون الزي العسكري؟

تفشي الحقد

كنت أود الكتابة عن التحديات التي ستنتصب أمام الحكومة بعد التوقيع على الاتفاق من جانب المجلس العسكري وقوى بيان الحرية والتغيير، فاستطلعت آراء البعض وعلى رأسهم احمد الحاج، وهو زميل دراسة سابق لم يغادر السودان إلى المهاجر، عن تصوره لهذه التحديات فقال «على المدى القريب لا أشك في نية الطرفين الشريكين في تنفيذ الاتفاق؛ أما على المدى البعيد فإن أكثر ما أخشاه هو الحقد الدفين الساكن في صدور الإسلامويين والمتمثل في رفضهم الظاهر لأي تحول ديمقراطي للمشهد السياسي في البلد، بل أخشى أن تكون لديهم خلايا داخل القوات المسلحة تقادم بالقيام بانقلاب على السلطة التي توقع الآن على الاتفاق، وأضيف بأن الإسلاميين هم مجموعة لا تعرف ممارسة العمل السياسي بهدوء وروية وانما يلجأون دائماً للعصا والبندقية، وبعد ذلك يفشلون في الحكم». ويضيف احمد قائلاً إن «النقطة الهامة الأخرى – احدى غايات الثوار، هي محاكمة الفاسدين الذين نهبوا مليارات ودفعوا بالملايين نحو خانات الفقر المدقع. أخشى أن يتباطأ العسكر في محاكمتهم وذلك مما يشكك في أنهم على علاقة بالحكام السابقين. فإذا مرت الأشهر الأربعة الأولى بسلام فلا خوف علينا».

عوائق

قال مدني عباس مدني، أحد قادة قوى بيان الحرية التغيير في لقاء جماهيري يوم 9 تموز/يوليو في حي كوبر في مدينة الخرطوم بحري «كلما أحرزنا تقدما في مسار التفاوض واجهتنا عمليات إعاقة كبيرة» فهل تسرب وانتشار أشرطة الفيديو «عملية إعاقة كبيرة أخرى»؟ قد تكون. ولكنها وضعت التحقيق في عمليّة فض الاعتصام، وما صاحبها من جرائم وما تمخض عنها من أدلة نقلتها الفيديوهات، أولويّة تكاد تكون دوليّة.

خطوط حمراء

كتب عثمان النصيري مؤخراً مقالة تم نشرها وتداولها على نطاق واسع تحت عنوان «الجريمة والعقاب» تناول فيها حديثا دار في مؤتمر كان مترجماً فيه حضره نصر أبو زيد وجورج طرابيشي وآخرون، وقال أن «الفقيدة مي غصوب، الناشرة اللبنانية، المفرطة المريضة مع فقدان الاحساس والتعاطف واحاسيس عقدة الذنب والندم. ويختلفان في أن المعتلين النفسيين عادة يكونون أكثر ذكاء ومقدرة في إخفاء مشاعرهم والسيطرة على انفعالاتهم مما يجعلهم ناجحين اجتماعياً وأكثر مقدرة في السيطرة على الآخرين وتحقيق مطالبهم. بينما يكون المعتل الاجتماعي أقل ذكاء وأقل سيطرة على مشاعره وأكثر دموية وعنفاً. ويحتاج المعتل النفسي، الذي عادة لا يلوث أياديه بالدماء، للمعتل الاجتماعي لتحقيق أهدافه وتنفيذ جرائمه بالنيابة عنه.

ويستنتج مجدي اسحق أن المعتل الاجتماعي يكون في الواجهة وينال النصيب الأعلى من الذنب والعقاب لأن أياديه هي الملطخة بالدماء ولكن في الحقيقة فإن المعتل النفسي إن لم يماثله في الجرم فهو أسوأ منه وأكثر خطراً وتوحشا. لذلك، يخلص إلى أن «الحملة الغاضبة ضد الجنجويد وكوادر الأمن وكتائب الظل والمطالبة بالقصاص تغفل عن منطق العلم وحقائقه عندما تنظر فقط لمن ضغط الزناد وتتجاهل من صنع الوحوش وأطلقها من عقالها».

للنزاعات ومبدأ المصالحة وبرامج التعويض والاسترداد وتأسيس قاعدة لتحري الأسباب الكامنة وراء النزاعات وغيرها».

المعتل النفساني والمعتل الاجتماعي

أما طبيب الطب النفساني الدكتور مجدي اسحق، فأورد في معرض تحليله لجرائم القتل والاغتصاب التي حملتها الفيديوهات اللعينة ان «علم النفس يقسم عالم الوحوش إلى معتل نفسي وهو الذي يحرك الخيوط؛ ومعتل اجتماعي وهو الذي يقوم بالتنفيذ».

يعتبر مجدي اسحق أن المعتل النفسي والمعتل الاجتماعي يشتركان في السمات العامة بذاتيتهما المفرطة المريضة مع فقدان الاحساس والتعاطف واحاسيس عقدة الذنب والندم. ويختلفان في أن المعتلين النفسيين عادة يكونون أكثر ذكاء ومقدرة في إخفاء مشاعرهم والسيطرة على انفعالاتهم مما يجعلهم ناجحين اجتماعياً وأكثر مقدرة في السيطرة على الآخرين وتحقيق مطالبهم. بينما يكون المعتل الاجتماعي أقل ذكاء وأقل سيطرة على مشاعره وأكثر دموية وعنفاً. ويحتاج المعتل النفسي، الذي عادة لا يلوث أياديه بالدماء، للمعتل الاجتماعي لتحقيق أهدافه وتنفيذ جرائمه بالنيابة عنه.

ويستنتج مجدي اسحق أن المعتل الاجتماعي يكون في الواجهة وينال النصيب الأعلى من الذنب والعقاب لأن أياديه هي الملطخة بالدماء ولكن في الحقيقة فإن المعتل النفسي إن لم يماثله في الجرم فهو أسوأ منه وأكثر خطراً وتوحشا. لذلك، يخلص إلى أن «الحملة الغاضبة ضد الجنجويد وكوادر الأمن وكتائب الظل والمطالبة بالقصاص تغفل عن منطق العلم وحقائقه عندما تنظر فقط لمن ضغط الزناد وتتجاهل من صنع الوحوش وأطلقها من عقالها».

غياب الظهير الإقليمي للتغيير يفرض سياسة النفس الطويل والتنازلات المتبادلة بين الأطراف في السودان

إبراهيم نوار

تعلمنا ثورة الشعب السوداني من أجل الحرية والتغيير ان حلم تحقيق التحول الديمقراطي في العالم العربي لم يتلاش تحت ركام اخفاقات ثورات الربيع العربي، بل إنه يزداد شبابا وقوة مع الأيام. ثورة لم تزرع اليأس في نفوس السودانيين وإنما زرعت الأمل، كما إنها علمتهم الكثير من الدروس.

الدروس التي تعلمها السودانيون كثيرة، منها ان هشاشة وضعف الأحزاب السياسية التقليدية تفرض ابتكار أشكال جديدة للتنظيم، واعتماد أساليب جديدة للعمل الثوري، فكانت قوى إعلان الحرية والتغيير، وفي القلب منها دور تجمع المهنيين في السودان الذي يضم فئات الطبقة الوسطى الأكثر ديناميكية من المعلمين إلى القضاة مرورا بالطيارين والمهندسين والأطباء وغيرهم. ومن الدروس أيضا ضرورة ممارسة أقصى درجات ضبط النفس والمرونة والصمود لأطول وقت ممكن مع إبقاء جذوة الثورة مشتعلة.

بعد 198 يوما من الاحتجاجات السياسية المستمرة والمنظمة، التي تواترت فيها عمليات الكر والفر، وسالت فيها دماء، وأزهقت أرواح، توصل تحالف قوى الحرية والتغيير إلى اتفاق مع المجلس العسكري الانتقالي، لإدارة البلاد خلال مرحلة انتقالية مدتها 3 سنوات (أو تزيد)، يجري خلالها إعداد البلاد للانتقال إلى حكم مدني مستقر من خلال انتخابات تشريعية وحكومة مسؤولة، وقواعد دستورية محددة لتداول السلطة وللتجديد السياسي.

اتفاق تقاسم السلطة في المرحلة الانتقالية، الذي تم إعلانه في 5 تموز/يوليو، هو ثمرة وساطة جادة بدأها رئيس الوزراء الإثيوبي أبيي أحمد، بعد أيام من مذبحة فض الاعتصام حركة الاحتجاج المدني خارج مقر وزارة الدفاع السودانية، وهي الوساطة التي انضم إليها الاتحاد الافريقي رسميا، وساعد على نجاحها، من خلال ترتيبات مفاوضات شاقة ومتقطعة، بين ممثلين من تحالف الحرية والتغيير والمجلس العسكري الانتقالي. استغرقت المفاوضات ما يقرب من أربعة أسابيع، وكانت النقاط الشائكة فيها تتضمن صلاحيات مجلس السيادة المؤقت، وطريقة تشكيله، ونسبة التمثيل للطرفين المشاركين فيه. وقد تم الاتفاق على تشكيل المجلس السيادي من 11 عضوا، خمسة من المدنيين، وخمسة من العسكريين، وواحد يتفق عليه الطرفان، وتقسيم عمر المجلس إلى فترتين الأولى 21 شهرا يتولى فيها العسكريون القيادة، والثانية 18 شهرا يقوده فيها المدنيون.

ولا يعتبر اتفاق تقاسم السلطة انتصارا لطرف على آخر، ولا يعبر عن ميزان القوى النهائي بين الطرفين، وإنما ينطوي على تنازلات متبادلة بين الطرفين، وأظن أن توازن القوى الداخلي، وضغوط الأطراف الخارجية، كانا الدافع إلى توقيعه، مع استمرار الباب مفتوحا خلال السنوات الثلاث التالية لصراع محكوم، سيحاول كل طرف تعديل ميزان القوى الداخلي لصلحته، تمهيدا للموقعة الكبرى التي ستحدد شكل وطبيعة النظام السياسي الجديد. ويمكن القول إجمالا ان الاتفاق هو انتصار لإرادة الشعب السوداني.

دور مصر والاتحاد الافريقي

لكن الاتفاق يعكس حقيقة واضحة، تتمثل في غياب مؤسسات عربية كبرى مثل جامعة الدول العربية، وقوى إقليمية رئيسية مثل السعودية، عن الإدارة المباشرة لمفاوضات الوساطة. وتعتبر مصر أهم الأطراف الإقليمية ذات المصالح الاستراتيجية طويلة الأجل في السودان اقتصاديا وعسكريا.

وقد عقدت مصر اتفاقا دفاعيا شاملا مع النظام السابق في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، ينص على إقامة شراكة استراتيجية بين مصر والسودان في مجالات تسيير دوريات لتأمين الحدود المشتركة، ومحاربة الإرهاب وعمليات التهريب العابرة للحدود، وإقامة استثمارات مشتركة في قطاعات الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي للأغراض العسكرية. ويعبر هذا الاتفاق عن مصلحة مصر الاستراتيجية في تحقيق استقرار في السودان، وفي دول الجوار بشكل عام، لتوفير مقومات محاربة الإرهاب وإقامة بنية قوية للتعاون المشترك.

لكن تطبيق هذا الاتفاق الذي وقعه وزيرا دفاع البلدين تعرض لضغوط التوتر في العلاقات بين البلدين في الأشهر التالية. على الرغم من محاولات الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي احتواء الخلافات ودفع العلاقات المشتركة مع السودان إلى بر الأمان. إلا أن هذا التوتر وصل إلى أقصاه في اذار/مارس الماضي أي قبل الإطاحة بالبشير بأسابيع محدودة، عندما أشعلت السلطات السودانية نزاعا ضد مصر واتهمتها بمنح امتيازات للتنقيب عن النفط والغاز في أربع مناطق تقع داخل حيز مثلث حلايب وشلاتين الذي تعتبره إقليما سودانيا لا يحق لمصر منح امتيازات فيه لأي طرف آخر.

وعلى الرغم من أن مصر هي الأخرى غابت عن مفاوضات الوساطة، فإن رئاستها الحالية للاتحاد الأفريقي، ضمنت استمرار دورها في المفاوضات، في إطار الضوابط التي وضعها مجلس السلام والأمن الافريقي، منذ قرر الاتحاد تعليق عضوية السودان في 6 حزيران/يونيو الماضي.

وقد قرر الاتحاد الافريقي بما لا يقبل اللبس والجدل، أن المجلس العسكري الانتقالي يجب أن يفتح الطريق لإقامة حكم مدني ديمقراطي في أسرع وقت ممكن. ودعا إلى ضمان حرية الاحتجاج السلمي. واقترن القرار بتجميد عضوية السودان في منظمات الاتحاد الافريقي، وقد حظي بتأييد دولي واسع النطاق، فصدرت بيانات صريحة تدعمه من جانب الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها.

وقد أدى قرار الاتحاد الافريقي إلى تغيير الموقف التفاوضي للمجلس العسكري الانتقالي، وأجبره على التراجع عن قراره وقف التفاوض نهائيا مع تحالف الحرية والتغيير.

ولم يتوقف الاتحاد عن الضغط بقوة بعد إصدار قرار تجميد عضوية السودان، وإنما شكل مجموعة عمل لإدارة وساطة بين الطرفين، بالتوازي مع تحرك رئيس الوزراء الإثيوبي، الذي توجه إلى الخرطوم في 7 حزيران/يونيو للتوسط مباشرة، وحث الطرفين على التقارب من أجل تحقيق الاستقرار والديمقراطية في السودان.

لكن دور كل من الإمارات والسعودية كان واضحا جدا في علاقتهما بقيادات المجلس العسكري الانتقالي في السودان، خصوصا مع نائب رئيس المجلس الجنرال محمد حمدان دقلو قائد قوات الجنجويد ذات السمعة السيئة، الذي قام بأول زيارة خارجية لتمثيل المجلس، إلى السعودية والالتقاء بولي العهد السعودي الحاكم الحقيقي في 24 ايار/مايو الماضي.

ومن المعروف أن القسم الأهم من القوات السودانية المشاركة في الحرب الحالية على اليمن يتبع قوات التدخل السريع الخاضعة لقيادة دقلو الملقب باسم «حميدتي». ويحصل دقلو على دعم مباشر وغير مباشر من الطرفين السعودي والإماراتي، وهو على علاقة قوية بالإمارات في كل ما يتعلق بعمليات التجارة غير المشروعة في البشر والذهب والسلاح في منطقة القرن الافريقي التي تتم عبر السودان.

وقد كشفت إحدى الوقائع القريبة عن وجود عمليات لتهريب الذهب من السودان، تتبع الأسلوب الإماراتي، وهو خلط التهريب مع التجارة المصرح بها. ففي ايار/مايو الماضي ضبطت قوات مطار الخرطوم شحنة تزن 241 طنا من الذهب قادمة من ولاية نهر النيل، بصحبتها تصريح بتصدير 93 كيلوغراما فقط. وهذا يعني أن الشحنة الكلية تزيد بمقدار مرتين ونصف عن المصرح بها. وتشير تقديرات تجارة الذهب في السودان إلى أن 70 في المئة من إنتاج البلاد يتم تهريبه وتصديره للخارج بطرق غير مشروعة.

ولتأكيد مساعدتها للمجلس العسكري الانتقالي، أعلنت كل من السعودية والإمارات في 21 نيسان/أبريل تقديم حزمة مساعدات مالية واقتصادية إلى السلطة العسكرية في السودان تصل قيمتها إلى 3 مليارات دولار، وتشمل إمدادات من الغذاء والدواء والمشتقات النفطية إلى جانب إيداع 500 مليون دولار (250 مليون دولار لكل منهما) نقدا في البنك المركزي السوداني لتعزيز قوة العملة المحلية.

ويمكن القول بشكل عام أن مؤسسات النظام الإقليمي العربي فشلت في اختبار السودان، كما هو الحال في اختبارات سوريا واليمن وليبيا، ما يضع علامات استفهام قوية على وجود وفاعلية ما يسمى «النظام الإقليمي العربي» الذي أصبح من الناحية الفعلية مجرد جثة هامدة لا روح فيها ولا حركة.

سياسة النفس الطويل

إن خريطة تطور الأحداث في السودان، منذ انفجار حركة الاحتجاج في 19 كانون الأول/ديسمبر 2018 ضد ارتفاع أسعار الخبز، وتفاقم التضخم، ونقص السلع والخدمات الأساسية بما فيها مواد الوقود وإمدادات الكهرباء، تعكس بوضوح انحياز القوى الرئيسية الفاعلة في العالم العربي حاليا، إلى تيار «الركود المستقر» ومعارضة والوقوف بقوة ضد تغييرها من خلال قوى تيار يسعى لتحقيق الديمقراطية والتغيير. وهذا يعني من الناحية التكتيكية أن تحالف قوى الحرية والتغيير، الذي يمثل تجمع المهنيين السودانيين عموده الفقري، يعاني من خلل في ميزان القوى في غير صالحه، بسبب الافتقار إلى ظهير إقليمي يدعمه. وهذا الخلل يفرض الحاجة إلى الصمود وسياسة النفس الطويل والقبول بتنازلات متبادلة، رغم الرصيد الشعبي الضخم الذي يستند إليه التيار.

وفي المقابل فإن الموقف المعادي للحرية والتغيير من جانب كل من السعودية والإمارات على وجه الخصوص، يزيد رصيد القوة النسبية في مصلحة المجلس العسكري الانتقالي والقوى المؤيدة له، والتي تنتمي في أغلبيتها إلى نظام البشير، وتريد العودة للتحكم في مسار الأمور حتى بعد التخلص من البشير نفسه. الدفاع عن البشير ليس مهمة تلك القوى الآن، وإنما مهمتها هي الدفاع عن مصالحها، واستعادة ما فقدته من النفوذ خلال الأشهر الماضية.

وقد فتح المجلس العسكري الانتقالي بالفعل منذ اليوم الأول للمفاوضات مع تحالف قوى الحرية والتغيير، قناة خلفية للتناغم والحوار مع قوى نظام البشير من خلال الإصرار على الاحتفاظ بشعار «الشريعة الإسلامية هي أساس الحكم في السودان» وهو الشعار الذي كان بمثابة المنصة السياسية الرئيسية التي اصطفت فوقها قوى الحكم في النظام السابق. وعلى الرغم مما تطلقه الإمارات من شعارات «اجتثاث الإخوان المسلمين» من السياسة في البلدان العربية، فإن التحالف بين الإمارات والسعودية وبين المجلس العسكري الانتقالي يقوم على أساس المرجعية الفكرية لكل من الإخوان والسلفيين. وبصرف النظر عن الموقف من ذلك الشعار أو دلالاته، فإنه يكشف عن الطابع الانتهازي للشعارات التي تطرحها الإمارات. كل ما تسعى إليه الإمارات والسعودية هو تكريس نفوذهما في منطقة القرن الافريقي الكبير، لأن هذا يضمن مصالحها في تلك المنطقة، كما أن نفوذهما في كل من السودان وليبيا من شأنه ان يضمن للبلدين أيضا محاصرة مصر من الجنوب والغرب، ومحاولة التأثير على السياسة الخارجية المصرية في المواقف التي يتباين فيها عن الموقف الإماراتي والسعودي، مثلما هو الحال في الموقف من حرب اليمن، والتدخل المباشر في سوريا وليبيا ومشروع انشاء ما يسمى «حلف الناتو العربي».

عين القوى الأوروبية تراقب أداء العسكر في السودان

صادق الطائي

اتسم موقف الاتحاد الأوروبي الرسمي بالسلبية من المجلس العسكري الحاكم في السودان بعد خلع الرئيس عمر حسن البشير في 11 نيسان/ابريل الماضي. وجاء هذا الموقف عبر تصريحات رسمية أشارت إلى عدم اعتراف المنظمة الأوروبية بسلطة العسكر التي أوقفت العمل بالدستور وعطلت سير الحياة السياسية في البلاد. وكان التصريح الأبرز بهذا الخصوص على لسان فيديريكا موغيريني مفوضة السياسة الخارجية والأمن في الاتحاد الأوروبي في كلمتها أمام البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ خلال مناقشة الشأن السوداني يوم 17 نيسان/ابريل الماضي، إذ أعربت عن موقف الاتحاد المتمثل بعدم الاعتراف بشرعية المجلس العسكري الانتقالي في السودان، مطالبة بانتقال سياسي يقوده المدنيون بقولها؛ «إن المجلس العسكري لن يقدم الإجابات الصحيحة على مطالب الشعب» وأضافت «أن الاتحاد الأوروبي ينتظر من المجلس العسكري خطوات تزيد الثقة به، وأن من بين هذه الخطوات: إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، ومعاقبة المسؤولين من قوات الأمن على الهجمات التي استهدفت المتظاهرين السلميين وأدت لمقتل العديد منهم خلال الفترة الماضية». وأشارت إلى أن «اتخاذ هذه الخطوات سيمكن من إطلاق محادثات سياسية ذات مغزى بين جميع الأطراف في البلاد».

وقد سعى المجلس العسكري ممثلا بقياداته الرسمية مبكرا إلى كسب ثقة المجتمع الدولي، إذ عقد الرجل الثاني في المجلس، الفريق محمد حمدان دقلو الشهير باسم حميدتي، قائد قوات الدعم السريع، سلسلة اجتماعات مع السفراء الغربيين، لشرح وجهة نظر المجلس وموقفه إزاء المطالب الشعبية، فقد التقى أولا القائم بالأعمال الأمريكي ستيفن كوتسيس، ثم التقى رئيس بعثة الاتحاد الأوروبي جان ميشال دومواند، والسفير البريطاني في الخرطوم عرفان صديق، والسفيرة الهولندية في الخرطوم كارين بوفين. والمعروف عن حميدتي قربه من مراكز القوى الأوروبية، على خلفية تعاون قوات الدعم السريع السودانية مع الاتحاد الأوروبي في محاربة الهجرة غير الشرعية من إريتريا وإثيوبيا. وهو أمر طالما نفاه الممثلون الرسميون للاتحاد الأوروبي. لكن تجدر الاشارة إلى ان حميدتي سبق له ان هدّد القائمين على الاتحاد الأوروبي في خطاب تلفزيوني بوقف التعاون إذا لم يعترفوا علنًا بتعاونهم مع قواته. وقد كشف تقرير صحافي عن دور قوات حميدتي في وقف مهاجرين في صحراء السودان وهو ما اعتبرهُ مراقبون بمثابة إضافة للجرائم التي سبق وان ارتكبتها قوات حميدتي في دارفور.

كما تجدر الإشارة إلى التوتر الحاصل بين المجلس العسكري السوداني والمجتمع الدولي بشكل عام، والمحكمة الجنائية الدولية في لاهاي بشكل خاص على خلفية قرارات الإدانة السابقة الصادرة بحق الرئيس السوداني المخلوع عمر حسن البشير، فقد أدين البشير من المحكمة الجنائية الدولية وصدر بحقه أمر اعتقال في 2009 و2010 لاتهامه بـ «تدبير إبادة جماعية وأعمال وحشية أخرى» في إطار حملته لسحق تمرد في إقليم دارفور.

وقد طالبت المحكمة الجنائية الدولية السلطات السودانية بالإسراع في تسليم الرئيس البشير للمحكمة في هولندا أو محاكمته في الخرطوم على الجرائم التي ارتكبها في إقليم دارفور، وجاء على لسان المدعي العام للمحكمة فاتو بنسودا خلال جلسة مجلس الأمن المنعقدة في المقر الدائم للمنظمة الدولية في نيويورك، في حزيران/يونيو الماضي لمناقشة التقرير الدوري الذي تقدمه المدعي العام للجنائية الدولية حول السودان. إذ أشارت بنسودا في كلمتها بالقول؛ «لدينا خمسة أوامر اعتقال صادرة عن المحكمة الجنائية الدولية بشأن الوضع في دارفور، وجميعها لا تزال سارية بحق عمر حسن البشير، الذي تم اعتقاله واحتجازه الآن، وحسب ما ورد تم احتجاز إثنين آخرين من المشتبه بهم، وهما عبد الرحيم حسين، وأحمد هارون في الخرطوم» وتابعت؛ «يبقى السودان ملزما قانونيا بنقل هؤلاء المشتبه بهم إلى المحكمة الجنائية الدولية للمثول أمامها، ما لم يكن بإمكان القضاء السوداني أن يأخذ على عاتقه العمل على مقاضاتهم في القضايا نفسها داخل السودان».

ويبدو أن موقف المجلس العسكري من أمر تسليم البشير للمحكمة الجنائية الدولية ما زال يلفه الكثير من الغموض، إذ صرح في وقت مبكر رئيس اللجنة السياسية المكلفة من المجلس العسكري الانتقالي في السودان، الفريق أول عمر زين العابدين بعد يوم واحد من إطاحة البشير بالقول: «لن نسلم البشير إلى الخارج، لكن سنحاكمه داخل السودان لأن هذه قيمنا وأخلاقنا». لكن يبدو ان مياها كثيرة جرت في نهر الأحداث وغيرت توجهات العسكر والشارع تجاه هذه النقطة، فقد صرح ياسر عرمان نائب رئيس الحركة الشعبية للإعلام قبل أيام بضرورة تسليم البشير للمحكمة الجنائية الدولية لأنه يواجه «إتهامات في غاية الجدية من أعلى هيئة قضائية في العالم».

ويبدو أن حلفاء المجلس العسكري السوداني الإقليميين يلعبون دورا كبيرا في تطبيع العلاقات الأوروبية مع المجلس العسكري السوداني، ومن الواضح ان الدور المصري هو الأبرز في هذا الشأن، فقد ذكرت مصادر مقربة من الخارجية المصرية في تسريبات إعلامية أن؛ «دبلوماسيين من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا، فضلاً عن شخصيات سياسية مرموقة في هذه الدول، تعتمد بشكل أساس على المعلومات المصرية لاتخاذ القرارات في الشأن السوداني، وأن الاتصالات بهذا الخصوص بدأت منذ اندلاع الثورة ضد الرئيس المخلوع عمر البشير، وتواصلت على مدار الأسابيع الستة الماضية». وكشفت أن «الخارجية المصرية طلبت أخيراً من بعض الدول التي تحظى بعلاقات خاصة مع دول الاتحاد الأفريقي والتكتلات الجغرافية الرئيسية فيه، ضرورة الضغط على تلك الدول لتمرير زين العابدين بعد يوم واحد من إطاحة البشير بالقول: «لن نسلم البشير إلى الخارج، لكن سنحاكمه داخل السودان لأن هذه قيمنا وأخلاقنا». لكن يبدو ان مياها كثيرة جرت في نهر الأحداث وغيرت توجهات العسكر والشارع تجاه هذه النقطة، فقد صرح ياسر عرمان نائب رئيس الحركة الشعبية للإعلام قبل أيام بضرورة تسليم البشير للمحكمة الجنائية الدولية لأنه يواجه «إتهامات في غاية الجدية من أعلى هيئة قضائية في العالم».

ويبدو أن حلفاء المجلس العسكري السوداني الإقليميين يلعبون دورا كبيرا في تطبيع العلاقات الأوروبية مع المجلس العسكري السوداني، ومن الواضح ان الدور المصري هو الأبرز في هذا الشأن، فقد ذكرت مصادر مقربة من الخارجية المصرية في تسريبات إعلامية أن؛ «دبلوماسيين من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا، فضلاً عن شخصيات سياسية مرموقة في هذه الدول، تعتمد بشكل أساس على المعلومات المصرية لاتخاذ القرارات في الشأن السوداني، وأن الاتصالات بهذا الخصوص بدأت منذ اندلاع الثورة ضد الرئيس المخلوع عمر البشير، وتواصلت على مدار الأسابيع الستة الماضية». وكشفت أن «الخارجية المصرية طلبت أخيراً من بعض الدول التي تحظى بعلاقات خاصة مع دول الاتحاد الأفريقي والتكتلات الجغرافية الرئيسية فيه، ضرورة الضغط على تلك الدول لتمرير زين العابدين بعد يوم واحد من إطاحة البشير بالقول: «لن نسلم البشير إلى الخارج، لكن سنحاكمه داخل السودان لأن هذه قيمنا وأخلاقنا». لكن يبدو ان مياها كثيرة جرت في نهر الأحداث وغيرت توجهات العسكر والشارع تجاه هذه النقطة، فقد صرح ياسر عرمان نائب رئيس الحركة الشعبية للإعلام قبل أيام بضرورة تسليم البشير للمحكمة الجنائية الدولية لأنه يواجه «إتهامات في غاية الجدية من أعلى هيئة قضائية في العالم».

ويبدو أن حلفاء المجلس العسكري السوداني الإقليميين يلعبون دورا كبيرا في تطبيع العلاقات الأوروبية مع المجلس العسكري السوداني، ومن الواضح ان الدور المصري هو الأبرز في هذا الشأن، فقد ذكرت مصادر مقربة من الخارجية المصرية في تسريبات إعلامية أن؛ «دبلوماسيين من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا، فضلاً عن شخصيات سياسية مرموقة في هذه الدول، تعتمد بشكل أساس على المعلومات المصرية لاتخاذ القرارات في الشأن السوداني، وأن الاتصالات بهذا الخصوص بدأت منذ اندلاع الثورة ضد الرئيس المخلوع عمر البشير، وتواصلت على مدار الأسابيع الستة الماضية». وكشفت أن «الخارجية المصرية طلبت أخيراً من بعض الدول التي تحظى بعلاقات خاصة مع دول الاتحاد الأفريقي والتكتلات الجغرافية الرئيسية فيه، ضرورة الضغط على تلك الدول لتمرير زين العابدين بعد يوم واحد من إطاحة البشير بالقول: «لن نسلم البشير إلى الخارج، لكن سنحاكمه داخل السودان لأن هذه قيمنا وأخلاقنا». لكن يبدو ان مياها كثيرة جرت في نهر الأحداث وغيرت توجهات العسكر والشارع تجاه هذه النقطة، فقد صرح ياسر عرمان نائب رئيس الحركة الشعبية للإعلام قبل أيام بضرورة تسليم البشير للمحكمة الجنائية الدولية لأنه يواجه «إتهامات في غاية الجدية من أعلى هيئة قضائية في العالم».

ويبدو أن حلفاء المجلس العسكري السوداني الإقليميين يلعبون دورا كبيرا في تطبيع العلاقات الأوروبية مع المجلس العسكري السوداني، ومن الواضح ان الدور المصري هو الأبرز في هذا الشأن، فقد ذكرت مصادر مقربة من الخارجية المصرية في تسريبات إعلامية أن؛ «دبلوماسيين من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا، فضلاً عن شخصيات سياسية مرموقة في هذه الدول، تعتمد بشكل أساس على المعلومات المصرية لاتخاذ القرارات في الشأن السوداني، وأن الاتصالات بهذا الخصوص بدأت منذ اندلاع الثورة ضد الرئيس المخلوع عمر البشير، وتواصلت على مدار الأسابيع الستة الماضية». وكشفت أن «الخارجية المصرية طلبت أخيراً من بعض الدول التي تحظى بعلاقات خاصة مع دول الاتحاد الأفريقي والتكتلات الجغرافية الرئيسية فيه، ضرورة الضغط على تلك الدول لتمرير زين العابدين بعد يوم واحد من إطاحة البشير بالقول: «لن نسلم البشير إلى الخارج، لكن سنحاكمه داخل السودان لأن هذه قيمنا وأخلاقنا». لكن يبدو ان مياها كثيرة جرت في نهر الأحداث وغيرت توجهات العسكر والشارع تجاه هذه النقطة، فقد صرح ياسر عرمان نائب رئيس الحركة الشعبية للإعلام قبل أيام بضرورة تسليم البشير للمحكمة الجنائية الدولية لأنه يواجه «إتهامات في غاية الجدية من أعلى هيئة قضائية في العالم».

إبراهيم درويش

وقد رحب الاتحاد الأوروبي بنجاح الأطراف السودانية في 5 يوليو/تموز الجاري بالتوصل إلى اتفاق ينظم العمل في المرحلة الانتقالية المقبلة عبر تشكيل مجلس سيادي يستمر بالعمل ثلاث سنوات، فضلا عن تشكيل حكومة مدنية تضم كفاءات وطنية مستقلة، ويعتبر هذا الاتفاق خطوة هامة لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام في البلاد، لكن تبقى عين القوى الأوروبية تراقب أداء العسكر في السودان طوال المرحلة المقبلة، وفي هذا الإطار جاءت زيارة وزير الخارجية الفنلندي بيكا هافيستو يوم 9 تموز/يوليو الجاري إلى الخرطوم، وهو خبير في الشأن السوداني وعمل ممثلا خاصا للاتحاد الأوروبي في إقليم دارفور في السودان خلال أعوام الأزمة 2005 –2007.

وذكر بيان صدر عن مكتب الممثلة العليا للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية في الاتحاد الأوروبي، فيديريكا موغيريني، أن الوزير الفنلندي سينقل إلى المجلس العسكري الانتقالي موقف الاتحاد المتعلق بالسودان. وقد أتت هذه الزيارة في منعطف هام، عقب التوصل إلى اتفاق القوى السودانية على ترتيب المرحلة الانتقالية، وقال هافيستو إنه أبلغ السودانيين دعم الاتحاد الأوروبي القوي، والتأكيد على ضرورة مواصلة المفاوضات التي ستفضي سريعا إلى نقل السلطة إلى حكومة مدنية.

الاتفاق بين المجلس العسكري والمدنيين انتصار جزئي للمعتصمين ولن يغير واقع سيطرة الأطراف على المركز

يفهم سياق الإعلان الذي نقل فيه موقع «ميدل إيست آي» في لندن (2019/7/12) عن مصادر في المؤسسة الأمنية السودانية قولها إن الجيش بالغ في تصوير العملية الانقلابية لعرقلة تطبيق اتفاق مشاركة السلطة. وكان المجلس الحاكم قد أعلن عن المحاولة يوم الخميس قبل ساعات من تأجيله التوقيع على الاتفاق. وقال مصدر عسكري سوداني إن الانقلاب تمت «فبركته» لتبرير عدم توقيعه على اتفاق يجرد المؤسسة العسكرية من بعض السلطة ويعطي صوتا للمدنيين الذين بدأوا تظاهرات في كانون الأول (ديسمبر) 2018 قادت في 11 نيسان (إبريل) للإطاحة بعمر البشير الذي قاد البلاد منذ عام 1989. وبرر المصدر أن 12 ضابطا أعلن عن اعتقالهم لا يكفي لقيام انقلاب، مضيفا أن قوات الدعم السريع والمخابرات السودانية في حالة تأهب لمنع أي تحرك من داخل الجيش. وقال مصدر آخر إن الموالين للبشير في مؤسسة الجيش كانوا يخططون لانقلاب لكن تحركهم لم يمض أبعد من ذلك. ولا يزال النظام السابق متمترسا في المؤسسة ولديه تأثير في الجيش والأمن ويمكن أن يقوم بعرقلة أي اتفاق مع المدنيين. ويرى مصدر آخر عسكري أن سبب تلكؤ الجيش في التوقيع على الاتفاق نابع من محاولته البحث عن طرق لمنح تحقيق في مجزرة الثالث من حزيران (يونيو) التي قتل فيها أكثر من مئة شخص. وقال المصدر إنهم «يبحثون عن أي شيء يساعدهم على الهروب من تطبيق الاتفاق خاصة الجزء المتعلق بالتحقيق في مقتل المدنيين». كما أن قادة المجلس العسكري الذي وقعوا على الاتفاق تحت الضغط الدولي يبحثون عن طرق للخروج منه، فنائب رئيس المجلس العسكري محمد حمدان دقلو المعروف حميدتي لديه الكثير ما يخسره حال تم التحقيق لأن المتهم بالمجزرة هي قوات الدعم السريع التي يقودها بالإضافة لمصالحه التجارة خاصة عمليات التنقيب عن الذهب. ويرى محمد بدوي الباحث في المركز الافريقي للعدالة والسلام أن الجيش بحاجة لوقت كي يشرعن استثمارات الدعم السريع وإعادة موضعة مصالح الجيش قبل أي عملية تسليم للسلطة. ولم يستبعد مفاجآت من المجلس العسكري وعلاقات مخفية له مع النظام السابق.

بحث حي لمجزرة

ورغم الدعم الإقليمي الذي يحظى به المجلس العسكري خاصة من مصر والسعودية والإمارات إلا أنه يعاني من أزمة صورة، وهذا يفسر محاولات المجلس وحميدتي تحديدا الحصول على خدمات شركة علاقات عامة مقرها في كندا ويديرها ضابط إسرائيلي سابق للعمل على تحسين صورته في الولايات المتحدة وفتح علاقات مع روسيا. ويقال إن حميدتي وقع مع الشركة عقدا بمبلغ 6 ملايين دولار للقيام بالمهمة. وهي مهمة صعبة بعدما كشف تحقيق «بي بي سي» عن أن قادة المجلس العسكري هم الذين أمروا بقمع المعتصمين أمام مقر القيادة العامة للجيش. وذكرت صحيفة «الغارديان» (2019/7/12) أن الفيلم الذي أعده برنامج «أفريقيا آي» في «بي بي سي» وحمل عنوان «بث حي للمجزرة السودانية» قام على تحليل 300 لقطة فيديو التقطها المعتصمون على هواتفهم المحمولة واحتوى على شهادات من جنود شاركوا في فض اعتصام عشرات الآلاف من السودانيين أمام مقر قيادة الجيش في الخرطوم. وقال جندي شارك في فض الاعتصام أن حميدتي هو الذي أصدر الأمر بنفسه لقادة قوات الدعم السريع التحرك ضد المعتصمين. وقال إن «التعليمات صدر من القائد، الجنرال حميدتي، ووصلت إلينا في 20 أيار (مايو)» و «بعد ذلك جاء عبد الرحيم دقلو (قائد آخر) لرؤيتنا وطلب منا فض الاعتصام ويجب إجبارهم على الفرار. ولكي يتقدم هذا البلد نحو السلام والأمان والازدهار علينا التعامل بحزم مع كل مظاهر الفوضى». وكان حميدتي قد رفض التعليق في مقابلته مع صحيفة «نيويورك تايمز»(2019/6/15) على أي سؤال عن المجزرة مؤكدا أنه ينتظر نتائج التحقيق. ولكنه قال إن المتظاهرين قاموا بعدة استفزازات صارخة بما فيها جندي كشف عن عضوه الجنسي الخاص أمام الجنود فيما صور أحد المعتصمين عملية تدمير عربة عسكرية. وتعهد في المقابلة بتقديم أي عنصر في الدعم السريع للمحاكمة حالة ثبت تورطه في قتل المعتصمين.

ليس انتصارا

ولم يكن هؤلاء قادرون على نشر الصور التي التقطوها للمجزرة بسبب حظر الإنترنت التي تم السماح بها بعد الاتفاق الأولي مع المعارضة والذي يحاول المجلس العسكري تأخيره مع أنه بالنظرة العامة يعتبر انتصارا جزئيا للمعارضة ولم يحتفل به الكثيرون حسب «إيكونوميست» (2019/7/8) فلم يخرج لشوارع الخرطوم إلا حفنة من الأشخاص للاحتفال بعهد جديد، وقام بعضهم برفع العلم السوداني وصرخوا «مدنية» إلا أن الحماس لم يكن عاما في العاصمة السودانية بعد الإعلان عنه. فهو وإن مثل تنازلات من الطرفين ومنح المدنيين 6 مقاعد من 11 مقعدا في المجلس السيادي الذي سيتم تشكيله ويشرف على عملية التحول للحكم المدني إلا أنه جاء بعد عودة المتظاهرين إلى شوارع الخرطوم في 30 حزيران (يونيو). وتقول المجلة إنه «انتصار للمعارضة ولكنه جزئي» لأن سبعة أشهر من التظاهرات ضد الحكم الديكتاتوري العسكري لم تقد بعد لحكم مدني، بل وسمح قادة المعارضة المدنية للطغمة العسكرية تعيين واحد منها لكي يقوم المجلس السيادي لمدة 21 شهرا، ولن يسمح للمدنيين بإدارة المجلس إلا فيما تبقى من 18 شهرا قبل عقد الانتخابات. وتتنازل المدنيون عن مكسب حققوه في محادثاتهم المبدئية مع الجيش وهي أن تكون نسبة المدنيين ثلثي البرلمان، ذلك أن الاتفاق الجديد يؤجل تشكيل البرلمان إلى ما بعد الانتخابات المقررة بعد 3 أعوام وليس 4 أعوام حسب طلب المتظاهرين مما يعني عدم توفر الوقت لإنشاء مؤسسات تؤكد انتخابات نزيهة.

ضغط دولي

ومن المتوقع أن يترأس عبد الفتاح البرهان، رئيس المجلس العسكري الانتقالي الحالي المجلس السيادي المقبل مع أن السلطة لا تكمن في يديه بل بناه حميدتي والذي يقود 30.000 من قوات الدعم السريع وتسيطر على الخرطوم. ومع أن الاتفاق ينص على منع أي شخص يثبت تورطه في مجزرة الخرطوم من المشاركة في السلطة إلا أن هذا لا ينسحب بالضرورة على حميدتي، تاجر الجمال السابق والذي بنى قاعدة للقوة له في دار فور عندما قاد ميليشيات الجنجويد التي روعت المواطنين هناك. وقال مفاوض مدني إن حميدتي حاول منع بند التحقيق في الاتفاق. وعلق دبلوماسي غربي قائلا: «من المستحيل أن يترك حميدتي كرسيه» كما وسيعارض الجهود لوضع قوات الدعم السريع تحت قيادة مدنية أو ضمها للجيش. وعبر عدد من قادة المعارضة عن عدم رضاهم من الاتفاق وقالوا إنهم تعرضوا للضغط الدولي خاصة من الأمريكيين. وتجري المفاوضات على خلفية استمرار انهيار الاقتصاد الذي تقلص في عام 2018 بنسبة 2.3 في المئة وحتى ينتعش فهو بحاجة لمساعدة في الدين العام الذي يصل إلى 50 مليار دولار. وهذا لن يتم قبل حذف السودان عن قائمة الدول الراعية للإرهاب. ولن يتم هذا في ليلة وضحاها نظرا لأن السودان على القائمة منذ عام 1993. وعلى المستوى السياسي فالحكومة المرتقبة تحتاج لعقد مصالحة مع الجماعات المسلحة في دار فور وجنوب السودان التي قالت إنها استبعدت من المحادثات. ويعتقد الكثيرون أن الاتفاق ما هو إلا مساومة من المجلس العسكري لشراء الوقت كي يوطد سلطته من خلال البقاء في المجلس السيادي حتى بعد انتهاء مدة 21 شهرا. ولمنع سيناريو كهذا فهناك حاجة لمراقبة دولية وضغط مستمر من الشارع. ويعلق الآن بوزويل من مجموعة الأزمات الدولية «هذا ليس نهاية الطريق» بل «وليس البداية».

أمريكا خائفة من الإخوان

ويبدو أن تأكيد الوقع القائم، أي بقاء المؤسسة العسكرية في الحكم هو ما يفسر الموقف الأمريكي، فبحسب تيبور ناغي، مساعد وزير الخارجية للشؤون الأفريقية فالوضع في السودان لا يزال هشا «ولا يزال هناك مخربون» يحاولون قلب الأمور. وعلقت صحيفة «فايننشال تايمز» (2019/7/11) على تصريحات المسؤول الأمريكي البارز بالقول إن الخوف من الفوضى والعنف هو الدافع وراء دعم واشنطن الاتفاق بين المجلس العسكري والجماعات المدنية. وقال ناغي إن الاتفاق خطوة للأمام مضيفا «من بين السيناريوهات الموجودة فقد تكون النتائج سلبية جدا وقد نجد أنفسنا أمام نموذج ليبيا أو الصومال وهو آخر ما تريده مصر أو إثيوبيا». وجاءت تعليقات المسؤول الأمريكي بعد زيارة للسودان التقى فيها مع المسؤولين العسكريين والمدنيين. ويرى عدد من السودانيين أن أمريكا والقوى الإقليمية لعبوا دورا في التوصل للاتفاقية الأخيرة بين الجيش والمدنيين. وفي الوقت الذي دعمت فيه واشنطن تحولا سياسيا للسلطة إلا أن ناغي استبعد تدخلها في أي اتفاق بين المجلس العسكري والقوى المدنية، مشيرا إلى أن هدف أمريكا التوصل لعملية انتقالية يقبلها السودانيون. وتعلق الصحيفة أن مطالب الولايات المتحدة بتحقيق مستقل في مجزرة الخرطوم الذي فصلته عن العملية السياسية كان محلا للنقد خاصة أن حميدتي قائد الدعم السريع يلعب دورا مهما في المجلس العسكري. وتقول جيهان هنري، مديرة قسم افريقيا في منظمة «يومان رايتس ووتش» إن «بقاء حميدتي في السلطة هو إشكالي، قائد قوات الدعم السريع طوال هذه السنين ومتورط ليس في جرائم الخرطوم بل ودار فور» و «حتى تكون هناك محاسبة فلن يحل السلام». وقال ناغي «القمع هو موضوع آخر وعلينا أن لا ندخل في لعبة اتهام هذا الشخص أو ذاك بل التركيز على النتيجة لأنها مهمة للسودان». واعترف ناغي بإمكانية فشل الاتفاق وعودة رموز النظام السابق، مشيرا إلى أن هناك قلقا من عودة الإخوان المسلمين الذين حكموا مصر لفترة قصيرة و«هذا بالتأكيد مصدر قلق».

تغير ميزان القوة

ومهما كانت النتيجة للاتفاق، فقد تغير المشهد السياسي السوداني بشكل كبير. والمشكلة أن سادة السودان أو من سيصبحون سادته مثل حميدتي وباتوا يصنعون الملوك فيه، جاءوا من الأطراف، وما يدهش كما يقول أليكس دي وال في مقال بمجلة «فورين بوليسي» (2019/7/2) أن حميدتي رجل قبلي لا يملك المؤهلات لأن يكون زعيما قوميا للسودان لكنه اليوم الأقوى فيه.

ويرى دي وال أن «الصراع في الخرطوم اليوم ليس بين الحكم العسكري والديمقراطية، لكن فيما إن كان حاكم السودان من مركز السلطة تاريخيا على نهر النيل، أم من الأكثرية الفقيرة في الأطراف» ويقول إن «حميدتي يستخدم الآن أدواته التي أتقنها في دارفور بفعالية جيدة في الخرطوم، ومع رعاته في الجانب الآخر من البحر الأحمر، ولو استطاع أن يفعل ما فعله مع ثوار الأقاليم، فإن ثورة أبريل قد تكون أدخلت البلد إلى ثورة غير متوقعة، وسيكون الأشخاص من أطراف السودان في السلطة لأول مرة.

وعلى خلاف جنوب السودان، فهم لم يثوروا لينفصلوا، لكن صاحب القرار لا يخدم الدولة السودانية، لأنه استولى على البلد ليخدم طموحاته التجارية العسكرية الحرة، مما سيضع البلد في موقف غير مسبوق، لكنه في الوقت ذاته مألوف إلى درجة مخيفة».

حوار

بشير صفصاف القائد السابق للقوات البحرية الليبية:

الأجندات الخارجية ساعدت حفتر على إجهاض الحل السياسي في 2014 و2019

حاوره: رشيد خشانة

قال الأدميرال بشير صفصاف القائد السابق للقوات البحرية الليبية إن عملية «طوفان الكرامة» أتت لإجهاض ملتقى غدامس الذي شارك في إعداده 6000 ليبي بـ22 ألف ورقة. وروى في حديث لـ«القدس العربي» الاجتماعات التي عقدها عسكريون من المنطقتين الشرقية والغربية لمعاودة بناء الجيش الليبي واستبعاد الهجوم على طرابلس. وأكد أن اللواء المتقاعد خليفة حفتر رد عليهم باستهداف العاصمة، بمخطط من الخارج يرمي لاستنزاف قوى الطرفين وإنهاكهما، على أساس ألا يدخل حفتر إلى طرابلس ويبقى عند تخومها في معارك كر وفر.

وهنا نص الحوار:

○ هل أصبح الحل العسكري هو الخيار الوحيد المتاح في ليبيا مثلما يقول البعض؟

●لا يمكن حل الأزمة في ليبيا عسكريا، وهي الفكرة التي راودت البعض عند التحول من الثورة إلى الدولة. ما حال دون ذاك التحول هو وجود مجموعات مسلحة وسلاح ليس في يد الدولة، بل في أيدي مجموعات حاول شخص في المنطقة الشرقية أن يسيطر عليها، وهو خليفة حفتر، مُدعيا أنه شكل منها «جيشا وطنيا». وهناك قوى لديها أجندات خارجية ساعدته على ذلك، بينما في المنطقة الغربية لم تسيطر الدولة على تلك المجموعات. وهناك مجموعتان في المنطقة الغربية تعتبران شبيهتين بجيش، هما «البنيان المرصوص»، الذي استطاع أن يقضي على الدواعش في سرت، ويجتثها من جذورها، بالتعاون مع القيادة الأمريكية في أفريقيا (المعروفة بـ«أفريكوم»)، على صعيد الاستطلاع والمعلومات والطيران، ودفع ثمنا باهظا وصل إلى 740 شهيدا وحوالي ألفي جريح. أما القوة الثانية فهي «قوة مكافحة الارهاب»، وهي منظمة جدا ومدرّبة تدريبا عاليا، بالتعاون مع الأمريكيين، بقيادة اللواء محمد الزين (ينحدر من مصراتة).

○ كيف واجهت القوتان هجوم حفتر على طرابلس؟

●هما اللتان امتصتا الصدمة في اليومين الأولين من الهجوم، وهي الصدمة التي كان حفتر يُعول عليها، فالاشكالية اليوم هي كيف يمكن للدولة ان تضبط السلاح وتحتكره وهو منتشر خارج مؤسساتها؟

○ ولماذا لم يتخذ مجلس الأمن قرارا ضد زحف حفتر على طرابلس؟

●الهدف هو استنزاف الطرفين ولذلك كانت الحملة على طرابلس معركة طويلة على مدى نحو تسعين يوما، للوصول إلى تخومها الجنوبية فقط.

○ وكيف يمكن التعاطي مستقبلا مع تلك المجموعات المسلحة في رأيك؟

●الرؤية المستقبلية ينبغي أن تقوم على إدماج المجموعات المسلحة عبر كامل التراب الوطني، فالترتيبات الأمنية ينبغي أن تبدأ من وضع السلاح الثقيل في يد الجيش. وكانت هناك خطوة نحو توحيد المؤسسة العسكرية في 2016، إذ وُضع مشروع وطني تضمن المبادئ الحاكمة للمؤسسة العسكرية، بما في ذلك البنية التنظيمية والاشتراطات الواجب اتخاذها في هذا السبيل. وكان لي شرف ترؤس اللجنة المكلفة بوضع هذا المشروع، وفعلا شكلنا لجنة للتواصل من أجل الحوار مع جميع العسكريين. وتوزعت اللجنة إلى لجنتين واحدة للتواصل الخارجي وعلى رأسها العقيد (العميد حاليا) سالم جحا، وهو من الثوار السابقين في 2011، وقاد العمليات ضد النظام السابق، وكان معارضا للقرار الرقم 7 القاضي بالدخول لمدينة بني وليد، أما اللجنة الثانية فتوليت رئاستها مع اللواء جبو، واتصلت بالضباط في الداخل لإقناعهم بالمشروع. ولما طُرحت مبادرة عقد الملتقى الوطني في غدامس بين 14 و16 نيسان/ابريل الماضي، كانت هذه العملية جزءا من المشروع، ووضعنا رئيس الأركان العامة محمد الشريف ونائبه سالم جحا في الصورة، على أساس أن هذه المبادرة تكون جزءا من المشروع الوطني العام لدى مناقشته واعتماده في ملتقى غدامس. غير أن العدوان على طرابلس أفشل المشروع مثلما هو معروف، بمخطط من الخارج يرمي لاستنزاف قوى الطرفين وإنهاكهما، على أساس ألا يدخل حفتر إلى طرابلس ويبقى عند تخومها في معارك كر وفر.

○ لكنه كان مُصرا على الدخول إلى قلب طرابلس...

●خطة حفتر العسكرية كانت تقوم على ثلاثة عناصر: أولا قاعدة إدارية في الجفرة (مقر قيادته في ضواحي بنغازي) تستقبل السلاح والعتاد والأفراد، ثم توزع على الجبهات. ثانيا السيطرة على غريان، وهي مدينة جبلية على ارتفاع 800 متر عن مستوى سطح البحر، وثالثا جناحان وهما صبراتة – صُرمان في أقصى الغرب وترهونة ذات الموقع الاستراتيجي شرق طرابلس، فإذا كانت لديك قاعدة عملياتية وجناحان، يمكنك الإطباق على العاصمة. هذا صحيحٌ مئة بالمئة من ناحية التخطيط العسكري، لكن الحسابات كانت خاطئة، إذ كان حفتر يُعول كثيرا على الجبهات الداخلية، فهو يعتقد أن تلك المدن مؤيدة له. والضربة الأولى التي تلقاها تمثلت في أسر المجموعات التي كانت قادمة من صبراتة – صرمان في اليوم الأول، ففشل بذلك جزءٌ كبيرٌ من الخطة، أقلُّه على صعيد المعنويات. فالتحرك الطبيعي كان ينبغي أن يكون نحو ترهونة، لأنها أقرب إلى جبهة وادي الربيع، وهي أكثر الجبهات سخونة. وما زاد من شدة القوة في مقاومة حفتر، هو توحُد القوى الموجودة في طرابلس، بالرغم من التناقضات بينها، وهذا لم يتم في يوم الهجوم على طرابلس، وإنما قبل ذلك.

وكانت الانطلاقة من مبادرة عناصر من ترهونة بإلقاء القبض على أفراد من ككلة (وهي مدينة غنيوة الككلي الذي يوجد معقله في بوسليم جنوب طرابلس)، لذا نزل شيوخ ككلة إلى طرابلس وحصل اتفاق على إطلاق المخطوفين وعلى تشكيل «قوة حماية طرابلس»، وتم كل ذلك قبل فترة من انطلاق هجوم حفتر على العاصمة.

○ ماذا يعني هذا التوحيد من الناحية العسكرية؟

●بعد 2011 سيطرت قوة الزنتان على طرابلس، ثم أتت كتائب مصراتة لتُخرج الزنتان في إطار عملية «فجر ليبيا» في 2014، ومن الطبيعي أن تكون العاصمة هي المستهدفة من ذلك الصراع، فهي مركز المال والقرار السياسي، لذلك استهدفها الجميع، لكن كان لزاما على جميع التشكيلات الموجودة فيها أن تتوحد لمجابهة الخطر المشترك.

○ وهل قبلت الخضوع لقيادة موحدة؟

●شكلنا غرفة عمليات موحدة ووضعنا مهام محددة لكل تشكيل، بينما أعطيت القيادة لـ«النواصي»، وهم أقل قوة من الآخرين لكنهم أكثر حكمة. كان هناك يوم مفصلي كان يُفترض أن تختطف فيه ترهونة عناصر من ككلة، فيكون ذلك مبرر للهجوم على غنيوة في العاصمة باعتباره ككليا (من ككلة). وفعلا جاء جماعة ككلة إلى العاصمة وكان الجو مشحونا ومتوترا، فطلبتُ منهم أن يُبرزوا قوتهم للطرف المقابل، فتوجهت قوة كبيرة منهم إلى ترهونة وحاصرتها، فسلموا لهم الرجال المعتقلين. كانت هذه الحادثة النقطة الحاسمة التي جعلت مصراتة تأتي إلى طرابلس ويتم إبرام اتفاق ضد حفتر. كل ذلك تم قبل بدء الحملة العسكرية على العاصمة. لذا لما جاءت قوات حفتر، كانوا جاهزين. ولاحظنا عندما جاءت تشكيلات مصراتة إلى طرابلس، قبل ذلك، أن قوات البنيان المرصوص لم تكن بينها، ولا قوة مكافحة الارهاب. كما لم توجد في المنطقة الغربية قيادة عسكرية. كانت هناك إدارات ومؤسسات إمداد وأجهزة استخبارات، وكان العمل سائرا بشكل طبيعي في المنطقة الغربية. إلا أن كل ذلك لم يكن بارزا كما هو في الشرق، حيث هناك رئاسة أركان وقائد عام، مما أضفى عليها رمزية دولية. تُضاف إلى ذلك حملات الدعاية (البروباغندا) وتجميع الألقاب العسكرية بإفراط.

في البداية كنت أنا وكثير من العسكريين مع حفتر في الحرب على الإرهاب فالهدف الأول الذي جعله نقطة استقطاب للعسكريين هو التصدي للدواعش الذين كانوا يغتالون العسكريين بإفراط، في سرت وبنغازي ودرنة وغيرها، فلما وجدنا من يستطيع حمايتهم، كنا ننتظر تجسيد المُعلن عنه. وسأروي لك حادثة مهمة في هذا الصدد، فقبل أن يتحرك حفتر نحو طرابلس بستة أشهر تقريبا أرسل لنا شخصا هو مدير مكتب القائد الأعلى فايز السراج (المعترف به دوليا) واسمه اللواء محمود عبد الجليل، وأخبرني أن السراج يقول لي «هناك شخص من المنطقة الشرقية سيصل غدا إلى طرابلس وأريدك أن تقابله». ذهبت في اليوم الموالي في الموعد فوجدت كافة القيادات العسكرية في المنطقة الغربية، واتضح أن الشخص المعني هو الدكتور علي الترهوني.

○ ماذا كانت مهمة علي الترهوني؟

●كنت أظن أنني سأقابله بمفردي فوجدت هذه الكوكبة من القادة، فقال لنا الآتي «أنا لا أتقلد أي مسؤولية رسمية وأنا مصاب بالسرطان ولا أعرف متى تحين ساعتي، لكنني متطوع لإصلاح ذات البين، وتربطني وشائج بحفتر والسراج، فقد كنت مقيما في أمريكا مع حفتر، وأتيت لأبلغكم رسالة فحواها أن حفتر له ميزتان فهو ضابط من الضباط الوحدويين الأحرار، وكان يطمح، كتنظيم، إلى توحيد الوطن العربي فما بالك بليبيا، فهو لن يرتضي بتقسيمها أبدا. أما الميزة الثانية فهي أنه ضد الارهابيين وخاصة الأجانب. غير أنه يعتقد أن المؤسسة العسكرية ينبغي أن يكون لها قائد واحد، وبالذات في المرحلة الراهنة، ولا يريد أن يكون فوقه قائد أعلى، فما رأيكم؟». أجمع الضباط الحاضرون الذين هم في الخدمة، على أنهم عسكريون تحت القانون ولا تهمهم مسألة من هو القائد الأعلى، فالمهم أن تكون هناك قيادة عليا يأتمرون بأمرها.

○ ماذا كان تعليقك؟

●قلت: أنا متقاعد ورأيي أعطيه بكل حرية في الدولة وفي العلاقة بين السياسة والدفاع، فالسياسة هي التي تبني الجيوش وهي التي تعطيها الموازنات. والعسكري بيزته العسكرية لابد أن يكون له رئيس، وهو رئيس الدولة في بعض الأنظمة ورئيس الوزراء في أنظمة أخرى. ويمكن للعسكري أن يصبح وزيرا للدفاع لكنه يبقى تحت سلطة رئيس الحكومة. وما على المسؤول العسكري الذي يريد أن يكون المرجع الأعلى إلا أن يخلع بزته العسكرية ويخوض انتخابات. هذه كانت رسالتنا الجوابية لحفتر عبر الترهوني.

○ وكيف كان الردُ؟

●الهجوم على طرابلس بعد أيام...

○ ناتي إلى غريان، ماذا يعني أن يخسرها حفتر ويُضطر للانسحاب منها؟

●فقد حفتر بخروجه من غريان موقعا استراتيجيا كان يمكن أن يكون منطلقا للسيطرة على طرابلس.

○ يبدو أن هناك أشخاصا من داخل غريان ساعدوه على اقتحامها والسيطرة عليها، أليس كذلك؟

●هؤلاء اشترى ضمائرهم بخمسة ملايين دينار والأسماء معروفة. وأحدهم هو من الثوار السابقين وقد أصيب إصابة بالغة في معارك غريان.

○ هل لعملية طوفان الكرامة علاقة مباشرة باتفاق أبو ظبي؟

●ما كان مطروحا في أبو ظبي هو التوافق على حزمتين من القرارات، الأولى تتمثل بتقليص عدد أعضاء المجلس الرئاسي من تسعة إلى ثلاثة فقط (السراج من الغرب وسيف النصر من الجنوب والعبّار من الشرق) وتحت المجلس حكومة، وكان هناك اتفاق على أن تكون حكومة تسيير أعمال لا تتخذ قرارات استراتيجية، ومهمتها الأولى هي تنظيم الانتخابات. وهناك شخصان فقط يمكن أن يضعا فيتو على القرارات، هما السراج وحفتر. أما الحزمة الثانية فتخص تشكيل مجلس الدفاع والأمن القومي المؤلف من أربعة أعضاء هم السراج والقائد العام (حفتر) ووزيرا الداخلية والخارجية. وكنا ننتظر أن يتم دفع المشروعين إلى الأمام في الملتقى الذي كان مقررا عقده في غدامس مع أواسط نيسان/ابريل الماضي.

○ من الذي عطله؟

●الإمارات. حدث هذا أيضا في أعقاب انتخابات 2014، إذ كان كل شيء مرتبا لتسليم المشعل للمجلس المنتخب. حتى السجاد الأحمر كان جاهزا، والكلمات جاهزة. لكن أتت مكالمة في اللحظة الأخيرة من أبو ظبي لرئيس مجلس النواب عقيلة صالح ألا تُسلموا ولا تتسلموا (من المؤتمر الوطني العام). هذه العملية أنشأت اتفاق الصخيرات (2015) وتم تقسيم البلد. ولما قمنا بالإعداد لملتقى غدامس تم إجهاضه أيضا بنفس الطريقة، بعد عقد 77 اجتماعا شارك فيها 6000 ليبي وأنتجت 80 ألف ورقة، لُخصت في 22 ورقة، وشملت الأوراق كل المجالات مع ملخصاتها. لذا عندما أجهضوا المشروع كانت حساباتهم ورهاناتهم خاطئة، والدليل فشل عملية «طوفان الكرامة».

الرؤية المستقبلية ينبغي أن تقوم على إدماج المجموعات المسلحة عبر كامل التراب الوطني

حريات

معطيات صادمة حول عمل نساء وأطفال في «التهريب المعيشي» بين المغرب وسبتة المحتلة

الطاهر الطويل

يعيد عمل النساء والأطفال المغاربة في مجال تهريب السلع بين المغرب وسبتة المحتلة، إلى الواجهة موضوع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية التي يتحدث عنها الدستور المغربي انسجاما مع المواثيق الدولية، كما تطرح قضية الحريات نفسها بالحاح، إذا أخذ بعين الاعتبار الظروف المهينة والمأساوية التي ترافق تنقل ممتهني التهريب في الحدود مع سبتة المحتلة.

ودق مراقبون ناقوس الخطر، في بحر الأسبوع، مع معطيين متزامنين، أولهما صدور تقرير في البرلمان المغربي يتضمن معلومات وصفت بالخطيرة حول تداعيات التهريب، وثانيهما تبني قرار رسمي يقضي بوقف نشاط التهريب ظرفيا لمدة شهر ونيف.

فقد أفادت مصادر بأن السلطات المغربية والإسبانية توصلتا إلى اتفاق يقضي بمنع أنشطة التهريب المعيشي في معبر باب سبتة الفاصل بين التراب المغربي والمدينة المحتلة من طرف إسبانيا. وسيدخل القرار حيز التنفيذ في 29 من تموز/يوليو الحالي، وسيمتد إلى غاية 3 أيلول/سبتمبر المقبل، بما يعني أن النشاط التجاري سيتوقف لأكثر من شهر.

ولاحظت صحف محلية أن هذا القرار نزل كالصاعقة على ممتهني التهريب المعيشي الصغار الذين يعتمدون بشكل كلي على إخراج السلع من المدينة المحتلة لضمان القوت اليومي لعائلاتهم، وتساءلت الصحف عما إذا كانت الحكومة المغربية أعدّت حلولا وبدائل لظاهرة التهريب التي أصبحت المصدر الوحيد لمجموعة من العائلات.

معطيات صادمة

في السياق نفسه، كشف تقرير أنجزته «لجنة الخارجية والدفاع الوطني والشؤون الإسلامية والمغاربة المقيمين في الخارج» في البرلمان المغربي، عن معطيات صادمة حول ظروف عمل النساء المشتغلات في تهريب البضائع بباب سبتة المحتلة، إذ صرّحن لأعضاء اللجنة البرلمانية الذين قاموا بالمهمة الاستطلاعية بأنهن يتعرضن لكافة أنواع الاستغلال، ويشتغلن في ظروف تنعدم فيها أبسط شروط الكرامة الإنسانية.

وسجل تقرير المهمة الاستطلاعية المؤقتة لمعبر باب سبتة أن من بين النساء اللواتي يعملن في التهريب المعيشي من يضعن المناديل الصحية النسائية، لعدم وجود مراحيض في معبر باب سبتة، كما أنهن يتعرضن للسباب والشتم والاعتداءات الجسدية.

ولم يسمّ التقرير الجهات التي تكيل للنساء العاملات في التهريب المعيشي بباب سبتة كل أنواع الإهانة والسب والاعتداء، إذ اكتفى معدّوه بإلقاء المسؤولية على «المنظمين» من دون تحديد ما إن كان الأمر يتعلق بالشرطة المغربية أو الإسبانية، أو هما معا.

ولاحظت صحيفة «هسبريس» الإلكترونية التي أوردت ملخصا للتقرير البرلماني أن السيارات التي تدخل إلى مدينة سبتة المحتلة من أجل تهريب البضائع، وعددها يناهز 1000 سيارة يوميا، لا تعود للمهربين فقط، بل إن عشرات منها، قدّرها أعضاء لجنة المهمة الاستطلاعية التي أنجزت التقرير، بمئتي سيارة، تعود ملكيتها لرجال الأمن والجمارك.

وحسب ما جاء في التقرير، فإن سيارات رجال الأمن والجمارك التي تدخل إلى مدينة سبتة المحتلة بهدف تهريب البضائع يحظى أصحابها بمعاملة خاصة، من حيث سهولة العبور، وكذلك في ما يتعلق بالمراقبة، وهو ما يطرح، حسب الوثيقة ذاتها، سؤال الخسائر الاقتصادية الفادحة التي يتكبدها المغرب جراء التهريب.

وتضمن التقرير معطيات وصفت بالخطيرة لاتصالها بالأمن الداخلي للمغرب، حيث كشف أن أكوام المواد المهربة لا تخضع للمراقبة، إذ إن الرّزم التي تحملها النساء اللواتي يتولين التهريب، والتي يصل وزنها أحيانا إلى 140 كيلوغراما، تحمل رموزا معيّنة تحيل على أصحابها من المهربين، وتمر بمنتهى السهولة عبر الجمارك قبل أن تدخل إلى المملكة.

وتطرح السهولة التي تمر بها البضائع المهربة من مدينة سبتة المحتلة سؤال وجود تواطؤ بين مافيات التهريب والجهات المسؤولة عن المراقبة.

ونقلت الصحيفة الإلكترونية المذكورة أجواء النقاش الذي دار في البرلمان المغربي، الثلاثاء الماضي، بين الحكومة وأحزاب الأغلبية والمعارضة، حيث قالت بسيمة الحقاوي، وزيرة الأسرة والتضامن والمساواة والتنمية الاجتماعية، تعليقا على تصريح لإحدى النساء العاملات في التهريب المعيشي، في ربورتاج أعدته اللجنة الاستطلاعية، قالت فيه: «الطريق خالصة (مدفوعة الأجر) إن هذه الجملة تلخص كل شيء» مضيفة: «من هي هذه الجهات التي تدفع أموالا لتسهيل تمرير البضائع؟ ومَن يتسلم السلع المهربة؟»

وذهبت الحقاوي، التي حضرت إلى جانب وزير الصحة، أنس الدكالي، جلسة مناقشة تقرير المهمة الاستطلاعية المؤقتة بمعبر بباب سبتة، في لجنة الشؤون الخارجية والدفاع الوطني والشؤون الإسلامية والمغاربة المقيمين في الخارج، إلى وصف ما يجري في باب سبتة بأنه «وصمة عار في جبيننا جميعا».

وكشف وزير الصحة أن أطباء مغاربة تدخلوا خلال عام 2018، لمعالجة 84 حالة من النساء اللواتي كن يعانين مشاكل صحية خلال تنقلهم بين المغرب وسبتة، فيما لقيت اثنتان منهن حتفهما بعد ذلك.

تواطؤ مع «مافيات» التهريب

واعترف نواب برلمانيون من أعضاء اللجنة التي أشرفت على إنجاز التقرير بأن هناك تواطؤا بين المسؤولين ومافيات تهريب البضائع من مدينة سبتة المحتلة، إذ قال عبد الفتاح العوني، النائب البرلماني عن حزب الأصالة والمعاصرة، إن مسؤولين صرحوا لأعضاء لجنة المهمة الاستطلاعية بأنهم يعرفون إلى أين تتوجه البضائع المهربة، وهذا يعني، بحسبه، أن «هناك تواطؤا مع مافيات التهريب».

ويطرح التواطؤ مع مافيات التهريب أيضا سؤال التهديد الذي تشكله البضائع المهربة على الأمن الصحي للمغاربة، إذ إن السلع التي تدخل إلى المغرب، وخاصة منها المواد الغذائية، تكون على وشك نهاية مدة صلاحيتها، حسب عبد الودود خربوش، النائب البرلماني عن حزب التجمع الوطني للأحرار، بينما قال عبد الفتاح العوني إن المواد الاستهلاكية المهربة «تكون مخصّصة لتصديرها إلى المغرب، ولا يتم ترويجها في إسبانيا، نظرا لتردي جودتها».

وحمّل نواب المعارضة الحكومة مسؤولية المعاناة التي تلاقيها النساء العاملات في التهريب المعيشي بباب سبتة، إذ قال علال العمراوي، النائب البرلماني عن حزب الاستقلال: «نحن قمنا بواجبنا، ومهمتنا تنتهي عند هذا الحد، وعلى الحكومة أن تتحمل مسؤوليتها، لأن من غير المعقول أن تظل عاجزة ومكتوفة اليدين إزاء مافيات التهريب».

وأجمع النواب البرلمانيون أعضاء لجنة المهمة الاستطلاعية على أن التهريب بمعبر باب سبتة ليس تهريبا معيشيا، «بل هو تهريب منظم تستفيد منه مافيات» حسب تعبير عبد الودود خربوش، منتقدا التساهل مع هذه المعضلة بقوله: «إذا عجزنا، كدولة، عن وضع حد لنشاط مافيات التهريب فنيغي، على الأقل، أنْسنة ظروف عمل النساء المغربيات المشتغلات في معبر باب سبتة، بتوفير المراحيض لهن، وأماكن مغطاة تحميهن من المطر في فصل الشتاء والشمس في الصيف» مضيفا: «النساء يشتغلن هناك في ظروف لا إنسانية، وقد سمعنا عبارات السب والشتم في حقهن من المسؤولين المغاربة».

اقتراحات وتوصيات

أولت صحف إسبانية اهتماما كبيرا لتقرير اللجنة البرلمانية المغربية، حيث أوضحت أن هذه الأخيرة قامت بزيارات ميدانية للمعبر الحدودي عدة مرات بين تموز/يوليو وتشرين الثاني/نوفمبر 2018 وخلصت إلى أن 3500 امرأة و200 قاصر يمتهون التهريب المعيشي ويشتغلون من يوم الاثنين إلى الخميس. فيما تلج المدينة 1000 سيارة يوميا، من بينها سيارات لرجال الجمارك والأمن.

وكشف التقرير عن الظروف «اللاإنسانية» التي يعيشها ممتهنو التهريب المعيشي المغاربة الذين يلجون سبتة لنقل البضائع على ظهورهم في حزم يزيد وزنها عن وزنهم، كما تتعرض النساء للتحرش والإهانة والاعتداءات الجسدية، وتغيب كذلك الشروط الصحية.

وجاء في التقرير أن أكوام المواد المهربة لا تخضع للمراقبة، إذ أن الرزم التي تحملها النساء، تحمل رموزا معينة تحيل على أصحابها من المهربين، وتمر بمنتهى السهولة عبر الجمارك قبل أن تدخل إلى المغرب.

بالإضافة إلى ذلك، وقف التقرير على تدهور خدمات إدارة المعابر الحدودية التي تشرف عليها أجهزة الجمارك والأمن، واقترحت اللجنة البرلمانية تدابير مؤقتة لإضفاء الطابع الإنساني عليها وغيرها من التدابير لإنهاء التهريب بشكل نهائي.

وأوصت اللجنة بتعيين المزيد من الموظفين المدربين على احترام حقوق الإنسان في المعبر الحدودي وتزويدهم بالمعدات التكنولوجية المتطورة لضمان سيولة ولوج العاملات والعمال لسبتة المحتلة.

واقترحت أيضًا إجراء دراسة اجتماعية اقتصادية للوقوف على احتياجات الفئات الاجتماعية التي تمتهن التهريب المعيشي، من أجل تزويدهم بالبدائل المناسبة.

واقترحت أيضًا إنشاء منطقة صناعية في المنطقة لتوظيف حمالين يعملون في الغالب مع مهربين كبار مقابل أجر يومي يتراوح بين 100 و200 درهم (ما بين 9 و19 يورو).

ظاهرة التهريب أصبحت المصدر الوحيد لمجموعة من العائلات

سيارات رجال الأمن والجمارك التي تدخل إلى مدينة سبتة المحتلة بهدف تهريب البضائع يحظى أصحابها بمعاملة خاصة

كتب

مجموعة الشاعرة المصرية غادة نبيل «باسم غيرِ مستعار»: إبداع محلّق بشغف الإمتاع وانصهاراتٍ الروح

المثنى الشيخ عطية

لا يُنصَح حتماً أن تقرأ قصيدةً من مجموعة «باسم غير مستعار»، وهي السادسة الجديدة للشاعرة المصرية غادة نبيل، خلال قيادتك السيارة؛ (وكأنّ هذا سيحدث حتى لو سمح الشرطي الضاحك من سذاجتك بذلك!)، لأن الشجرة الراكضة من غابتها إلى الطريق بسرعة انعكاس صورتك في بحيرة عيني من سرقتْ كوكب حلمك، وأنت تقضم تفاحة نيوتن من على رصيف محطة آينشتاين، في شاشة ماك بوك، سوف تعيدك إلى شجرة النبيّ المباركة الشمالية أو الجنوبية التي أضاءت كوكب حلمك من قبل. وربما تشعر، مستلقياً تحت سطوع نور بروجيكتور الجراحة على نور داخلك الذي يكاد أن يضيء المكان، بالتي سرقت حلمَك في مدينة لا مرئية رآها إيتالو كالفينو، بعيني ماركو بولو، فتبدأ بقراءة شرلوك هولمز، بعيني سيزيف وهو يتأمّل دوائر صخرته في بحيرة عيني من قطعت حبل سرّتك المختفي داخل غار إلهامك الضائعة، وربما تواجه صوتَ أجنحة ذبابةٍ غير طنانة برؤية «قوبلاي خان»، لإحساس الراهب الصيني «مائة عين»، وعينِ أخرجتُها للتو من حلمي كوكباً، كي أعيد صياغة لحظتي، فِي قراءة «القصيدة».

وإذن، أين النصيحة في كيفية القراءة؟

قد يبدو هذا سخريةً من تركيب قصائد غادة نبيل المخالف النَّفور وغير المتآلف، لكنه التقديرِ النبيل الخالي من التهليل، لمجموعة شعرية مشرقة، تدفع قارئَها من خلال التركيب الإبداعي الغني المسرنِم لحواسه بقصائدها، وبنار الشغف التي توقدها في خلاياه، إلى محاولة إعادة تركيب لحظته التي ركّبها له غيره، إيماناً أو قسراً أو خداعاً؛ وقد يستطيع قارئُها ربما استرجاع نقطةِ بَدءٍ من طفولته لذلك؛ ولكن مع سماع صوت الشاعرة:

«حين ترصّ صور الذاكرة، يجب أن تعرفَ كيف تحميها، متى تقوم بأرشفتها، وبعثها، وإلا لن يبقى معك، ما يثبت الفرق بين الحلم والهذيان. على أحسن تقدير، قد يبقى ماكيتُ مدينة، بناس ماكيت، بأعياد ميلاد ماكيت، سيارات هيلمان وأقفاصُ مانغو ماكيت، لم يعدْ لهم وجودٌ، فهل تريد ذلك؟ هل ينقصك الزّحام ومدينة كالفينو المفضّلة، التي زرتها ليوم واحد، في سنّ تسمح بالتذكّر، ولا تتذكّر غير محل السّيني كاميرا، الذي اضاع اليوم كلّه؟».

«باسم غير مستعار»، وحتماً هو غير «سمسم»، الذي استخدمهُ «علي بابا» قبلها، حيث لا تسمح رؤيتها لإبداع ما بعد الحداثة بذلك، تفتحُ غادة نبيل، ظاهراً، صفحات بنية مجموعتها، ببساطة تشكيل تتوالى فيه أربعٌ وخمسون قصيدةَ نثر: أربعة عشر منها بعناوين لا تفتتحُ قصائدها، وأربعون نزّلت عناوينُها طوعاً لفتح قصائدها، ولتخفيف اسوداد رأس الصفحات بالعناوين السوداء، لكنها حفظت لنفسها مكانتَها في الفهرس.

وتفتح غادة باطناً، أو «تَفشَخ» إن استعملتْ روحِ مبضعها الشعري، في قصيدتها الفاتحة الجرأة عن «الفَشْخ»، أعمدةَ هرقل المتوفزة حتى حدود انبثاقِ الضوء بشكل غير محدود، من بؤرة الغياب الغامر الذي يُحِل الحضورَ في روحك وروح المكان.

داخل هذا الحضور الذي سوف يتواطأ بسهولةٍ مع تمرّد حواسّك على عقلك لعيشه؛ تبزغُ «قصيدة نثر» غادة نبيل، بمستعيرةً كل ما تستطيع أن تصهرَ في بوتقة شغفها، من قيود الثقافة العربية والعالمية، التراث، اللغة الفصحى والحكية، الخوف من فشل الاستشعار، والجرأة التي تصل حدّ الوقاحة، كي تحطم هذه القيود، وتُنتِج قصيدةً طازجةً حرّةً من عبث أصابع الآخرين، وأخَصّها أصابع الشاعر اليوناني الذي استباح عذرية الاسكندرية «كفافي»، الذي:

« سيمدّ إصبعاً للسماء، ويلمَسها (لا تنسوا، هو يحبّ إدخال إصبعه في الأشياء، يؤمن أنّ فتحات أجسامنا، أنفٌ، فمٌ، شرجٌ، موجودةٌ لإدخال أشياءَ طويلةٍ فيها)، وسيعود يحكي: أنا كالفرنساوية بروست وجينيه، أمهاتنا الأهم».

وداخل هذا الحضور المتموّج، تتبلور «قصيدة نثر» غادة نبيل بخصائص عامّة لا تمحو خصوصيتها، لأحدث أشكال قصيدة نثر ما بعد الحداثة، وبالأخص القصيدة التي تسير كقصة، والقصيدة التي تنبض بسخرية مستفزّة، مع تركيب الجملة الشعرية على مستّنات الكتابة الآلية السوريالية، وتطعيم اللغة بما يجسد روح العصر، والغموض الذي يتحدى فهم وذكاء القارئ، وينصب له فخاخ اصطياده، بغنىً يضعه على صراط التغيير، ويلقيه ربما في جحيم انصهارات روحه، كي يكتشف بنفسه نعيم راحته.

كما تتبلور قصيدة نثر غادة، بخصائص خاصّة تُميّزها بين كوكبة شعراء قصيدة النثر الذين يسيرون على هذا النهج، ولا تخفي هذه الخصائص نفسها، إذ تتجلى «باسم غير مستعار» بجسَدها، حرّة، كما حورية ماء تستلقي على الرمل، عاريةً إلا من الشمس، ولا تعكس سوى نفسها، كمحور للمجموعة التي خصّصتها الشاعرة كما يبدو من أجل إبرازها، شكلاً متوحّداً بمضمونه، ومجسّداً لها في لحظات كتابتها؛ حرّةً، متوحّدة بذاتها، ومعدية بتأثيرها.

ضمن هذه الخصائص التي يمكن وضعها تحت ظلّ «الحريّة» كقبّة شفافة، يلمَس القارئ أشكال وأرواح التجريب التي يشير لها المحرّر في تقديم المجموعة، تحت ملاحظة أن الكاتبة «تستخدم مفردات من العامية المصرية، إضافة إلى اشتغال تجريبي بصري في مجمل الديوان وأحيانا يركّز بشكل خاص على دمج الكلام أو إلغاء علامات الترقيم». كما يلمَس القارئ منذ بدء المجموعة بقصيدة «القصيدة»، نزعةَ الشاعرة إلى أسطرة الشّعر، لنزع الأسطرة عن منتجات البشر في الواقع، وذلك بإدخال النصوص الماضية الخالدة منها والفانية، في كتابة الحاضر، وإخضاعها لرؤية هذه الكتابة، بجرأة استخدام سياق كلام النص الماضي نفسه، مثلما يجري مع شجرة سورة النور:

«أما حين تكون السيدة هي القصيدة، فليس مطلوباً غير أن تكون مغطاة بالزفت، بلا لغة، كقرآنٍ مهزوم. لا تعرف متى تم تعليق عيون سوداء وخضراء بدلاً من الزيتون، في شجرةٍ كانت اسمك من نبيك. تكاد تقفز على الحصى اللاهب، دونَ حذاء».

ويتخطّى هذا الإدخال التفاعل حدودَ الثقافي الجمعي المحلّي إلى النصوص العالمية، حيث يخضعُ الروائي الإيطالي إيتالو كالفينو لمعالجة مرئياته ومدنه اللامرئية، كما يخضع غابرييل غارسيا ماركيز لمعالجة «خريف بطرياركه»، و«حبّه في زمن الكوليرا»، وإن بسوق نصوص وفق سياقاته؛ ومثل ذلك تفعل الشاعرة مع كفافي، إضافة للكثير الكثير الذي يغني قصائد المجموعة، ويثري القارئَ بالثقافة، ويغربه في ذات الوقت بالتفاعل مع الثقافات، حباً ونقداً وكرهاً ونقضاً وإثراء للحياة.

ويلمس القارئ بقوة، سواء ضمن القصائد التي تعالج الأسطرة مثل قصيدة «في غرفة نقية واسعة»، أو التي تخلو منها، جرأةَ إخضاع كل ما هو مألوف وما اتفق عليه إلى مراجعة كونه، والنظر إلى جميع ما تكوّن، بل وما يولد من التكوّن، بعين شكّاكة، حرّاقة، نفّاذة، ساخرة جديدة؛ كما في القصيدةَ التي تعكس روح السخرية المميّزة للشاعرة بتألّق، عن الحديقة المخصصة لتماثيل المختارين من التاريخ، والموجودة في الإسكندرية باسم «حديقة الخالدين»، الذين:

«بعضهم، من موقعه، يمكنه رؤية ساحة إعدامه كلّ ليلة للأبد، مما بدا عقوبةً غير مفهومة للفانين، بينما حظي آخر بتمثال، ليس لمواقفه الوطنية كما يُشاع، بل لقدرته على «التنكيت والتبكيت»، على من لجأوا للحديقة من شباب الماكستون فورت، وتمّ تفسير استبعاد النساء من الخلود، بعلّة نقص الدين والعقل».

ولا يغيب عن القارئ مدى تداخل الذاتي والموضوعي في القصائد النابضة بمضامين اجتماعية ناقدة، لا يسلم منها الدين، ولا المعبود: «المدين باعتذارات تستغرق أبديته، ومن ناحيتي لا أشك أنه يشعر بالذنب، إلى أن يصنع نسخة ثانية منك، تقدر أن تحبني».

كما لا تغيب جرأةُ تصوير السخط على الرّياء والمرائين وعلى «بذاءات ما يحدث في العالم، بقصيدة مفرطة في البذاءة، تنزع من البصاق قفازاته ليخرج نقاً، مع تعرية اللغة من أدبها المرائي المصطنع.

«باسم غير مستعار»، مجموعة شعرية مميزة تتمحور حول مفهوم الإبداع، التميّز، ورؤية العالم والكتابة عنه بعين طازجة على الدوام، وربما هي تساعد القارئ بمضامينها، على فهم ما يعنيه مَسخ الذات، وتفادي أن يرى نفسَه أو طفلَه تلميذاً أبله في طلائع حزب البعث ويلثغ بلسان بشار الأسد، أو كذاباً مقهقهاً في المؤتمرات ببذاءة السيسي، أو جثة تمشي خارج حراك الجزائر بزوغان آعين بوتفليقة.

غادة نبيل: «باسم غير مستعار»
منشورات المتوسط، ميلانو 2019
111صفحة.

رواية السوري خليل صويلح «عُزلة الحلزون»: تزوير التاريخ وكشف المعطوب

المتوكل طه

يبدو أن من تجليات الزلزال العنيف الذي أصاب سوريا الحبيبة أنّ خلخلة المُسلّمات، وطرح الاستفسارات، والتجرّؤ على طرح الرأي المناقض والمُعارض، باتت مُتاحة وتُلقي ما اختبأ في كهوفها من ضلالات وفظاعات وعناكب سامّة، ما يعني أنّ هذا التلاطم والتصادم والعتمات والارتباك... سيصحب معه تشققات ستمسّ وتضرب قلب كل بناء ومكوّن في المجتمع.

من هنا أدخل إلى عالم رواية خليل صويلح «عزلة الحلزون»، والتي اجترحها من فضاء العاصمة دمشق العزيزة، المُحاطة بأصداء ذلك الزلزال، وهو وراء زجاج مكتبه، يراقب ما ينبض ويظهر ويمور أمامه، ما يجعل حضور آثار «الحرب» من حوله طبيعياً ومتوقّعاً، وكيف أطلّت برأسها الشيطاني المدمّر، ص 77، وكيف نُهبَت البلاد بشكل مفزع ص 78. إن هذه الرواية قد عكست بعمق وضراوة مأساة الحرب التي تشهدها سوريا، بطريقة غير مباشرة، بعيداً عن التنظير والاجهاش، وبكيفية تحمل كل تلك المآسي والكوارث والدماء والأشلاء والانكسارات، وتلقيها في وجهك دون استئذان. ويكفي ما قاله هنا، ليلخّص ما ذهب اليه: «تمكنّا بعد حصار طويل من عبور حقل الالغام بالمشي على أشلاء الذين انفجرت بهم الألغام قبلنا، وهم يحاولون الهرب»، ص150.

ولأن الإنسانَ «الطبيعي» في حماة الأزمات يصبح إنساناً «مأزوماً» بالضرورة، فإننا سنرى صورَ هذه الأزمة تتجلّى في سلوك الناس، من خلال توجّه النُخب والأفراد نحو الخلاص الشخصي، والابتعاد عن الفعل الجماعي، وعدم الثقة بالعمل الطوعي والجمعي، عداك عن الذهاب للانتماء إلى الحلقات الصغيرة كالبلد أو الطائفة أو العشيرة أو الشلّة، وكذلك فإن المأزوم يتقمّص ويُقلّد قاتله، إضافة إلى أنه يستخدم اللغّة النهائية (التكفير، التخوين..الخ أو تأليه الذات وادّعاء امتلاك الحقيقة «المُقدّسة»)، علاوة على أن الكفر بالحضارة والتاريخ والثقافة والجذر الأصيل هي من مميزات المقهور والمأزوم، جنباً إلى جنب إشاعة مفردات الكآبة والإحباط والسواد، ثمّ إن تمزيق الذات بغير آليّة، والإساءة إلى الرموز وإهانتها هي من مسالك المهزوم وسجاياه العقيمة. من هنا، أيضاً، نفهم شخوص الرواية، بدءاً من الراوي المُنكفئ الخائف الباحث عن خلاصه الشخصي وسط هذا الضجيج المريب والمخيف مثل الحلزون، علماً أنه يعمل صباحاً ومساءً ليتمكّن من العيش، مروراً برئيس تحرير الموقع الإلكتروني الانتهازي المنافق، وصاحب دار النشر المُزوّر، والضابط كاف ومرافقه، ورهام المُتقاطبة، وسهام التي تبيع روحها، وانتهاءً بشخصية غانديّ كاز الضائعة، وباقي الشخصيات المرورية والأساسية. وأنّ كل شيء مستباحٌ إذ يقوم صاحب دار النشر بالسطو على الكتب التراثية، فيبدّل ويغيّر ويحذف منها، فيما يقوم صاحب الموقع الالكتروني بتزوير التاريخ، فيما يتحوّل الناس إلى ما يشبه الحيوانات الضالّة السائبة الخائبة المُستسلمة (ص154)، وبطانة كل ذلك حرب أتت على كل شيء فأشاعت الإحباط والانكسار والكآبة، مع قبضة تتحكّم وتستبدّ وتمعن خراباً في كل شيء، في لحظة ينكشف فيها التاريخ، فتظهر نتوءات الخيانة والتزوير والموبقات، بأقبح صورة، كما تبزغ مشاهد الرذيلة والمتع الرّخيصة من الواجهات ومن وراء الجدران وفي العتمات. لهذا كانَ «طبيعياً»، في مثل هذه الظروف والمعطيات، أن يكون كلّ شيء مُزوّراً ومموجاً وخَرباً، بدءاً من التاريخ (القديم والجديد) وانّ الكاتبَ أو الصحفي هو مُزوّر اللحظة وليس مؤرّخها.

ويبدو أن ثمة تماهياً بين خليل صويلح والراوي إلى درجة تنتفي فيها الفواصل بينهما، وهذا يمدّ الرواية بصلابة وأقعية.

واللافت أنّ الكاتب يوطّئ لروايته بتاريخ سلالة أجداده (الهلاليين) وكأنهم ولدوا من فضاء جينيٍّ إجراميّ، فكانوا، تبعاً لأسماء الحيوانات التي يحملونها (السمحج، السحليّة، الضبع، السبع، السرحان، ابن آوى، أبو الحصين..) سيتصرّفون بحيوانيّة وغلظة وقسوة (الجدّ الذي يغزو ويسبي النساء، الجدّة التي باعت شرفها وقبيلتها بحفنة تبغ، الجدّ مقطوع المحاشم لنزواته، قطع الطُرق في كلّ آن، سرقة الآثار ومتعلّقات الموتى..الخ). الشهوانيّون، الشبقون، الغزاة، الدميّون، الذين يحملن في صدورهم قلوبَ الذئاب وليس أفئدة الطيور!

ما معنى ذلك؟ معناه أنّ العتبة الأولى التي أصّلَت مدارکنا كانت عتبة ساديّة إجرامية، ما جعلنا نتاج سلالة قاتلة متوحشة باطشة، لا ترعوي عن اقتراف كل ضلالة ومهلكة! لهذا، كان تاريخنا وما زال، كما تقول الرواية، هو تاريخ عنف وكراهية وتكميم أفواه وسحْل وتبديد! الأمر الذي جعل الروائي يدعونا إلى «الفُرجة السوريالية المجانيّة لحروب الإلغاء والإبادة» طائفة تلغي أخرى بجرعات عالية من العنف والقسوة والاغتسال برغوة صابون الكراهية من آثار الآخر وآثامه»، ص67.

إن الروائي الذي توقّف أمام سؤال كتابة الأحداث بعد مئات السنين، يجد إجابته التي يقرّرها في غير صفحة من روايته، والتي تتلخّص في أنّ التاريخ الذي كُتِب بعد قرون من الأحداث هو تاريخ مُحَرَّف ومُزَوّر وغير دقيق ومبالَغ فيه، مثل قصص جدّه الأول الذي كان يستحضر قصصاً خارقة عن بطولات مشكوك في أمرها، وقد أصابها التبديل والتحريف، لبُعد المسافة التاريخية بين الأحداث وتدوينها، وبسبب المشافهة، والهوى، والجهويّة، والطائفية، والحزبيّة، وقوّة المتسلط الحاكم، وغَلَبة موازين القوى، وتفرّد الراوي المُسيطر. حتى أنّ الروائي يذكر كيف تمّت عملية تزوير العديد من أمّهات الكتب، ويورد قصة المستشرق أنطوان غالان مع الرحّالة الحلبي حنّا دياب، ومع المستشرق الفرنسي بول لوكا، وإضافة وتأليف قصص وحكايات على ألف ليلة وليلة؛ كما أن الراوي في سياق تدقيقه وتحريره للعديد من كتب التراث قد اكتشف أنها تعجّ بالاضطرابات وبأيام تزعزعت بالفوضى، وكيف ظهر الشُطّار والعيّارون، دائما، وعاثوا فسادا في البلاد، ص 82.

ويؤكّد الروائي على أنّ هذا التزوير متواصل، إذ يذكر مباشرة، وهو منكبّ على كتب التراث، كيف أنّ رئيس التحرير الحاليّ، وهو جاهل انتهازيّ، يمدح وينافق ويزوّر الحقائق، بلغته الخائبة الخشبية الجوفاء، وكيف سيصبح ذلك تاريخاً بعد سنوات!

ويوظّف الروائي كل سطر حتى يؤكد مقولاته التي يتغيّا إيصالها والطرْق عليها وتكريسها، مثل تفاصيل ما ينقله من كتب التراث عن قمع العلماء ومؤامرات الساسة، والإتيان بمقولات تعزّز أفكاره ومقاصده المنحازة كلياً للحرية والكرامة والمفاهيم المطلقة البيضاء.

إن عصور القمع، والميتة الشنعاء للمؤلّفين، والنهايات المفجعة للعلماء والكُتّاب الموسوعيين القدماء، جعلت الكاتب يجد نفسه أمام كابوس أكثر جحيمية، وإن سيرة أولئك الضحايا الأفذاذ دفعت الكاتب لأن يقلق بخصوص الهوية والرّقابة، حتى أنه أحسّ برائحة شواء لحم بشري تتسرّب إلى رطوبة الهواء في مكتبه الحديث!

إن نقد الروائي للتاريخ القديم والجديد، من وراء ذلك الزجاج، وهو على مكتبه، جعله يلقي كل أوراق التاريخ في وجوهنا، ويحرّك فينا الساكن، ليقول إن ثمة رواية أخرى، أو وجه آخر للتاريخ، وثمة ما هو مسكوت عنه، وإن التاريخ مجموعة وثائق عن الخزي وليس سجلّاً للفضيلة، ص 95.

وأرى أنّ جرأة هذا الروائي الرائي، والناقد بحقّ وجسارة، واضحة في هذه الرواية، لكل ما هو قائم من خراب متواصل. وسنرى في الرواية مصائر مفجعة وخسارات مبهظة، لحقت بحيوات العديد من كبار كتاب حضارتنا من ابن رشد إلى الجاحظ وابن المقفع، لتظهر كارثة ملاحقة المتنوّرين وأصحاب الرأي الحرّ، وهزيمة الحكمة والعقلانية، عبر الزمن، وسيطرة التطرّف والعمى والضلال والوهم والجهل والعنف وتبديد المعرفة. ويقيم الروائي حوارات مباشرة مع العديد من كبار الأدباء القدماء مثل الجاحظ وابن رشد، ويستنطقهم ويحادثهم، ليكشف عبر الحوار معهم، عمّا لحقهم من غُبن أو تبعهم من ظُلم وإجحاف.

وعلينا أن ننتبه إلى النهايات التراجيدية لأبطال الرواية، ما يجعل إيقاعها المذبوح ينتهي إلى هذه الفاجعة الصادمة، للكثير منهم. مثلما نرى، من البداية إلى النهاية؛ كيف تُصنع الأكاذيب علناً!

إن كاتبا يقرأ ثم يقرأ ثم يقرأ بعمق ووعي وتنوّع، كما نرى تجليّات ذلك في هذه الرواية، سيجعلك تحظى منه بالضرورة بعمل يتفجّر بينابيع عذبة ثرّة من المعارف والخلاصات المكثفة، وسيؤكد لنا، مرّة أخرى، أن القراءة الجادّة والمتواصلة هي ما ينتج مسوّدة باذخة، ستصطنا صفحات ذهبية تفيض بثقافة تغري بالتصفّح والعودة للاستزادة، مثلما تملأ القارئَ بقناعات تقوم على ثوابت وشواهد، كما تستفزه ليعجم كلّ المسلمات. إن هذه الرواية ترجّ الثابت الذي يبدو ساكناً، وتطرح أسئلة حارقة أمام الأحاديث والسرديات والمرويات والقصص التي أخذت رتبة القداسة والمسلمات النهائية، التي اعتقدها الناس وأقرّوها بحقيقتها، التي تبدو غير قابلة للمعاودة أو الشك.

إنّ القدرة المذهلة على السرد، بهذا السبْك السّوي، وانتقاء الكلمة الأكثر مناسبة، وشحنها بسياق بلاغيّ رشيق وغير مسبوق، تتكامل مع لغة الروائي الصافية الحسّاسة المعافاة، التي ينظمها في لوحة إثر لوحة، جعلها أقرب إلى البناء الشعري منها إلى السرد النثري البارد المباشر، ما جعلها نافذة نابضة وشهيّة مريحة، ترسم لك، بمجازاتها وتشكيلاتها، المعنى صافياً ومغرياً وجديداً.

ويطعّم الروائي صفحاته بقصص تراثية فنتازية لطيفة ومسلّية، وتحمل حكمة مُقطّرة، مثل قصّة الحطّاب، وهذا يرطّب أجواء الرواية، ويشحذها بمتعة إضافية ونكهة طيبة. وبعيداً عن الذهنيّة والصنعة، يأخذك خليل صويلح، كعادته، إلى هذا التدفّق البديع، كأن السماء قد بعثته إلى الأرض ليكون روائيا بامتياز، وليبعث غير مسألة، يلجها وهو يمتلك أدوات تفكيكها، ووضعها على بساط صفحاته، بحذق ودراية.

خليل صويلح: «عزلة الحلزون»
نوفل، بيروت 2019
213 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

العلمانية الزائفة وجه من مأساة السوريين

أحد مؤتمرات الحزب الشيوعي السوري: الأسد إلى جانب لينين وماركس!

«إذا انطلقنا من الأوضاع الداخلية في البلاد، فعلينا أن نكون في المعارضة. ولكن السياسة الخارجية التقدمية التي تنتهجها سوريا، تلزمنا بتأييدها». بمثل هذه العبارات، أو ما معناها، كان الحزب الشيوعي السوري بقيادة خالد بكداش يسوّغ وقوفه إلى جانب النظام السوري، وذلك منذ سيطرة حافظ الأسد على مقاليد الحكم في بداية سبعينيات القرن الماضي عبر انقلاب عسكري، سوّقه تحت اسم الحركة التصحيحية، ليسدّ الطريق على تهديد الخصوم المحتملين.

تمكّن حافظ الأسد في ذلك الحين، وفي أجواء الحرب الباردة، من بناء العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، وشكّل في الداخل الجبهة الوطنية التقدمية بقيادته وأوامره، ولكن تحت يافطة حزب البعث.

أما الحزب الشيوعي البكداشي، فقد تحوّل بصورة غير مباشرة إلى جزء من النظام نفسه عبر المهنية، وكانت حجته في ذلك أنه يساند سياسة النظام التقدمية التي تقوم على التحالف مع الاتحاد السوفييتي، ومساندة حركات التحرر والأحزاب الشيوعية والعمالية في العالم. هذا في حين أن الجميع كان على علم بأن ألف باء السياسة الوطنية تقوم على تأمين حاجات الناس، وتأمين فرص العلم والعمل والرعاية الصحية لهم، وتحسين مستوى دور الأطفال ورعاية المسنين والنظام التقاعدي، وغير ذلك من الأمور التي تمس حياة الناس في الصميم.

ونحن اليوم إذا أمعنا النظر في المجتمعات التي تحترم شعوبها، نلاحظ أن ميدان التنافس بين أحزابها هو السياسة الداخلية. أما السياسات الخارجية فنادراً ما تؤثر في خيارات الناخبين، أو لا أثر لها على الإطلاق. وإذا أثّرت فإنما ذلك بفعل النتائج التي تتركها سلباً أو إيجاباً على معيشة المواطنين، ونوعية الخدمات التي تُقدم لهم، وانعكاسات كل ذلك على الاقتصاد الوطني.

ومع بروز مؤشرات واضحة، تؤكد التوجهات الطائفية لنظام حافظ الأسد على المستويين الداخلي والإقليمي، كان الحزب المعني يصر على نفي ذلك، ويقدّم تحليلات مدرسية مملة حول التحالف الحاصل بين البرجوازيتين الطفيلية والبيروقراطية، ويؤكد أن ما يحصل في سوريا هو صراع طبقي. هذا في حين أن الأسد، رأس النظام الذي كان يتحكّم بكل شاردة وواردة في الدولة والمجتمع، وحتى على مستوى الأفراد، عبر الأجهزة الاستخباراتية الكثيرة، المتداخلة الوظائف، ورغم أنه كان المهندس الفعلي لنظام الاستبداد والفساد الذي بدأ بالتشكل في سوريا منذ أوائل سبعينات القرن الماضي، كان يبقى خارج دائرة المساءلة والمحاسبة، وذلك مقابل الحصول على فتات لا يُذكر من المنافع السلطوية، والظفر برضى «الرفاق السوفييت» الذين كانت ورقة اعترافهم وتأييدهم تُستخدم أداة للاستقواء في مواجهة «الرفاق المعارضين» ضمن الحزب.

وهكذا تمكّن نظام الأسد من تحييد الحزب الشيوعي السوري، إلى جانب الأحزاب الناصرية بأسمائها المختلفة، وكانت المواجهة الكبرى مع جماعة الإخوان المسلمين في بداية الثمانينات، وذلك بعد أن تمكّن النظام من جر الجماعة المعنية إلى المنازلة الطائفية التي كان قد أعدها مسبقاً. ليقدّم نفسه بوصفه النظام العلماني، التقدمي، الحريص على مواجهة القوى الظلامية المتطرفة. وتتويجاً لجهوده الرامية إلى شيطنة الجماعة، أصدر حافظ الأسد القانون 49 لعام 1980، الذي نص بالحرف: «يعتبر مجرماً ويعاقب بالإعدام كل منتسب لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين»، حتى ولو لم يكن قد شارك في الأعمال العسكرية. وسكت الحزب البكداشي عن القانون المذكور الذي أقرّه مجلس الشعب، والسكوت كما نعلم علامة رضا، خاصة في الحسابات السياسية.

وهكذا تمكّن حافظ الأسد من تأجيل الانفجار السوري لمدة عقود، بعد أن أفلح في تدجين «العلمانيين» وشيطنة الإسلاميين.

وبدا الأسد يعد العدة لعملية التوريث، ولكن اللافت هنا أن الحزب البكداشي سبقه في هذا الميدان، فكانت زوجة الأمين العام هي الخلف، ثم جاء الابن.. مَن كان يقتدي بمن: النظام بالحزب أم الحزب بالنظام؟

وما ننتج عن ذلك وغيره الكثير، هو أن الحزب الشيوعي المعني هنا فقد رصيده الكبير بين المثقفين والجمهور الواسع من العلمانيين وحتى الليبراليين والديمقراطيين والمتنورين، وتحول إلى نادٍ مغلق، يتنافس أعضاؤه ويتصارعون على المكاسب التي كان يغدقها النظام على الحزب، مقابل تحوله إلى مجرد أداة دعائية رخيصة في ماكينة النظام الديماغوجية.

وقد تكرّر المشهد ذاته تقريباً في عهد الأسد الابن الذي بذل قصارى جهده، بمشورة رعاته الإيرانيين، من أجل سحب الثورة السورية إلى ساحته المفضلة، وتمكّن من فرض العسكرة عليها، واستطاع عبر شبكة علاقاته الواسعة مع الجماعات الإرهابية التي كانت تتخذ من التشدد الإسلاموي غطاء لها، من التغلغل إلى داخل الفصائل العسكرية التي فرضت نفسها على السوريين، وحوّلت ثورتهم المدنية السلمية التي كانت من أجل الحرية والكرامة والعدالة، إلى مجرد صراع مسلح بين جماعات غريبة طارئة مقحمة، تعلن الجهاد من أجل الخلافة؛ ونظام لم يترك جريمة وإلا وارتكبها، وحصل على كل الدعم من بوتين، ابن النظام الشيوعي السابق، الذي كان الحزب البكداشي يلزم السوريين بتحمّل أزمات الوضع الداخلي من أجل مساندته.

وإمعاناً منه في إبعاد الثورة عن أهدافها، لجأ النظام بموجب استراتيجيته إلى إغراق الثورة بالإسلاميين المتشددين، وذلك عبر الإقدام على اطلاق سراحهم من سجونه، وهو على تمام الإدراك بأنهم سيلتقون مع أولئك المتشددين الذين كان النظام قد صنعهم، وأعدهم. وهكذا دخلت البلاد في دوامة صراع دموي، وأصبح الرأي العام الإقليمي والعالمي أمام بديلين سيئين: إما الفوضى والإرهاب، أو القبول باستمرارية بشار الأسد رغم كل ما ارتكبه نظامه من جرائم.

ومن الواضح جداً أن اختزال الوضع السوري ضمن هذه المعادلة التي تضافرت جهود مختلف الأطراف لتشكيلها وإخراجها على هذه الصورة كان يتناسب مع حسابات القوى الدولية والإقليمية، وهي القوى التي لم تكن تريد التغيير في سوريا خشية انعكاساته عليها. وكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد. فقد تنطح العلمانيون من بقايا العقلية البكداشية وحزبه، أو من كان يتمثّل في ذاته منطقها المعكوس، واصرارها على تشويه الوقائع، لتأتي منسجمة مع المواقف المعدة سلفاً بناء على المصالح والالتزامات الانتهازية لا الحقائق والمصالح الوطنية؛ فقد تنطح هؤلاء ليعلنوا بأن المعركة هي مع الظلامية الإسلاموية، وأن النظام العلماني هو الحامي للأقليات والوحدة الوطنية. أما السؤال عن طبيعة العلاقة بين هذا النظام ونظام ولي الفقيه، وحزب الله، والفصائل العراقية أو الأفغانية المذهبية التوجه التي أدخلها النظام الإيراني إلى سوريا لتقتل السوريين بالتنسيق مع نظام الأسد، فكل ذلك لا يتوقف عنده أبداً ادعياء العلمانية هؤلاء، تماماً كما كان يفعل الحزب البكداشي في تعامله مع شكاوى السوريين من تجاوزات استبداد نظام الأسد الأب وفساده لكل الحدود.

الأمور باتت واضحة ومكشوفة إلى درجة أن الحديث عنها قد أصبح من المكرر الممل.

وكل ذلك أدى إلى انعدام ثقة السوريين بالشعارات والأقوال الثورية الزائفة المزيّفة. فقد أدرك السوريون بتجربتهم الأليمة أنها كلها تُسوّق لاستهلاك المحلي. تُستخدم لإثارة المشاعر وتهييج الناس لصالح تأبيد الاستبداد الفاسد المفسد.

إن وعي ناسنا بما جرى، ويجري، هو مقدمة لتحوّل نوعي سيكون في المستقبل بجهود الشباب السوري، الذين حصّلوا خلال السنوات الثماني المنصرمة، ورغم قساوة الظروف التي عاشوها، خبرة غير عادية في ميدان معرفة مجتمعهم، ومواقع وتطلعات القوى الفاعلة فيه، وطبيعة مشكلاته واحتياجاته، كما تيقّنوا من مدى تهافت التسويغات والشعارات التي كانت، وما زالت، تسوّق من أجل استمرارية نظام يمثّل مصدر كل الشرور والمشكلات التي عانى منها كل السوريين، ومن دون أي استثناء.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

اللغة الخشبيّة: «الثاء» المربوطة

منصف الوهايبي

ما أكثر ما نسمع قولهم في وسائل الإعلام: «هذه لغة خشبيّة»، والمجيب الذي يتكلّم كثيرا في العادة، يلزم الصمت أو يلوي لسانه، بدون أن يكفّ عن التخمين أو يقول شيئا ذا معنى؛ ولكنّه يحاول أن يكون ذلق اللسان؛ ويقول بدون أن يقول شيئا ذا بال يفيد أو يوضّح معلومة أو يغنيها. وكأنّه على رأي المثل الفرنسي:

Qui langue a, à Rome va

وترجمته «من يحسن الكلام، إلى كلّ مكان يذهبُ». وقد لا نستغرب عادة مثل هذه العبارة «خشبيّة» ونحن نديرها على الستنتا بيسر وسهولة؛ ولا نسأل ما علاقة لغة ما بالخشب؛ أو بمَ نسوّغ مثل هذا النعت أو هذا التعبير الكنائي أو الاستعاري الوافد على العربيّة مثلما هو وافد على لغات غيرها، كما أشير لاحقا. امّا في العربيّة فالخشب جمع خشبة، وهو ما غلظ من العيدان. وقال بعض الصحابة عن سلمانَ الفارسي: «كان لا يكاد يُفْقِه كلامه من شدّة عُجْمته، وكان يسمي الخَشَب الخُشْبان». وتقول العرب للرجل إذا صارَ صُلْبا، بأنّها «مانويّة» (نسبة إلى ماني الفارسي القائل بمذهب الصراع الأبدي بين النور والظلام)؛ ولكن ببرودة الرياضيات، حتّى لكأنّها ترقيم مزدوج أو مجرّد عدد مؤلّف من وحدتين. فلا غرابة أن تعوزها الصفات الفرديّة المميّزة، ويطرد فيها استعمال الكليشيهات أو الرواسم أو العبارات المقولبة المكرّرة على نحو ثابت لا يتغيّر، بأنّها لغويّة مبتذلة مثل قول الخشبي لمحاوره، لـ«تعليل» حدث ما: «أنت تعرف أنّ الظروف صعبة»، وإذ يُطلب منه تفصيل هذه الظروف؛ يعود إلى الحشو واللغو بعبارات مسهبة لا طائل تحتها، كأنْ يقول: «طبعا هي صعبة، ولكن لدينا مشاريع للمستقبل»، أو بعبارات حوشيّة مخالفة للقواعد والأعراف، أو هي قليلة الدوران على السنة الناس. والهدف من ذلك تغيير موضوع الكلام وصرف المستمع عن السؤال، أو تهدئة وضع طارئ. وأكثر ما يكون ذلك بصيغة المبني للمجهول الغضفاضة والعبارة المصنعة الخارجة عن السياق، حتّى لا يتمّ تحديد المسؤوليّة أو معرفة المسؤول؛ وإنّما الاحتيال على المستمع، كأن يزيّن له أمرا، ويحسّنه ويزخرفه.

ولعلّ هذا ما يجعلها شبيهة باللغة الدبلوماسيّة التي توسم بها الفرنسيّة عادة؛ وهي التي عوّضت اللاتينيّة منذ القرن الثامن عشر، في تحرير الاتفاقيّات الدوليّة، لاعتبارات كانت تتعلّق بإشعاع فرنسا الثقافي، وليس بهيمنتها؛ ممّا يقتضي بسطة تاريخيّة ليس هنا مجالها. لا ريْبَ لخواصّ لغويّة في الفرنسيّة، حتى أنّ الديبلوماسي البريطاني المعروف هارولد نيكلسون أشاد عام 1939 بـ«دقّتها الرياضيّة». والأغرب أنّها كانت في القرن التاسع عشر اللغة المستعملة في دوائر الديبلوماسيّين العثمانيّين. ثمّ بدأ أفولها عام 1919 في مؤتمر باريس، حيث زاحمتها الإنكليزيّة وجاذبتها مكانتها.

اللغة الدبلوماسيّة صورة من اللغة الخشبيّة، والدبلوماسيّة هي في جانبها الأبرز فنّ الظهور المستند إلى سلطة الكلمة المشفّرة المتصنّعة، تلك التي تحتفظ بسرّها من أجل خدمة الأقوياء المتنفّذين. ويرى البعض من اللسانيّين في تمويه المعلومة بدون الإفصاح عنها بالدقّة اللازمة، وتلافي الإجابة عن الأسئلة المحرجة المربكة، والحرص على صرف الانتباه عن بيّنة أو حجّة أو مستندات مثبتة، لكن بدون صدّم المحاور أو المخاطب؛ والتستّر على حقيقة مستكرهة مع التظاهر في الآن نفسه بوصفها، وإخفاء مقاصد وأهداف مخجلة أو غير لائقة، والإيهام بالموافقة على رأي؛ وإظهار الانطباع بالاهتمام بمشاغل الأغلبيّة من الناس، والحرص على الاستجابة إلى مطالبهم بعبارات فضفاضة. والهدف من هذا كلّه فرض إيديولوجيا النظام أو رؤيته للعالم.

ولهذه اللغة الخشبيّة وهي تدرّس في المدارس العليا للإدارة، وتحرص الأحزاب السياسيّة الفاعلة، على تعليمها لمريديها وأنصارها، سمات أسلوبيّة مشتركة تكاد لا تخفى. ونشير منها إلى ظاهرة تعقيد الأسلوب، بفيض أو سيل من الكلمات غير المفيدة هي حشو أشبه بالهذيان، هدفها إتعاب المستمع أو جعله يخفق إزاء أقلّ عقبة. وهي من ثمّة مصادرة للكلام وغياب تامّ أو يكاد لأيّ تبادل للرأي، ورؤية مزدوجة للواقع تلوح بوجهين؛ حتّى ليمكن نعتها بأنّها «مانويّة» (نسبة إلى ماني الفارسي القائل بمذهب الصراع الأبدي بين النور والظلام)؛ ولكن ببرودة الرياضيات، حتّى لكأنّها ترقيم مزدوج أو مجرّد عدد مؤلّف من وحدتين. فلا غرابة أن تعوزها الصفات الفرديّة المميّزة، ويطرد فيها استعمال الكليشيهات أو الرواسم أو العبارات المقولبة المكرّرة على نحو ثابت لا يتغيّر، بأنّها لغويّة مبتذلة مثل قول الخشبي لمحاوره، لـ«تعليل» حدث ما: «أنت تعرف أنّ الظروف صعبة»، وإذ يُطلب منه تفصيل هذه الظروف؛ يعود إلى الحشو واللغو بعبارات مسهبة لا طائل تحتها، كأنْ يقول: «طبعا هي صعبة، ولكن لدينا مشاريع للمستقبل»، أو بعبارات حوشيّة مخالفة للقواعد والأعراف، أو هي قليلة الدوران على السنة الناس. والهدف من ذلك تغيير موضوع الكلام وصرف المستمع عن السؤال، أو تهدئة وضع طارئ. وأكثر ما يكون ذلك بصيغة المبني للمجهول الغضفاضة والعبارة المصنعة الخارجة عن السياق، حتّى لا يتمّ تحديد المسؤوليّة أو معرفة المسؤول؛ وإنّما الاحتيال على المستمع، كأن يزيّن له أمرا، ويحسّنه ويزخرفه.

ولعلّ هذا ما يجعلها شبيهة باللغة الدبلوماسيّة التي توسم بها الفرنسيّة عادة؛ وهي التي عوّضت اللاتينيّة منذ القرن الثامن عشر، في تحرير الاتفاقيّات الدوليّة، لاعتبارات كانت تتعلّق بإشعاع فرنسا الثقافي، وليس بهيمنتها؛ ممّا يقتضي بسطة تاريخيّة ليس هنا مجالها. لا ريْبَ لخواصّ لغويّة في الفرنسيّة، حتى أنّ الديبلوماسي البريطاني المعروف هارولد نيكلسون أشاد عام 1939 بـ«دقّتها الرياضيّة». والأغرب أنّها كانت في القرن التاسع عشر اللغة المستعملة في دوائر الديبلوماسيّين العثمانيّين. ثمّ بدأ أفولها عام 1919 في مؤتمر باريس، حيث زاحمتها الإنكليزيّة وجاذبتها مكانتها.

اللغة الدبلوماسيّة صورة من اللغة الخشبيّة، والدبلوماسيّة هي في جانبها الأبرز فنّ الظهور المستند إلى سلطة الكلمة المشفّرة المتصنّعة، تلك التي تحتفظ بسرّها من أجل خدمة الأقوياء المتنفّذين. ويرى البعض من اللسانيّين مثل كونستانز فيلار أنّ شفرة الخطاب الدبلوماسي تدور على أربعة محاور: الرياء محلّ الصدق أو سلامة الطويّة، والكذب محل صدق الوعد أو كلمة الشرف، والزيف محلّ الحقيقة، والإخفاء محلّ الشفافيّة.

وفي هذا ما يسوّغ القول بأنّها لغة تكاد تجري على وتيرة واحدة لا تحرفها. فهي تقترب من «المشترك» اللغويّ، وتتدانى من البعيد اللغوي أيضا، وتلحق هذا بذاك؛ وهي تجترّه دونما انقطاع، وتضعه في مواضع متنوّعة جدّا. ولكنّها «تطعّمه» في الآن نفسه كما سلف، بالغريب أو الروسم [الكليشيه] المستعار من العادي وما تجري به الألسنة. بل هي تصطنع رواسمها كلّما تعلّق الأمر بإعادة استعمال صيغ بعينها أو بإطلاقها «رواسم» في فضاء الذاكرة المرئيّة أو السمعيّة. لنقل إنّها في مجتمعاتنا، خطاب لا يستنشي أكثره الألفاظ «المبتذلة» في صناعة الإشهار، بيْد أنّه في اللغة الخشبيّة إشهار سياسي يحاول أن يمالق المستمع، وأن يتسلّل إلى عقله؛ ليبذر فيه رؤية النظام للواقع أو طريقته في التفكير.

وهذا ما يجعلنا نرى في اللغة الدبلوماسيّة «الخشبيّة» ومتعلّقاتها عند الدبلوماسيّين بعدين اثنين: أوّلهما مناقضة لغة واضحة تقتضيها المواضعات، أو ما هو قريب من المعاني؛ من باب الحاجة إلى الازدواجيّة والالتباس. فهي إذن للاستعمال الداخلي الخاصّ، ولكنّ تجربة الدبلوماسي المتمرّس، تجعله لا يفرط فيها ولا يفرّط؛ فلا يشطّ ولا يغالي في استعمالها، وإنّما هو يؤدّيها وكأنّه يقيسها بالفرجار. وفي هذه الحال فإنّ ظلال معنى الأقوال المصرّح بها، المرتبطة بالصورة التقليديّة للدبلوماسيّة، تجعل الجمهور لا يقدّر هذه اللغة البعيدة عن توصيل المعلومة وتحقيق الغرض المطلوب بشفافيّة، وبتخاطب أو تواصل حقيقي. وثاني البعدين أنّ لهذه اللغة بعدا سياسيّا، فهي تتوجّه إلى المواطن وإلى وسائل الإعلام. وفي الديمقراطيّات، فإنّ الكلّ يرغب في النفاذ إلى المعنى؛ الأمر الذي يضفي على هذه اللغة طابعا خارجيّا. ولذلك نحتاج في مجتمعاتنا إلى الصحافيّين وذوي الاختصاص لفكّ رموز هذه اللغة الديبلوماسيّة وشفرتها.

لا أجد في وصف هذه اللغة الخشبيّة أو «الدبلوماسيّة» أبلغ من العبارة التي وضعها ستاندال على لسان أحد اليسوعيّين: «لقد مُنح الإنسان الكلام، من أجل إخفاء خواطره». وأطرف من هذا كلّه ما رواه لي أحد طلبتي عن تجربته في التعليم الثانوي، من أنّه يقف في مواضيع الإنشاء؛ على أخطاء طريفة مضحكة لا تخطر على البال. وذكر لي أنّه قرأ في تحرير تلميذ «الثاء» في كلمة «ثلاث» وقد كتبتْ في شكل تاء مربوطة ولكن بثلاث نقط، وإذ سأله مستغربا أجاب: «الثاء المربوطة».

تلك هي اللغة الخشبيّة حرف زائد في الأبجديّة، لغة لا تقول ولا تسمّي، لغة من يغربل الماء.

كاتب تونسي

من كاليفورنيا إلى واشنطن
تظاهرات ضد «معسكرات اعتقال» المهاجرين

هتف آلاف الأشخاص الذين تظاهروا في مدينة سان إيسيدرو على الحدود المكسيكية، ومدن أخرى أمس «أفرجوا عنهم الآن» مطالبين بإغلاق مخيمات احتجاز المهاجرين التي وصفوها بأنها «معسكرات اعتقال حقيقية».

وسار في مقدمة المسيرة التي توجهت إلى مركز سان إيسيدرو الحدودي في ولاية كاليفورنيا أطفال وضعوا على أكتافهم أغطية من ورق الألمنيوم كتلك التي يتسلمها المهاجرون السريون عند توقيفهم. ويقع المركز الحدودي المزدحم جدا مقابل تيخوانا في المكسيك.

وسار آخرون على وقع رقصات تقليدية وسط رائحة البخور. ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها «أغلقوا معسكرات الاعتقال» و«مكان الأطفال ليس في الزنزانات» و«لسنا نازيين». (مشهد من التظاهرة)

أداب وفنون

ذاكرة ترحال أدبية:
عصام محفوظ ومسرح القول المضاد

عصام محفوظ

يمنى العيد

كنا نناديه يا جارنا. وهو في الواقع جارنا، بيته يقع في بناية على بعد أمتار من البناية التي يقع فيها بيتنا. كأننا أهله، يقصدنا لأكثر من غرض. للحديث في أحوال الأدب، والبلد، والسياسة، وللتسلية بلعب «دق طاولة زهر» مع زوجي. وقد يسألني عن شقيقتي التي لا يعرف، ولكن التي عشق حلو «الزّ بحليب» التي كانت ترسله لي.

هذا وجه آخر لشخص عصام محفوظ، قلّة هم الذين عرفوه، وقد لا يكون عرفه أحد. إنه وجه الإنسان النبيل، الودود، المترفّع عن صغائر الدنيا.

أما الوجه الآخر المعروف فهو لعصام محفوظ الشاعر الحداثي، والمؤسس الرائد للكتابة المسرحيّة التي جعل منها معركة «ضدّ التقليديّة والخطابة والبلاغة، ضدّ الكلمة الشعريّة والغنائية، ضدّ كل ما يقتل الحياة في اللغة المسرحيّة، ويجرّدها من خصوصيّتها».

من أجل هذه الخصوصيّة، وباعتبار محليّتها، كان عصام الكاتب المسرحي يحضّر احتفال عاشوراء في مدينة النبطيّة (جنوب لبنان)، وكان يقول لنا: «كنت أقف مذهولاً أمام ما يحدث».

اختار عصام أن يكتب نصوصه المسرحيّة باللغة المحكيّة، أو كما سمّاها «الفصحى الشعبيّة»، وهو باختياره هذا أراد أن يضع حداً فاصلاً، كما يقول في بيانه: «بين النصّ الأدبي والنصّ المسرحي».

فالمسرح، كما يوضح، مشهد مرآتي للعامّة ولا بدّ أن يكون قابلاً للفهم والحوار. شأن عصام في ذلك شأن كاتب ياسين الذي جعل، هو أيضاً، من لغة الشعب المحكيّة، أي من اللغة التي يتخاطب بها الناس في عيشهم، لغةً للحوار المسرحي.

يلتقي المثقّفون في الفكر والمواقف، ويتمايزون في فنيّة التعبير والأسلوب.

كانت صداقتنا مع عصام جميلة وثريّة، وكان للجيرة دور في تمتين أواصرها، وتشعيب أحاديثنا. أتذكر حواراتنا حول قضايا النقد ووظيفته. كان ذلك في ربيع العام 1982، قبيْل الغزو الإسرائيلي لبيروت. كان يقول: «إذا كان للنقد دور، فهو في كشف القول المضاد للأمر الواقع، منعاً للاستسلام له، أياً كان القائل، ومهما كان القول». وكان ينتقد المثقف الذي يقف في دائرة المراوحة «خارج إمكان القول المضاد» الذي يتطلب «جرأة مزدوجة: جرأة الكشف وجرأة التعبير».

مثقفاً جريئاً كان عصام، ومواطناً لم يخش العيش في حي مسكون بالمسلحين. هكذا بقي في بيته وقد تحولتْ حرب الفصائل التي قاومت جيش إسرائيل وأخرجته من بيروت، إلى حرب أهليّة بين هذه الفصائل.

في حيّنا، ومقابل البناية التي نسكن فيها، كان على عصام عند زيارته لنا، كما على كل زائر، أن يتجاوز موقعا لمسلحين ينتمون إلى تنظيم «المرابطون»، وكان وجود مثل هذه المواقع بين الأبنية السكنية أمراً مفروضاً علينا. هكذا كان عصام ما أن يجتاز عتبة بيتنا حتى يفرج عن ضحكته الهازئة ويقول: ليس مبرراً أن يتساءل البعض عن جدوى الكتابة وسط هذا السلاح وقد تحول، بسبب عجزه، من وسيلة إلى غاية؟ ثم يضيف: قد تقولون إن الكلمة هي السلاح البديل، ولكن ماذا يستطيع هذا السلاح البديل وقد عجز، قبلاً، عن الحيلولة دون الوصول بنا إلى الطريق المسدود؟

نعم، لقد بدا الطريق للكثيرين منا مسدوداً، ذلك أنه ما أن خرجت المقاومة الفلسطينية من بيروت، أو أُخرِجت، إثر خروج الجيش الإسرائيلي منها، مهزوما، حتى عمّ الاقتتال بين الميليشيات المسلحة وبدا الأفق مسدوداً، والكلمة البديل بلا فائدة.

أقف اليوم أمام مكتبتي، مقابل الكنبة الكبيرة التي كنت تجلس عليها، أستعرض كتبك التي كنت تحملها إلينا تباعاً، يقع نظري صدفة على ديوانك الشعري «الموت الأول»، أقرأ إهداءك: «إلى جارتي في الفكر والنقد والأدب». الديوان بين يديَّ الآن، أفتحه على صفحة من صفحاته الأولى، بين وقتين من بياض، هو بياض قلبك، أقرأ ما كتبتَه بخط يدك:

«أمضي إلى غايتي/ وأعيّني مغمضة/ أحمل في صدّتي/ خبزي ومجد أبي/ وسيفي الأبيض.

أمضي بلا غاية/ متوجاً بالرماد/ تضيئني صورتي/ وشمسي الغاربة/ على جبين البلاد/ أرسم في غربتي/ مدينتي الغائبة/ وزرقة وحداده».

– لماذا أهملت كتابة الشعر يا عصام؟ ولماذا لم تعد تكتب للمسرح؟

– إنها الحياة فعل سوريالي فما العمل. تقول. ثم تقهقه قهقهتك الساخرة بمرارة من الحياة.

تحكي لنا حكاية الرجل الذي لا يعمل، وكيف جاء من ينصحه بالعمل، فسأل: ولماذا عليّ أن أعمل؟

– سوف تحصل على المال وتشتري كل ما تحتاج إليه، وتعيش مرتاحا.

فابتسم الرجل وقال: ولكن ها أنا مرتاح.

كنت تروي لنا هذه الحكاية وتضحك كأنك تهزأ من هذه الحياة التي نعيشها، والتي لا توفر للمبدعين إمكانيّة الانصراف إلى كتابة ما يودون كتابته.

في العام 1966 انتقل عصام محفوظ من كتابة النص المسرحي إلى كتابة المقالة الصحفية في جريدة «النهار». كنا ننتظر الجريدة صباح كل يوم سبت لنقرأ مقالاته الثقافية المتنوعة، فقد كان كاتب المسرحيات يحوّل المقالة الصحفية إلى مشهد يثرينا بقدر ما يمتعنا.

بعد ثلاثين سنة من العمل، كاتب مقالة لصفحة كاملة في جريدة «النهار»، فُصل عصام من عمله ليجد نفسه بلا راتب شهري يكفيه العيش بكرامة. لكن الكتابة بقيت سبيله إلى الحياة. هكذا كان يحمل إلينا بين فترة وفترة كتبه التي كانت تصدر تباعاً، بعد أن يبيع حقوقه لدور النشر. من هذه الكتب التي كان يهدينا إياها أذكر: حوارات «مع الملحدين في التراث»، «مع الشيخ الأكبر ابن عربي»، «مع متمردي التراث»، «مع رواد النهضة»، «مع متمردي الثقافة».

ما هذا يا عصام؟

يقهقه هازئاً ويقول: لم يبق لي سوى الكتابة كي أعيش.

كان لواحد من هذه الكتب «عاشقات بيروت الستينات» حكاية. تبدأ من عمله، أواخر الستينات، سكرتير تحرير في مجلة «الحسناء» التي كانت قد اشترت امتيازها «دار النهار». يقول عصام في مقدمة هذا الكتاب: «... كنتُ على احتكاك يومي بنماذج أنثويّة، مختلفة الأمزجة والأهواء، فأتحاور معها بحياديّة أحياناً وبتورط أحياناً أخرى...»

لكن مخطوطة هذه الحوارات التي جمعها عصام وكتب لها مقدمة بهدف نشرها ضاعت في حينه، ثم وجدها بالصدفة وكان لبنان قد غرق في حروبه، فلم يجد عصام نشرها في ذلك الوقت مناسباً، ولكن هل كان نشرها بعد وفاته مناسباً؟

عصام محفوظ الكاتب المسرحي الرائد والذي توقف عن كتابة المسرحيّات، نجده، هنا، في حواراته المعبِّرة، لا عن قضايا تخصّ الواقع والإنسان ومسألة الحرية والسياسة، شأنه سابقاً، بل عن العشق والأنوثة والقلق، أي عمّا يحيل على سؤال الموت والحياة.

في «عاشقات بيروت الستينات» مشاهد مسرحية نابضة بالحياة مكتوبة بلغة عارية من الزخارف، قريبة من لغة التخاطب الشعبي، تشي بحنين عصام إلى الكتابة المسرحية، لكنه حنين لا يخلو من فلسفة ترى بأنَّ العالم سيصبح «ملجأ واحداً لعائلة واحدة لها عدو واحد هو الموت».

الموت الذي جاءه فجأة. في غرفة في مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت التي نُقل إليها بعد أن وجده وحيدا في بيته فاقدا قدرته على الكلام، زرته برفقة زوجي. انحنينا عليه وقبلناه تباعاً على جبينه. ابتسم دامع العينين، ثم أخذ يدي وقبلها، وكتب على ورقة وكأنما ليعزّي نفسه: «لقد أصابني ما أصاب عاصي» (يقصد عاصي الرحباني).

تركناه مبتسماً، تسكن عينيه ومضة أمل، لكنه الموت الذي لم يمهله، فأغلق عينيه على وحدته، على نضاله من أجل مدينته الغائبة عنه، من أجل «الرجل العجوز يكنس الشارع... ويبحث عن سيكارة»، من أجل «ماسح الأحذية الصغير يراقب الأقدام بعناية»، من أجل هذه الـ«ماذا» التي رسمها عصام كبيرة على غلاف كتاب من كتبه المسرحية: «لماذا رفض سرحان سرحان ما قاله الزعيم فرج الله الحلو». بصمت كان يطرح أسئلته، ويترك لكتاباته المتنوعة الإجابة عليها. رحل عصام الجار والصديق.

لكن عصام الكاتب المبدع، والمثقف المناضل... بقي صوتاً في أكثر من كتاب تركه لنا.

عصام محفوظ، 1939/1/1 ـ 2006/2/3

- ولد في جديدة مرجعيون جنوب لبنان. نال دبلوم الدراسات العليا في معهد الدراسات العليا في باريس.
- شاعر حداثي، رائد مسرحي، عمل في الصحافة الثقافية وكان أحد أركان مجلة «شعر» التي كانت تصدر في بيروت.
- من نصوصه المسرحيّة: «الزنزلخت»، 1968، التي جعلت منه كاتباً مسرحيّاً بارزاً؛ «كارت بلانش»، 1970؛ «الدكتاتور»، 1972.
- من دواوينه الشعرية: «أشياء ميتة»، 1959؛ «أعشاب الصيف، 1963؛ «الموت الأول»، 1973.
- من نصوصه النقديّة والثقافيّة: «أراغون الشاعر والقضية»، 1974؛ «الرواية العربية الطليعية»، 1981؛ «سيناريو المسرح العربي»، 1981؛ «حوار مع رواد النهضة العربية في القرن التاسع عشر»، 1988؛ «المسرح مستقبل العربيّة»، 1991؛ «رامبو بالأحمر»، 2002؛ «باريس السبعينات»، 2018.
- ترجمت أعماله إلى عدة لغات عالمية.

الدورة الثالثة عشرة لبينالي القاهرة «نحو الشرق»:
عن قسوة العالم والفن الافريقي يكشف زيف الكثير من الأعمال

سيروان باران العراق

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

بعد توقف دام 8 سنوات، يعود بينالي القاهرة في دورته الـ (13) ـ في الفترة ما بين 10 حزيران/يونيو حتى10 آب/أغسطس المقبل ـ كمحاولة للتواصل مع فنانين مصريين وآخرين من مختلف دول العالم، سواء عربية أو غربية، وكفرصة للتفاعل الفني بين أعمال متباينة من الفن التشكيلي ووجهات نظر ورؤى مختلفة من الفنانين. أقيم البينالي في كل من قصر الفنون، ومتحف الفن المصري الحديث، وقصر عائشة فهمي في الزمالك.

صياغة التجارب الفنية

بعد صرعة التهويمات التي اتسمت بأفكار وتقنيات فنون ما بعد الحداثة، يحاول البعض من الفنانين الهدوء قليلاً، والتفكير بعيداً عن ألعاب التقنية الفارغة في الغالب، والبحث عن الفكرة والتعبير عنها في شكل أبسط وأعمق من مجرد خطف الأبصار للوهلة الأولى كلاعبي السيرك. ورغم بعض التجارب التي لم يزل أصحابها يرون في هذه الألعاب قيمة وجودهم، بل والإصرار عليها خشية الضياع، إلا أن هذا المجد الزائف تكشفه تجارب فنية أخرى، لم تقايض بالفن في سبيل التقنية والتغريب.

العرب

لن تجد في أغلب البلاد العربية سوى المأساة، وحتى البلاد التي تحاول التناسي أو غض الطرف عن ما تعانيه، فإن فعل التغييب يصبح أكثر حضوراً. تحضر بقوة عدة أعمال من العراق، لبنان وفلسطين، محاولة تجسيد ما يعيشه الناس بعيداً عن الصور المعهودة في وسائل الإعلام. فالفنان اللبناني أيمن بعلبكي يصوّر في لوحات ضخمة عدة بنايات طالتها ويلات الحرب، أماكن خربة هجرها ناسها وأصبحت شاهدة على ما حدث، ويضع كلمة «النهاية» في منتصف اللوحة، وكأننا أمام مشهد من فيلم سينمائي. هكذا النهاية ولك أن تتخيل الأحداث كما تشاء. ومن فلسطين يأتي الفنان حازم حرب مازجاً الفوتوغرافيا وأدوات بنائية أخرى، ممثلاً كيفية اختراق الجدار العازل للأرض، في محاولة حتى تتجسد الحالة أمام المُتلقي بأن يتحرك حول العمل الفني ويُطالع الجدار المنتصب الذي يشوّه المشهد تماماً. أما العراق فمن خلال الفيديو آرت يأتي عمل الفنان صادق الفراجي الذي يسرد حكاية ما جرى للشعب العراقي من خلال لقطة أشبه بالجداريات القديمة لرجل وامرأة، حيث تتوالى الأحداث المصوّرة، من كائنات وزواحف في لقطات توحي بمدى الرعب الذي يعيشه الجميع. أما العمل اللافت فهو من العراق أيضاً، للفنان سيروان باران، الذي يجسد من خلال ثلاث لوحات كبيرة وفي أسلوب كلاسيكي يقترب من بعض التجريد حال المواطن العراقي عن طريق اللقطة الشهيرة من سجن «أبو غريب» – لقطة الكلب الذي ينهش جسد الرجل المُرتعب – فالمآل لم يكن وليد المصادفة، قبلها رجل ضخم أرستقراطي يتقدمه كلب مطيع يثير الرهبة في الجميع، ثم يحل محل الأرستقراطي آخر عسكري، وفي الأخير لم يجد الكلب الذي توحش سوى المواطن حتى يتمثل الصورة المعهودة. هنا يختصر الفنان تاريخ السلطة العراقية في ثلاث لقطات تحمل قدراً كبيراً من الشحنة الانفعالية والجمالية، لوحات تعتمد الإيجاز، دونما استرسال، فقوة الفكرة هنا يتم التعبير عنها في تكوين ولون كلاسيكي، أشبه باللوحات التي كانت تزيّن القصور وقاعات الاستقبال الكبيرة، لكنها اليوم ليست لمنظر طبيعي أو لرجل يختلس قبلة من امرأة، بل حيوات أجيال تم اختلاسها في غفلة منهم. وبخلاف هذه الأعمال تأتي أعمال أخرى تكشف مدى دعائيتها، فقط إعادة لنظرة استغرابية معهودة، كامرأة سمراء تحمل بعض الأواني كصورة للفلاحة المصرية، فلا هي فلاحة ولا تمت للمصريات بصلة، وعلى هذا المنوال تتعدد الأعمال المُفتعلة التي تجسد ملامح وشخوص وبيئات بعيدة تماماً عن الفنان الذي يظن أنه يتمثلها أو يعبّر عنها.

أميكا أوكريك نيجيريا

جمبي لوف باكومبانا الكونغو

افريقيا

ويأتي فنانو افريقيا بإيقاع مختلف وخاص بهم، سواء على مستوى الموضوعات أو التقنية واللون، فلا اغتراب عن الطبيعة والبيئة، حتى في تجسيد حالات الوحدة، كما في لوحات الفنان جمبي لوف باكومبانا من الكونغو، فالعزلة تأتي من خلال تجسيد فوق وقائعي، رغم مفردات المكان وتفاصيله، إلا أن مسحة التجريد، واللون المشترك ما بين الشخصية والمكان ـ الرجل في حالة سُكر ـ حتى يرى أو يتخيل بمعنى أدق بأن مَن يُشاركه جلسته مجرد حيوان زاحف! وفي فوتوغرافيا إميكا أوكريك من نيجيريا، وهي لقطة شائعة في القرى الفقيرة ـ حلاقة الشعر ـ لتصبح رأس الفتى أو الرجل هي معظم حجم اللقطة، وفي أقصى يسار الصورة لأعلى يد صاحب ماكينة الحلاقة، ورغم أن الصورة بالأبيض والأسود، وهو لون ملائم تماماً لشكل كان من الممكن أن يكون قد انتهى، لكنه لم يختف، ولا يمت للتراث. أما عرض جنوب افريقيا للفنانين آدم برومبرغ وأوليفر تشاناراين، فهو وإن كان يعد من فنون الفيديو، إلا أنه يقترب أكثر من شكل الفيلم، يصوّر العمل قوارب المهاجرين غير الشرعيين، العديد من القوارب الآتية من بلاد مختلفة، ولكن للقوارب أيضاً حياتها، وفي مكان القوارب القديمة تأتي «الآلة» التي تقوم بتكسيرها ونقلها فوق العربات من على الشاطئ، هنا يتم تشخيص هذه الآلة، التي لا تمتلك إلا فكين قويين، ورقبة طويلة تتحرك، الآلة هنا أشبه بالوحوش، وعلى نغمات أغنية متأسية تتراقص رقصات مأساوية، فهل لابد من تحطيم هذه القوارب قبل ما تنتهي حياة روادها؟ أم انتظارها حتى تشيخ والانتقام مما حدث؟!

آدم برومبرج وأوليفر تشاناراين جنوب أفريقيا

هذه لمحة سريعة عن بعض الأعمال المشاركة في البينالي، وليدور التساؤل حول الفنانين أنفسهم، والمصريين خاصة، والتي لم ترتق أعمالهم إلى مستوى ما استعرضناه، وهل تواصل هؤلاء مع هذه الأعمال، أم أنهم ـ أغلبهم ـ يعمهون في التقليد والتكرار، والتعبير عن عوالم وموضوعات يستعرضون من خلالها بعض التقنيات، بغض النظر عن إحساسهم بهذه الموضوعات أو أن هناك قلقا فنيا يحاولون التعبير عن أنفسهم من خلاله؟ أسئلة ستظل تتكرر عند كل ملتقى أو معرض دولي يكشف الكثير مما يتم ترويجه والدعاية له على طول الخط.

أحمد قاسم مصر

تحقيقات

تنظيم «الدولة»: محطات في تاريخ صراعه من أجل البقاء

رائد الحامد

أدى الانسحاب الأميركي من العراق عام 2011 إلى خلق فراغ أمني وسياسي نجحت إيران في ملئه عبر قوات حليفة لها من المجموعات الشيعية المسلحة التي تم تشكيلها قبل وبعد احتلال العراق والتي كانت تنشط بشكل أكبر خلال الحرب الطائفية بين الشيعة والعرب السنة بين عامي 2006 و2008 أثناء تواجد القوات الأمريكية في العراق التي انشغلت بقتال تنظيم «الدولة» وفصائل المقاومة السنية.

منذ أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001 برز تنظيم القاعدة كفاعل أول في المشهد «الجهادي» حول العالم قبل ان يتنزع منه تنظيم «الدولة» صدارة المشهد عام 2014 في عدد من «الولايات» المنتشرة في دول عدة من غرب أفريقيا إلى شرقها وفي عدد من دول الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.

تعد الدولة الإسلامية، أو دولة الخلافة الإسلامية (2014 حتى الآن) امتدادا تنظيميا للدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» (2013 إلى 2014) وقبلها دولة العراق الإسلامية (2006 إلى 2013) التي سبقها تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين (2004 إلى 2006) الذي هو نتاج لتنظيم كتائب توحيد الجهاد التي أسسها أبو مصعب الزرقاوي نهاية عام 2003.

إعلان «البيعة الشرعية»

في الاستراتيجيات البعيدة لتنظيم «الدولة» بعد أحداث الموصل 2014، يصر التنظيم على خطابه الداعي لإنشاء «دولة الخلافة الإسلامية» التي يراد لها ان تحكم العالم وفق فهمها الخاص للشريعة الإسلامية على أساس إعلان «البيعة الشرعية» لخليفة المسلمين أبو بكر البغدادي للسكان الخاضعين لسلطة التنظيم.

لعب التحالف الدولي بمشاركة نحو 80 دولة وبقيادة الولايات المتحدة العامل الحاسم في تراجع أداء مقاتلي التنظيم وقدراتهم بالدفاع عن المدن الخاضعة لسيطرتهم نتيجة حملات القصف الجوي المكثفة التي بلغت أعداد القنابل والصواريخ أكثر من 100 ألف استهدفت مواقع ومدن سيطرة التنظيم لإسناد القوات البرية أثناء اقتحام المدن، مثل قوات البيشمركه الكردية والقوات الأمنية وقوات سوريا الديمقراطية، وأيضا فصائل الحشد الشعبي الذي ترتبط معظم قياداته بعلاقات تحالف وثيقة مع الحرس الثوري الإيراني ومكتب المرشد الأعلى علي خامنئي.

بعد معركة تكريت في نيسان/ابريل 2015 بدا واضحا ان التنظيم في طريقه لخسارة جميع مناطق سيطرته طالما تدخلت قوات التحالف الدولي لإسناد القوات البرية، القوات الأمنية والحشد الشعبي.

وفي سوريا تدخل التحالف الدولي بعد نحو شهر من تشكيله بالضربات الجوية لمواقع التنظيم بهدف اضعافه وتدمير قدراته، إلا ان التحالف بين قوات التحالف وقوات سوريا الديمقراطية التي تقودها وحدات حماية الشعب الكردية وتضم نسبة من المقاتلين العرب، زاد من الضغوط على التنظيم الذي فشل في السيطرة على بلدة عين العرب «كوباني» وبعدها توالت خسارته لمدن مهمة، مثل الرقة العاصمة الافتراضية لدولة الخلافة الإسلامية، وبعدها دير الزور وغيرهما.

أدت عمليات التحالف الدولي إلى دمار واسع في مدن عراقية وسورية من خلال ما يزيد عن 34 ألف غارة جوية وحملة قصف مدفعي توزعت بواقع 14.5 ألف غارة في العراق و19.5 غارة في سوريا، وفق بيانات أمريكية أشارت إلى استخدام ما لا يقل عن 116 ألف قنبلة وصاروخ أطلقت من الجو.

وفي تقارير مستقلة، أشارت إلى ان أكثر من 7500 مدني قتلوا في سوريا والعراق جراء عمليات التحالف الدولي منذ تشكيله عام 2014.

وتشير بعض التقديرات إلى ان حوالي 425 من المقاتلين الأجانب ممن يحملون الجنسية البريطانية قد عادوا إلى بلدهم خلال ستة أشهر بعد تشرين الأول/اكتوبر 2017، وحوالي 271 إلى فرنسا و300 إلى ألمانيا خلال الفترة نفسها مع أعداد أخرى أقل إلى كل من الولايات المتحدة وبعض دول الاتحاد الأوربي؛ يمكن لهذه الأعداد الكبيرة نسبيا ان تشكل تهديدا جديا لأمن تلك الدول إذا تمسك العائدون بايديولوجية التنظيم، واحتفظوا بالخبرة الأمنية والقتالية المكتسبة في فترة عملهم مع التنظيم في العراق وسوريا.

الصراعات الكامنة في المجتمع

ركزت الولايات المتحدة في تحالفها الواسع لقتال تنظيم الدولة على الجوانب العسكرية والأهداف قصيرة الأمد في حين أغفلت العمل على معالجة الأسباب الحقيقية للصراعات الكامنة في المجتمع والتي أدت إلى زيادة مستويات العنف والتشجيع على ظهور التنظيمات العنفية أو الموصوفة أمريكيا بالتنظيمات الإرهابية.

لا يمكن للمعالجة العسكرية أحادية الاتجاه تحقيق الأمن والاستقرار على المدى البعيد؛ يمكن لهزيمة تنظيم «الدولة» عسكريا ان تؤدي إلى نوع من الهدوء الأمني النسبي كخيار يلجأ إليه التنظيم لإعادة رسم استراتيجياته وفقا للمتغيرات والدروس التي استفاد منها خلال ثلاثة أعوام من سيطرته على مدن ومساحات واسعة في العراق وسوريا، واتساع نفوذه ووجوده في ساحات بعيدة في اليمن ومصر وليبيا وأفغانستان وغيرها.

واتفقت الولايات المتحدة ما لا يقل عن ستة ترليون دولار طيلة سنوات الحرب الكونية على الإرهاب التي أعقبت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001 بينما ازدادت أخطار التطرف والإرهاب لأسباب تتعلق بقصور الرؤية الاستراتيجية التي اعتمدت المعالجة العسكرية مع اهمال معالجة الأسباب التي تغذي نمو الفكر المتطرف ونشوء التنظيمات الإرهابية، وهي في معظمها تتعلق بالحالة الاجتماعية والشعور بالظلم والتهميش والإقصاء لبعض المجتمعات المحلية.

التطرف مشكلة سياسية ذات أبعاد اجتماعية

التطرف ليس وليد دين معين أو فكر معين انما هو بطبيعته مشكلة سياسية ذات أبعاد اجتماعية على صلة بطبيعة المجتمعات والعوامل المساعدة لتغذية مثل تلك المشاكل الاجتماعية التي تنمو مع زيادة المعاناة الإنسانية والشعور بالظلم والعدوان الخارجي وغيره.

لذلك فان مكافحة الإرهاب أو التطرف لا يشمل فقط الاهتمام بما يتعلق ببناء الدولة ومؤسساتها، العسكرية والأمنية خاصة، انما ببناء شبكة تحالفات من القوى المحلية قادرة على كبح جماح التهديدات المناطقية وصدها وحماية أمن واستقرار المدن التي تتواجد فيها.

وتشكل خسارة تنظيم «الدولة» آخر مناطق سيطرته في سوريا وقبلها في العراق، هزيمة عسكرية استراتيجية من دون أن تعني هزيمته الكلية والقضاء التام على تهديداته.

ولا تزال الفكرة المحورية التي قامت على أساسها التنظيمات المتطرفة، مثل تنظيم «الدولة» قائمة.

ولم تتغير الاستراتيجيات قصيرة المدى وأهدافها البعيدة إذ لا يزال التنظيم يحتفظ بجوهر الفكرة التي قام عليها، وهي فكرة السلفية الجهادية التي تهدف لإقامة دولة الخلافة الإسلامية وفق الشريعة الإسلامية والتي تتطلب «جهاد» ضد الكفار والمشركين حول العالم.

أظهر تنظيم «الدولة» مرونة عالية في إعادة هيكلته، وقدرات غير اعتيادية على التكيف مع التطورات على الأرض والخسائر المتتالية التي لحقت به طيلة سنوات.

وستجد قيادات التنظيم بعد خسارته مناطق سيطرته في سوريا نفسها أمام واقع إثبات وجود التنظيم أمام مقاتليه أولا، وأمام العالم ثانيا، وانه لا يزال على قيد الحياة.

في المرحلة الراهنة، ستتحول نشاطات التنظيم إلى استنزاف العدو المفترض عبر حرب العصابات مع مواصلة الدعاية الإعلامية وتوسيع نطاقها في محاولة منه لمزيد من تجنيد الشباب الذي يشعر بالظلم أو الملاحقين قضائيا أو أولئك المطلوبين عشائريا.

قد لا تعود الظروف مؤاتية لعودة التنظيم في المدى القريب، 3 إلى 5 سنوات، والسيطرة ثانية على المدن واخضاعها، سواء ما يتعلق بالعامل البشري إذ فقد التنظيم كبار قادته ومئات المقاتلين من ذوي الخبرة القتالية المتراكمة من ساحات عدة، أو ما يتعلق بقضايا التمويل اللازم والمعدات القتالية، وأيضا المناطق الآمنة لإقامة معسكرات تدريب مقاتليه، أو القبول المجتمعي له إلا في حال اتبع نهجا فكريا أقل تشددا وسلوكا مغايرا في التعامل مع البيئة الاجتماعية المحيطة به.

هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية

سلسلة تفجيرات

وفي رسائل واضحة وجهها تنظيم «الدولة» في أعقاب خسارته معركة الباغوز، أطلق سلسلة من التفجيرات «الانتحارية» في عيد الفصح في سيريلانكا نفذها تسعة أشخاص من أعضاء التنظيم، بينهم امرأة، استهدفوا فنادق وكنائس أسفرت عن مقتل نحو 300 شخص.

وتوحي تفجيرات سريلانكا باستمرار تهديد التنظيم للأمن والاستقرار في دول مختلفة حول العالم على الرغم من خسارته جميع أراضي سيطرته في العراق وسوريا.

وسيستمر تهديد التنظيمات الإرهابية باستخدام وسائل متنوعة تتكيف مع المتغيرات في أساليب مواجهتها التي شهدت الكثير من استخدام التكتيكات «غير المتوقعة».

حتى بعد مرور نحو عام ونصف على إعلان العراق النصر على تنظيم «الدولة» ونحو ذلك من خسارة التنظيم مدينة الرقة السورية «العاصمة الافتراضية» وجميع المراكز الحضرية التي كانت تخضع لسلطته، تبدو الظروف مهيأة من جديد لعودة جديدة للتنظيم في العراق وفق تصريحات لمسؤولين محليين في محافظة عن احتمالات سيطرة التنظيم على مدن عدة في محافظة نينوى خاصة.

ولا يزال يتواجد في قاداته لا أمير التنظيم أبو بكر البغدادي مكان ما، كما ان العديد من كبار قاداته يزالون على قيد الحياة.

وعلى الرغم من خسارته العدد الأكبر من أهم قياداته وحالة «التمرد» الداخلي في الصف القيادي الأول الذي تحدث عنه أحد مساعدي البغدادي بكتاب عنوانه «كفوا الأيادي عن بيعة البغدادي» غير ان التنظيم اعتاد على مثل تلك الخسارات التي ستكون لها تداعيات سلبية على أداء التنظيم وقدراته لكنها بالتأكيد لن تؤدي إلى نهايته طالما ان الأساس الذي يعتمد عليه التنظيم في البقاء هو الحفاظ على العنصر البشري، وهي استراتيجية اتبعها بالانسحاب المنظم من جميع مدن سيطرته إلى مناطق أخرى أما باتفاق مع القوات المهاجمة أو عن طريق العمل العسكري لفتح ممرات خروج لمقاتليه.

وتشير تقديرات لقادة أمريكيين ان هناك عدة آلاف من مقاتلي التنظيم يتواجدون في العراق وسوريا، وأعدادا غيرها في مناطق أخرى من العالم في أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

وإذا كانت قوات التحالف الدولي أو القوات الأمنية العراقية والقوات السورية تمتلك الإمكانيات القتالية العالية قياسا إلى إمكانيات تنظيم الدولة، فان هذه القوات لا تمتلك إرادة القتال التي يمتلكها مقاتلو التنظيم الذين يعتمدون حرب الاستنزاف طويلة الأمد، وهي الحرب التي يفضلها التنظيم على الحرب النظامية الشاملة التي خسرها خلال أربع سنوات في جميع المعارك التي خاضها دفاعا عن مناطق سيطرته في العراق وسوريا.

وأصدر تنظيم «الدولة» تسجيلا مصورا مدته 18 دقيقة يظهر أميره متحدثا إلى ثلاثة رجال في مكان غير معلوم بينما أشار إلى أحداث وقعت خلال شهر نيسان/ابريل الماضي. وظهر البغدادي لأول مرة منذ ظهوره في مسجد النوري الكبير في الموصل معلنا «دولة الخلافة الإسلامية» في 29 حزيران/يونيو 2014 بعد أقل من ثلاثة أسابيع على سيطرة التنظيم على المدينة.

الحروب الأهلية والفوضى الأمنية

على مدى سنوات طويلة تكررت الإعلانات عن انتهاء تنظيم «الدولة» والتنبؤ بقرب زواله بعد حالات الانكسار والخسارة التي يمنى بها كما حدث في عام 2007 عندما نجحت مجالس الصحوات العشائرية بإسناد ودعم مباشر من القوات الأمريكية بطرد مقاتلي التنظيم من مراكز المدن، وكذلك بعد خسارته مدينة الموصل في تموز/يوليو 2017.

تفتقر آراء القادة العسكريين والمحللين الذين يعتقدون بزوال التنظيم بعد خسارته معارك عسكرية وفقدانه مواقع سيطرته إلى رؤية بعيدة المدى في فهم حقيقة التنظيم والتنظيمات «العقائدية» الأخرى كحركات «جهادية» عابرة للحدود الوطنية تتسم بصفة العالمية وتبني منهجها الفكري على أسس «دينية» تتماشى مع المعتقدات السائدة في الوعي الجمعي التراكمي بواقع «العداء» الغربي للإسلام والمسلمين على خلفية «دينية» وأنها حرب بين المسلمين وغير المسلمين على مستويات سياسية ودينية وعسكرية.

وفي الواقع، تنمو معظم تلك التنظيمات في بيئات الحروب الأهلية وشيوع الفوضى الأمنية وعدم الاستقرار في الدول «الهشة» أمنيا أو الدول «الفاشلة» التي تتميز بغياب «الحكم الرشيد» وانعدام «العدالة الاجتماعية» وسيادة التمييز على الأسس العرقية والدينية ضد المكونات الأخرى بعيدا عن «سيادة القانون» بالإضافة إلى انتشار الفساد الإداري والمالي في مفاصل تلك الدول وزيادة نسبة البطالة وغيرها من العوامل المساعدة على نشوء مثل تلك التنظيمات.

كما تساعد في عملية نشوء وتطور التنظيمات «المتطرفة» حالات تصاعد حدة التوترات الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط على خلفيات طائفية (سنية شيعية) على مستوى الدول، السعودية وإيران على سبيل المثال، واستمرار بعض الأنظمة، في سوريا والعراق مثلا، باتباع النهج الطائفي في إدارة الدولة والتمييز في المناصب والثروات على أسس الانتماء الطائفي أو المناطقي، وعوامل أخرى تجعل بعض المجتمعات المحلية أكثر قبولا لمثل تلك التنظيمات وأكثر استعدادا لتوفير البيئة الحاضنة لها.

لذلك من المستبعد كتابة إعلان «زوال» تنظيم «الدولة» طالما ظلت هناك صراعات وحروب أهلية من شمال افريقيا إلى جنوب شرق آسيا وفي منطقة الشرق الأوسط أيضا.

سيكون من السهل على تنظيم «الدولة» انشاء ملاذات آمنة جديدة في مناطق بعيدة عن سوريا والعراق اللتان «فشل» التنظيم خلال سيطرته على مساحات واسعة منهما في إدارة شؤون المجتمعات المحلية في البلدين.

حملة جديدة على شبكات التواصل للتضامن مع سلمان العودة وإنقاذه من الإعدام

لندن–«القدس العربي»:

أطلق نشطاء سعوديون وعرب على شبكات التواصل الاجتماعي حملة جديدة الأسبوع الماضي من أجل التضامن مع الشيخ سلمان العودة، وهو أحد أبرز وأشهر الدعاة المعتقلين حالياً في السجون السعودية، فيما شارك في الحملة آلاف المغردين والمدونين من مختلف أنحاء العالم العربي.

وتأتي هذه الحملة بالتزامن مع تجدد التوقعات بأن تقوم السلطات السعودية بإصدار حكم بإعدام العودة وتنفيذه، وهو ما أشاع موجة من الغضب والقلق في أوساط مؤيدي العودة الذي يعتبر أحد أشهر الدعاة في السعودية منذ سنوات، كما أنه أحد أكثر النشطاء تأثيراً في البلاد بسبب متابعة الملايين له على شبكات التواصل الاجتماعي.

وكان موقع «ميدل إيست آي» البريطاني قال في أيار/مايو الماضي إن السلطات السعودية ستصدر أحكاما بالإعدام على كل من العودة ومعه عوض القرني وعلي العمري، ونقلت عن مصدرين حكوميين سعوديين قولهما إن الأحكام «ستصدر عليهم بتهم متعددة تتعلق بالإرهاب وسيتم إعدامهم بعد وقت قصير من صدورها».

وقال أحد المصدرين إن السلطات لن تنتظر كثيرا، مضيفا «بمجرد صدور الحكم سيتم إعدامهم» فيما قال المصدر الآخر إن السلطات ستستغل ضعف ردة الفعل على إعدام الـ37 معتقلا مؤخرا لتنفيذ الإعدامات الجديدة.

وجاءت الحملة الجديدة تحت عنوان «#سننقذ_سلمان_العودة» ودعت إلى إنقاذه من الإعدام والضغط على السلطات السعودية من أجل إطلاق سراحه، وذلك بالتزامن مع اقتراب موعد محاكمته نهاية الشهر الجاري.

وأطلق الحملة حساب «معتقلي الرأي» المعني بحقوق الموقوفين في السعودية عبر «تويتر» وهو أشهر حساب يتابع أخبار المعتقلين في السعودية، وأكد أن الحملة لن تتوقف إلا بخروج العودة من السجن.

وأشارت الحملة إلى أن من المقرر عقد جلسة محاكمة للشيخ سلمان العودة في 28 تموز/يوليو الجاري بعد شهور من المماطلات والتأجيل، كما دعى إلى التغريد عبر وسم «#سننقذ_سلمان_العودة».

وأضاف: «ليعلم الجميع أن حملة (#سننقذ_سلمان_العودة) ليست للدفاع عنه، فهو ليس متهما. وليست لأجل تفنيد التهم الموجهة ضده فهو أصلاً منها بريء، وحتى القاضي والنيابة العامة يعرفون ذلك حق المعرفة. هي حملة نهدف منها لإنقاذ العودة من براثن من يعرف الحقيقة. ثم يلوي عنقها. الحملة مستمرة».

غرد الدكتور عبد الله العودة، وهو ابن الداعية المعتقل، على «تويتر» بالإنكليزية: «لقد تلقيتُ العديد من الرسائل الجميلة من أشخاص في مختلف أنحاء العالم عبروا فيها عن دعمهم وتعاطفهم مع عائلتي ووالدي الذي لا يزال يرقد في الحبس الانفرادي ويواجه احتمالاً بإنزال عقوبة الاعدام بحقه بسبب أعماله الفكرية ونشاطه السلمي.. فشكراً لكم».

كما غرد الناشط عامر القضاة بالإنكليزية أيضاً: «سلمان العودة ليس ابن السعودية وحدها، هذا الرجل له الفضل على الكثير من الناس في العالم وله احترام في قلوبهم. رجل متوازن وواقعي ولم يرتكب أية جريمة، إنها حرية التعبير، فقط بسبب التعبير عن رأيه معتقل».

كما كتبت هديل قطامين على «تويتر» تقول: «الشيخ سلمان العودة مفكر إسلامي ذو عقل متفتح، وهو مصدر إلهام للعديد من أجيال الشباب الذين تعلموا منه أن يفعلوا الأشياء الجيدة لأنفسهم ولمجتمعاتهم.. نحن نريد أن يعود الينا».

ونشر الباحث مهنا الحبيل صورة للشيخ سلمان العودة وكتب تعليقا يقول: «لو أعلن مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي، عن عقد اجتماعات مكثفة لإختيار شخصية الشرق الملهمة للفكر الإنساني في مسيرة اليوم لكان هذا الإمام في طليعتهم».

وتداول النشطاء على «فيسبوك» و«تويتر» مقطع فيديو لطفلة فلسطينية تقف في ساحات المسجد الأقصى المبارك في القدس المحتلة وهي تقول: «الشيخ سلمان العودة لا تحزن، فك الله أسرك، غدا تطير العصافير».

كما تداولوا مقطع فيديو للدكتور عبد الله العودة يقول فيه إن الحملة التي أطلقها النشطاء والمدافعون عن حقوق الإنسان في السعودية تهدف إلى الدفاع عن معتقلي الرأي والمعتقلين بشكل تعسفي في السعودية والذين يواجهون الإعدام أو العقوبات القاسية بسبب نشاطهم العلمي والثقافي والسياسي، وسوف تستمر هذه الحملة حتى تحقق أغراضها الأساسية».

وأضاف: «قبل الحملة وأثناءها نلاحظ التعاطف الكبير ونسأل الله أن يبارك الجهود ويحقق المراد، وأشكر كل الداعمين والمؤيدين والمتعاطفين والذين يريدون نصرة القضية بالكلمة واللسان والقلب والفعل الحر أيضاً».

وتساءلت إحدى الناشطات: «ما هي التهم الموجهة إليه؟ عالم دين حافظ للقرآن وللسنة واستطاع ان يوجه منصات التواصل إلى فضاء علمي مكن الشباب من تبادل المعلومات واستطاع تحويلها من مضيعة للوقت إلى وسيلة للتوعية ونشر التعاليم حقا هذه التهم ثقيلة.. سننقذ سلمان العودة لأنه شيخنا وعلمنا الكثير لن ننساك». وقال ناشط آخر: «شيخنا الفاضل لم نخصص لك الوقت الذي خصصته لنا، لم ندعي لك كما دعوت لنا ولم نجتهد في إصلاح أنفسنا كما نصحتنا، لم نشكرك على خدماتك المقدمة لهذا الدين بدون مقابل، أسكتنا الخوف ولم ننصرك! لكن الله لا يرضى الظلم وسينصرك نصر عزيز مقتدر».

وكتب آخر: «هل فقدت بلاد نجد رجال راشدين ينقذون البلاد من طغيان وفساد الصبي الأمير الذي يسير بآل سعود نحو الهلكة. سننقذ سلمان العودة لأنه رجل من معدن نادر يسعى لرقي بلاده وأمته. لا تقتلوا أسود بلادكم حتى لا تستبيحكم ضباع الأعداء. قالها الرئيس الشهيد وتركها صدى يتردد في الحاضر المستقبل».

وكانت السلطات السعودية اعتقلت الثلاثة ضمن حملة على العلماء والدعاة وقادة الرأي في أيلول/سبتمبر 2017 وشرعت في محاكمتهم في جلسات سرية، حيث طالبت النيابة العامة بـ«قتل الدعاة الثلاثة تعزيرا على خلفية تهم تتعلق بالإرهاب».

وفي وقت لاحق، وقع نحو 80 عالما وداعية مسلما من دول غربية على عريضة تطالب السلطات السعودية بعدم إعدام العودة والقرني والعمري، فيما قالت مجلة «إيكونوميست» إن الموقعين على العريضة ينتمون لتيارات إسلامية متنوعة، مشيرة إلى أن الـ80 عالما معظمهم من الناطقين باللغة الإنكليزية، ووقعوا على العريضة الموجهة للسلطات السعودية بمبادرة من الداعية الباكستاني الأصل فراز رباني الذي تعلم في الأردن وسوريا قبل أن يهاجر إلى كندا.

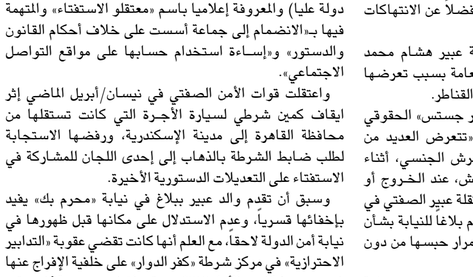

في جريدة «تشرين» السورية: المجرمون فلنقطع رقابهم

كامل صقر

استيقظ القراء في سوريا على عنوان صحافي في جريدة «تشرين» السورية الحكومية يقول: «الطراطسة سرقوا مليون كيلو واط كهرباء في ستة أشهر» والمقصود في ذلك أن عدداً من سكان مدينة طرطوس السورية الساحلية قاموا بسحب الكهرباء بطريقة سرقة غير شرعية للتهرب من دفع تكاليفها لمؤسسة الكهرباء. هذا العنوان أثار موجة استياء كبيرة لدى السوريين عموماً ولدى أبناء مدينة طرطوس على وجه التحديد، واعتبروا في العنوان إساءة لمحافظة بأكملها، ولاحقاً غيّرت الصحيفة من العنوان على موقعها الإلكتروني ثم اعتذرت من القراء وصدرت عقوبات من وزير الإعلام السوري عماد سارة بحق المسؤولين في الصحيفة.

الصحافي الذي صاغ عنوان التقرير حول سرقة الكهرباء في طرطوس اعتقد أنه كان يصنع عنواناً جاذباً برّاقاً للقرّاء لكنه صنع عنواناً مسيئاً لجمهور عريض.

من الناحية المهنية الإعلامية، العنوان خاطئ تماماً لأن الإعلام في المواضيع القيميّة الخطيرة كالسرقة والغش والشرف والجنس والدين لا يجوز له استخدام العنوان الشامل.

أي أننا لا يجوز أن نضع العنوان التالي مثلاً: «الحماصنة يضعون العلف بدل القشطة في حلاوة الجبن» للدلالة على أن بعض المحال في حمص تفعل هذا الأمر، ولا يجوز أن نقول في العنوان: «الحلبيون يستخدمون لحم الحمير في طبخاتهم» للدلالة على أن بعض العائلات تأكل لحم الحمير. (وهذه أمثلة افتراضية)

في المقلب الآخر، ليس هناك من مبرر في محاكمة هذا العنوان بما هو أبعد من الخطأ الإعلامي وقوع الكاتب في فخ الصياغة الصحافية. وعليه من واجب الصحيفة أن تعتذر لجمهورها وهو ما حصل، ومن واجب وزير الإعلام اتخاذ الإجراء العقابي وفق المعايير الإعلامية وهو ما تم فعلاً حسب معلوماتي بحق رئيس التحرير ومدير التحرير وكل مَن كان له مسؤولية عن هذا العنوان.

في كل الأحوال هذا الخطأ وارد في الإعلام وسبق أن وقعت في مثله صحف عالمية كبرى، الأهم من ذلك أن الأخطاء تحصل في كل المهن والمجالات، في الطب والهندسة والتعليم والقضاء لكننا نشاهدها في الإعلام بشكلها الواضح.

صحافية مصرية معتقلة تتعرض للتحرش داخل سجنها

لندن–«القدس العربي»:

أطلق حقوقيون وصحافيون في مصر نداء استغاثة من أجل إنقاذ سيدة صحافية معتقلة في السجون المصرية قالوا إنها تعرضت للتحرش الجنسي داخل سجنها، فضلاً عن الانتهاكات الأخرى لحقوقها.

وقال حقوقيون ونشطاء إن الصحافية عبير هشام محمد الصفتي تقدمت ببلاغ رسمي إلى النيابة العامة بسبب تعرضها للتحرش الجنسي داخل محبسها في سجن القناطر.

وقال المدير التنفيذي لمنظمة «كوميتي فور جستس» الحقوقي أحمد مفرح في تدوينة على «فيسبوك»: «تتعرض العديد من المعتقلات في سجون النظام المصري للتحرش الجنسي، أثناء قيام قوات الأمن بما يسمى بعملية التفتيش، عند الخروج أو الدخول إلى السجون، وهو ما حدث مع المعتقلة عبير الصفتي في سجن القناطر». وأضاف: «قدمت عبير اليوم بلاغا للنيابة بشأن عملية التحرش بها، وكان قرار الأخيرة استمرار حبسها من دون التحقيق في واقعه التحرش».

وحسب «التنسيقية المصرية للحقوق والحريات» وهي منظمة مجتمع مدني مصرية، فإن الصفتي قالت لمحاميها إنها «تعرضت لاعتداء جنسي داخل محبسها أثناء تفتيشها، بعد الترحيل من قسم الشرطة إلى سجن القناطر».

وقررت نيابة أمن الدولة «طوارئ» تجديد حبس الصفتي لمدة 15 يوماً، على ذمة القضية رقم 674 لسنة 2019 (حصر أمن دولة عليا) والمعروفة إعلامياً باسم «معتقلو الاستغناء» والمتهمة فيها بـ«الانضمام إلى جماعة أسست على خلاف أحكام القانون والدستور» و«إساءة استخدام حسابها على مواقع التواصل الاجتماعي».

واعتقلت قوات الأمن الصفتي في نيسان/أبريل الماضي إثر إيقاف كمين شرطي لسيارة الأجرة التي كانت تستقلها من محافظة القاهرة إلى مدينة الإسكندرية، ورفضها الاستجابة لطلب ضابط الشرطة بالذهاب إلى إحدى اللجان للمشاركة في الاستفتاء على التعديلات الدستورية الأخيرة.

وسبق أن تقدم والد عبير ببلاغ في نيابة «محرم بك» يفيد بإخفائها قسرياً، وعدم الاستدلال على مكانها قبل ظهورها في نيابة أمن الدولة لاحقاً، مع العلم أنها كانت تقضي عقوبة «التدابير الاحترازية» في مركز شرطة «كفر الدوار» على خلفية الإفراج عنها في ديسمبر/كانون الأول 2018 بعد قضائها نحو سبعة أشهر قيد الاعتقال.

الشيخ حمزة يوسف يتعرض لانتقادات لقبوله عضوية لجنة في إدارة ترامب

لندن–«القدس العربي»:

ناصر الأمين

تعرض الشيخ حمزة يوسف، العالم الإسلامي الأمريكي البارز، لانتقادات لقبوله مركزاً في لجنة مكونة من 10 أعضاء اختارهم وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، لدراسة دور حقوق الإنسان في السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

وكشف بومبيو الاثنين الماضي، عن «لجنة الحقوق غير القابلة للتصرف» قائلا إنها مؤلفة من خبراء في مجال حقوق الإنسان من «خلفيات ومعتقدات متنوعة» وقد كُلفت بمراجعة «دور حقوق الإنسان في السياسة العامة الأمريكية».

وأثار منتقدو اللجنة مخاوفهم حيالها بعد أن تم تعيين أستاذة القانون بجامعة هارفارد، ماري آن غلاندون، سفيرة الولايات المتحدة السابقة لدى الفاتيكان، التي قادت الجهود ضد تكريس الإجهاض كحق من حقوق الإنسان الدولية في مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام 1995 في بكين.

وقال الدكتور أسامة العزمي، محاضر في الدراسات الإسلامية في جامعة برينستون في الولايات المتحدة، حسب موقع «ميدل ايست آي» إن قرار يوسف بالعمل مع إدارة ترامب كان «تطورًا مقلقًا في الإسلام الغربي». وأضاف: «أن يقوم أحد أكثر علماء الغرب شهرةً وتقديراً على مستوى عالمي، بالعمل مع أكثر الإدارات فسادا، وأكثرها عداوةً للإسلام في التاريخ الأمريكي، لا بد أن يرى الكثير من المسلمين ذلك على أنها زلة لا تغتفر، ولن يسهل نسيانها».

واعتبر أن «هذا أسوأ بكثير من نصحه لإدارة بوش في أعقاب الأحداث المأساوية التي وقعت في 9/11. إذ حينها كان سيصوت معظم المسلمين للجمهوريين.» وختم أنه «في السنوات التي تلت 9/11 تحول الحزب الجمهوري تدريجياً إلى حزب معاد للإسلام بامتياز، وبلغت ذروته في رئاسة دونالد ترامب الذي فاز على أساس الطعن في الإسلام والمطالب غير الدستورية بحظر سفر المسلمين».

وكتبت المحاضرة في جامعة دورتموث الأمريكية، زهراء الأيوبي، في حسابها على موقع «تويتر» أنه «يمكن الآن للمدافعين عن حمزة يوسف الاستمتاع بأخباره عن ارتياحه للعمل مع إدارة ترامب. لقد قلت دائمًا إنه منافق في كل موضوع تقريبًا. أخيرًا، يمكننا أن ندينه من دون الحاجة إلى تبرير ذلك لأنصاره الذين يخرجون دائمًا للدفاع عنه».

واعتبر ناشط فلسطيني أمريكي، رجا عبد الحق، في تغريدة أن «حمزة يوسف غير مبال تجاه مشاكلنا حيال علاقته بالحكومة الإماراتية، إلى درجة أنه يبني علاقة أخرى مع إدارة ترامب. حتى أسوأ الإمبرياليين يبتعدون عن ترامب، لأغراض العلاقات العامة بالطبع، لكن هذا الرجل شيء آخر». ويذكر أن يوسف هو عضو مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي.

واعتبرت مغردة أخرى أن «حمزة يوسف معاد للسود، والآن حصل على الميداليات الذهبية لإثبات ذلك!».

وقالت الدكتورة ولاء قصي، محاضرة في جامعة برمنغهام، إنها لم تتفاجأ بقراره الانضمام إلى اللجنة. وأضافت أنها تعتقد أن ولاء يوسف الوثيق للشيخ عبد الله بن بيعاة، ودوره كنائب لرئيس منتدى تعزيز السلام في المجتمعات الإسلامية، وهي هيئة دينية تمولها الإمارات العربية المتحدة، لعبت دوراً في نوع المواقف التي اتخذها على مر السنين.

لجنة أمريكية تغرم «فيسبوك» 5 مليارات دولار لـ«تسريب بيانات»

وافقت لجنة التجارة الاتحادية الأمريكية، على تغريم شركة «فيسبوك» 5 مليارات دولار، لتسوية قضية تتهم فيها الشركة العملاقة بتسريب بيانات مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي الذي تديره.

جاء ذلك حسب ما نقلت وكالة أنباء «بلومبرغ» عن مسؤولين مطلعين، السبت، دون الكشف عن هوياتهم.

وذكرت الوكالة أن التسوية جاءت بموافقة ثلاثة أصوات مقابل رفض اثنين، مشيرة أن الاتفاق لا يزال في حاجة إلى موافقة وزارة العدل.

وترتبط التسوية بقضية تسريب بيانات «كامبريدج أناليتيكا» وهي شركة استشارات سياسية (مقرها لندن) ارتبطت بالرئيس الأمريكي دونالد ترامب، خلال الانتخابات الرئاسية الأخيرة.

وتواجه الشركة اتهامات بالحصول على بيانات 87 مليون مستخدم لـ«فيسبوك» بطريقة غير قانونية وبدون علمهم، بغية وضع برمجية لتحليل الميول السياسية للناخبين.

وفي مايو/أيار 2018 خضع مؤسس «فيسبوك» مارك زوكربيرغ، لجلسة طويلة مع أعضاء البرلمان الأوروبي في بروكسل، حول مسألة عدم حماية بيانات المستخدمين.

وقال زوكربيرغ، خلال الجلسة «لم نستطع القيام بمسؤولياتنا على نطاق واسع كما ينبغي.. هذا كان خطأنا، وأقدم اعتذاري عن ذلك».

وفي أبريل/ نيسان 2018، أعلن زوكربيرغ، تحمله المسؤولية الكاملة عن استغلال شركة «كامبريدج أناليتيكا» بيانات ملايين من مستخدمي الشبكة الاجتماعية في حملة ترامب الانتخابية.

وقال في تصريح أنذاك أمام لجنتي القضاء والتجارة في مجلس الشيوخ الأمريكي: «لم تُلقِ نظرة واسعة كافية تجاه مسؤوليتنا، وكان هذا خطأ جسيما. لقد كان خطأي، أنا آسف، بدأت فيسبوك وأديره، وأنا مسؤول عما يحدث هنا». (الأناضول)

علوم وتكنولوجيا

أحدث صيحات التكنولوجيا الطبية:
صورة «سيلفي» تكشف حالتك الصحية والنفسية

لندن ـ «القدس العربي»:

أنتجت شركة كندية أحدث صيحة في عالم التكنولوجيا المستخدمة في المجال الطبي والتي تشهد تطوراً هائلاً وغير مسبوق، حيث تمكنت هذه الشركة من إنتاج تطبيق هاتفي ذكي يستطيع من خلال صورة «سيلفي» أن يحدد الوضع الصحي للشخص.

وتحمل الشركة اسم «نورالوجكس» أما التطبيق فاسمه «أنورا» ويحتوي على تقنية فائقة الحداثة والتطور والدقة وتستطيع تحديد الحالة الصحية للشخص خلال 30 ثانية فقط من التقاطه صورة «السيلفي» بواسطة هاتفه المحمول.

وقامت الشركة التابعة لمنظمة العفو الدولية بإدخال تقنية الخيال العلمي إلى التطبيق الذي يمكن تحميله مجانا على معظم الهواتف الذكية، حسب ما أورد تقرير لشبكة «يورونيوز» الإخبارية.

ويقول كانج لي، رئيس البحث العلمي في الشركة، إن التطبيق يدمج تقنية علمية جديدة، تستخدم كاميرا فيديو تقليدية، لاستخراج معدلات تدفق الدم على الوجه، بدون الحاجة إلى الاتصال.

ويوضح لي، أنه من خلال تدفق الدم، يمكننا الحصول على الكثير من المعلومات الصحية المهمة، كمعدل ضربات القلب والتنفس وضغط الدم إضافة إلى الحالة النفسية والعاطفية.

ويعمل التطبيق مع كل أنواع كاميرات الهواتف المحمولة التقليدية وباستخدام إضاءة عادية، بحيث ينعكس الضوء وأطوال موجاته في طبقات الجلد المختلفة للكشف عن تفاصيل تدفق الدم في وجه الإنسان. ولا تزال الشركة تعمل على تطوير هذه التقنية بهدف مساعدة الأطباء واستخدامها داخل المستشفيات. علما بأن دقة قياسات ضربات القلب تصل إلى 99.98 في المئة و90 في المئة للتنفس. وتأكد الشركة في موقعها أن تطبيق «أنورا» بشكله الحالي يعزز العافية وإذا كانت لديك أسئلة متعلقة بالصحة، فيزجى الاتصال بطبيبك الخاص.

وبدأت التطبيقات الهاتفية المتخصصة في المجال الطبي بالانتشار مؤخراً على مستوى العالم، خاصة بعد أن أضافت شركة «آبل» إلى هواتفها وأنظمة تشغيلها بعض الإضافات الطبية التي لاقت رواجاً كبيراً، فيما انشغل مبرمجون وأطباء في إنتاج العديد من التطبيقات التي تراقب الحالة الصحية للشخص أو تقدم له بعض الخدمات الطبية.

إلى ذلك تمكن مختصون من إنتاج تطبيق هاتفي من شأنه القضاء على الصداع النصفي، وهو المرض الذي لم تنجح الأدوية في القضاء عليه حتى الآن.

وأشارت دراسة منشورة في مجلة «نيتشر ديجيتال ميديسين» الطبية إلى أن التطبيق الذكي على الهواتف من الممكن أن يساعد على التقليل من الإصابة بالصداع النصفي.

ويحمل التطبيق اسم «RELAXaHEAD» فيما يؤكد منتجو هذا التصميم أنه إذا تم استخدامه مرتين أسبوعيا، ستقل عدد مرات الإصابة بالصداع النصفي، بمتوسط 4 أيام في الشهر فقط.

ولأن التطبيق يعتمد في المقام الأول على تقنية الاسترخاء التدريجي للعضلات، وهي طريقة أثبتت فعاليتها في الوقاية من الصداع النصفي، فقد قام معدو الدراسة بإحضار مرضى من عيادة الأمراض العصبية، من أجل اختبار التطبيق عليهم، وجعلهم يستخدمونه بانتظام، للتأكد مما إذا قلت أيام إصابتهم بالصداع النصفي.

وأثناء الدراسة، طلب معدوها من 51 مريضا في الثلاثينيات والأربعين من العمر، يعانون من الصداع النصفي شهريا بمعدل 13 يوما أو أكثر، من أن يستخدموا التطبيق لمدة 20 دقيقة يوميا في خلال 90 يوما.

وبعدها استخدم المرضى المشاركون التطبيق لمدة 22 يوما شهريا في المتوسط، لمدة 11 دقيقة يوميا، اكتشف العلماء أن المرضى الذين استخدموا التطبيق مرتين في الأسبوع، قل لديهم عدد مرات الإصابة بالصداع النفسي إلى أربعة أيام في الشهر التالي، بينما أولئك الذين استخدموه مرة واحدة فقط في الأسبوع أصيبوا بيومين فقط من الصداع، وهو ما يشير إلى أن كثرة استخدام التطبيق يقلل من عدد مرات الإصابة بالصداع.

ويؤثر الصداع النصفي على واحد من كل 6 أشخاص بالغين في الولايات المتحدة، بينما النساء هن الأكثر عرضة للخطر.

فيروسات جديدة قادرة على اختراق «واتس آب» وتطبيقات المحادثة المشفرة

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلنت شركة «كاسبيرسكي» المتخصصة في أمن المعلومات عن اكتشاف نسخ جديدة من برمجيات خبيثة تستهدف بيانات وتطبيقات الهواتف بما فيها التطبيقات المشفرة مثل «واتس آب» و«تلغرام».

وقالت الشركة الروسية المتخصصة في بحوث الأمن المعلوماتي والإنترنت إن البرمجية الخبيثة تحمل اسم «FinSpy» مشيرين إلى أنها ليست جديدة لكن ما تم اكتشافه هو نسخ جديدة من هذه البرمجية.

ونقلت وكالة «نوفوستي» الروسية عن الخبراء في «كاسبيرسكي» قولهم إن النسخ الجديدة التي تم اكتشافها أصبح بإمكانها جمع بيانات تطبيقات المراسلة الفائقة التشفير في الهواتف الذكية مثل «واتس آب» و«تلغرام» و«سيغنال» وتطبيقات أخرى تستخدم للمحادثة.

وأوضحوا أن نسخ «FinSpy» التي تستهدف أجهزة «آيفون» باتت قادرة على إخفاء آثار «كسر الحماية» في تلك الأجهزة، والوصول إلى الميزات التي لا يمكن للمستخدم الوصول إليها أو التحكم بها في جهازه.

أما النسخ التي تستهدف أجهزة «أندرويد» فلا تخترق بيانات تلك الأجهزة فحسب، بل لديها القدرة على التحكم بالهاتف، تماما كما يتم التحكم ببرمجياته عند استخدام برامج الـ «root» التي تمنح المستخدم القدرة على التحكم أو حذف وتعديل البرمجيات الأساسية التي تكون مع نسخة نظامه الأصلية.

وغالبا ما تستخدم برمجيات «FinSpy» للتجسس على الهواتف الذكية والكمبيوترات اللوحية، ومن خلالها يمكن للمخترق الوصول إلى العديد من بيانات جهاز الضحية كمحتويات الرسائل القصيرة والصور، والبيانات التي تتعلق ببرامج تحديد المواقع عبر «GPS» وبيانات تطبيقات المراسلة الفورية.

وأوضح الخبراء أن برامج التجسس المذكورة يمكن زرعها في الهواتف بشكل مباشر عبر أجهزة الكمبيوتر، ولتفعيلها يجب على المخترق الوصول إلى شاشة الهاتف، لذا ينصح بعدم ترك الهواتف والأجهزة اللوحية في متناول الجميع بدون قفل الشاشة برمز حماية أو عن طريق ماسح البصمات، كما يفضل عدم استعمال شبكات الإنترنت المتوفرة في الأماكن العامة كونها تساهم في نقل مثل هذا النوع من البرمجيات.

جهاز خارق يوفر الماء النقي والكهرباء لتحويل الصحراء إلى جنة

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء متخصصون من إنتاج جهاز خارق هو الأول من نوعه في العالم، حيث يقوم بواسطة الطاقة الشمسية النظيفة وحدها بتنقية المياه وتوليد الكهرباء معاً، وهو ما يمكن أن يحدث طفرة حقيقية في مجال تطوير وتنمية الأماكن النائية على مستوى العالم.

والجهاز الجديد الذي أفردت له جريدة «دايلي ميل» البريطانية تقريراً مطولاً هو عبارة عن لوحة شمسية تقوم بتوليد الطاقة، ومن ثم يتم استخدام هذه الطاقة في عملية تنقية مياه البحر وجعلها صالحة للشرب، إضافة إلى توفير الكهرباء للمستخدمين.

ويقول مخترعو هذا الجهاز إنهم يأملون في أن يساعد هذا الابتكار على ازدهار الأماكن الصحراوية والنائية وتوفير مياه الشرب النظيفة لملايين البشر.

وحسب «دايلي ميل» فإن هذه الفكرة تمت دراستها في الماضي مراراً، حيث بحث العلماء فكرة الجمع بين العمليتين في جهاز واحد إلا أن النماذج الأولية السابقة كانت غير فعالة إلى درجة أنها غير قابلة للتطبيق تجاريا.

ونجح العلماء هذه المرة في تطوير نظام يقوم بإعادة استخدام الحرارة الناتجة عن تبخر الماء بعد كل مرحلة تقطير، وأوضحوا أن الجهاز يحتوي على لوحة شمسية في الجزء العلوي تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كالمعتاد. وتنتج هذه الألواح الشمسية الحرارة كمنتج ثانوي، والتي يمكن استخدامها لتسخين المياه القذرة ما يؤدي إلى تبخرها، ثم تمر عبر طبقة غشاء مسامية تنظف بخار الماء قبل أن يتكثف ويجري ضخه بعيدا.

وهذه العملية تنتج الحرارة بدورها، التي تنتقل إلى الطبقة الأدنى حيث يجري تقطير المزيد من المياه القذرة. وتستمر العملية بعد ذلك عبر عدة طبقات، قبل أن تُجمع المياه النظيفة في حاوية.

وقال الباحثون إن الجهاز سيعمل على مياه البحر والمياه المالحة، والمياه السطحية الملوثة والمياه الجوفية.

وعادة تحتل الألواح الشمسية ومرافق تقطير المياه مساحات شاسعة من الأرض، لذا يمكن للجهاز حل مشكلتين في آن واحد وتوفير مساحة إضافية.

يشار إلى أن استخدامات الطاقة الشمسية شهدت تطوراً بالغاً في السنوات الأخيرة وانتشاراً كبيراً امتد إلى مختلف المجالات، خاصة مع تراجع تكلفة الألواح الشمسية وانتشار هذه التكنولوجيا على مستوى واسع.

وهناك العديد من المميزات والإيجابيات التي تميز الطاقة الشمسية والكهرباء الناتجة عنها، ومن أهمها أن كلفة إنتاج وتوليد الطاقة منخفضة، إضافة إلى ضمان التخلص من ارتفاع أسعار الكهرباء لأصحاب البيوت، كما أنها مصدر طاقة متجدد ودائم حيث قدرت وكالة ناسا بأن الشمس ستستمر بالإشعاع لمدة 6.5 مليار سنة. وتعتبر الطاقة الشمسية صديقة للبيئة فهي غير مسببة للتلوث، كما أن الإشعاع متاح جغرافياً بشكل واسع، وتقوم أيضا بتقليل تكلفة الكهرباء المستهلكة حيث يمكن لمالكي البيوت بيع الفائض عن حاجتهم بعد إنتاج الطاقة.

القرصنة الالكترونية تكلف العالم خسائر بعشرات المليارات

لندن ـ «القدس العربي»:

تبين أن مشكلة القرصنة الالكترونية التي تؤرق العالم تفاقمت مؤخراً وتسببت في خسائر ضخمة للاقتصاد العالمي، كما أن العام الماضي سجل رقماً قياسياً في أعداد الهجمات الالكترونية التي استهدفت مستخدمي الإنترنت في العالم.

وكشفت دراسة أمريكية أن قراصنة الإنترنت نفذوا حوالي مليوني هجوم في 2018 في العالم، أسفرت عن خسائر تزيد قيمتها عن 45 مليار دولار.

ووفق هيئة الثقة الإلكترونية التي جمعت هذه المعلومات من كافة أنحاء العالم، قد تكون الفديات جراء القرصنة كلفت 8 مليارات دولار.

وخلال هذه الهجمات يتم الحصول على البيانات الشخصية لمستخدم عبر برامج معلوماتية تسرق المعلومات قبل المطالبة بفدية لإعادتها.

كما نجمت خسائر كبيرة من عمليات الاحتيال من خلال خرق البريد الإلكتروني لأفراد أو مؤسسات لتوجيه رسائل تحتوي على فيروسات، حيث بلغت هذه الخسائر نحو 1.3 مليار دولار.

وذكر التقرير أيضا وجود 6515 ثغرة معلوماتية كشفت بيانات خمسة مليارات شخص وهو رقم أقل من 2017.

وحسب جيف ويلبور المدير التقني لهيئة الثقة الإلكترونية، فإن الارقام الواردة في التقرير هي أدنى من الواقع لأنه لا يتم نشر العديد من الهجمات المعلوماتية.

ونشرت هذه الدراسة التي تضم بيانات شركات للسلامة المعلوماتية كسيمنتك وترند مايكرو أو وكالات حكومية كمكتب التحقيقات الفدرالي "أف بي آي" في اليوم الذي نشرت وزارة الداخلية الفرنسية تقريرا كشف زيادة عدد عمليات القرصنة المعلوماتية لقاء الحصول على أموال كفدية.

الطائرة الشمسية الأكثر تطوراً في العالم روسية

لندن ـ «القدس العربي»:

بدأت روسيا في اختبارات جديدة لطائرات «البأتروس» الشمسية الملقبة بالمختبر الطائر، والتي صممت للطيران في رحلات طويلة عبر العالم.

وقال تقرير لشبكة «روسيا اليوم» إن الرحالة والبروفيسور الروسي الشهير، فيودور كونيوخوف، انطلق صباح الخامس من تموز/يوليو الجاري في رحلة على متن هذه الطائرة الخارقة والعاملة بالطاقة الشمسية برفقة رئيس الاتحاد الرياضي الروسي للطائرات الشراعية سيرغي ريابتشينسكي. واستمرت الرحلة ليوم واحد حيث أقلعت الطائرة من مطار «سيفيركا» في ضواحي موسكو، لتمر بمطار «أوسمان» في فورونيغ، وبعدها بمطار «أولغينسكايا» في روستوف لتصل أخيرا إلى مطار «تاباسكو» في يقباتوريا الروسية في شبه جزيرة القرم.

وطوّرت الطائرة المذكورة ضمن مشروع «ألباتروس» الروسي الذي يهدف لتطوير طائرات صديقة للبيئة تعمل بالطاقة الشمسية، قادرة على التحليق لمدة 7 أيام دون توقف أو إعادة الشحن.

ويبلغ طول جناحي هذه الطائرات 25 متراً، أما وزنها فيبلغ 900 كلغ فقط، وزودت بألواح خاصة لاستقبال ضوء الشمس من اتجاهات عديدة أثناء تحليقها، لتحول هذا الضوء إلى طاقة كهربائية تشغل بها محركاتها وتخزنها في بطاريات خاصة.

ويمكن لهذه الطائرات حاليا التحليق لمسافة 3700 كلم في رحلة واحدة، والطيران بسرعة تصل إلى 200 كلم/ساعة، كما يمكنها تبادل البيانات والإحداثيات مع الأرض بفضل أنظمة «Iridium».

ويساهم فيودور كونيوخوف حاليا في اختبار هذا النوع من الطائرات كونه يملك خبرة طويلة في السفر والتجوال عبر العالم، وقام سابقا بالتحليق حول الأرض بمنطاد، وعبر المحيط الهادئ على متن قارب صغير، وينوي مستقبلا التحليق حول العالم على متن طائرات «ألباتروس» في رحلة قد تستغرق 20 يوما.

وتعتبر هذه الطائرة هي الأحدث في العالم، كما أنها تشكل تطوراً خارقاً في مجال الطائرات العاملة على الطاقة الشمسية، وذلك على الرغم من أنها ليست الأولى من نوعها لكنها ذات المواصفات الأفضل. ويبحث العالم عن مصادر للطاقة البديلة منذ سنوات بعد أن ارتفعت أسعار النفط والوقود التقليدي بصورة كبيرة، حيث بدأت شركات السيارات بإنتاج مركبات هجينة تعمل بالكهرباء والوقود العادي في آن واحد لتقليل استهلاك المحروقات، ثم تطورت هذه التكنولوجيا لتنتج العديد من شركات السيارات في العالم مركبات تعمل بالطاقة الكهربائية بشكل كامل، أما في عالم الطيران فان الطموح يبدو أكبر من ذلك حيث يجري العمل على ابتكار طائرات تعمل بالطاقة الشمسية، خاصة وأن الطائرة تتعرض إلى الشمس بصورة أكبر خلال التحليق فوق الغيوم، ما يجعل استخدام الطاقة الشمسية في الجو أمر ذو كفاءة أعلى.

وأقلع طيار سويسري من ولاية أريزونا في العام 2016 على متن طائرة تعمل بالطاقة الشمسية بشكل كامل وذلك في إطار رحلة جوية له حول العالم هي الأولى من نوعها في تاريخ البشر.

وأقلع الطيار السويسري المغامر بيرتنارد بيكارد من فونيكس في ولاية أريزونا الأمريكية باتجاه أوكلاهوما دون أي توقف ودون استخدام أي شيء من الوقود التقليدي حيث يحلق بالطاقة الشمسية فقط.

وتعتبر الطاقة الشمسية واحدة من مصادر الطاقة المتجددة والبديلة التي يسود الاعتقاد بانها يمكن أن تحل مستقبلا بدل الطاقة التقليدية التي تسبب تلوثاً في العالم.

والطاقة المتجددة هي تلك المستمدة من الموارد الطبيعية والتي تتجدد ولا تنفد، وتختلف جوهرياً عن الوقود الأحفوري من بترول وفحم والغاز الطبيعي، حيث لا تنشأ عن الطاقة المتجددة أي مخلفات كثاني أكسيد الكربون «CO_2» أو غازات ضارة أو تعمل على زيادة الاحتباس الحراري كما يحدث عند احتراق الوقود الأحفوري أو المخلفات الذرية الضارة الناتجة عن المفاعلات النووية.

وتنتج الطّاقة المتجددة من الرياح والمياه والشمس، كما يمكن إنتاجها من حركة الأمواج والمد والجزر أو من طاقة حرارية أرضية وكذلك من المحاصيل الزراعية والأشجار المنتجة للزيوت.

الأردن بين «الفطام» و«وصفة هارفارد»:
الاقتصاد يغادر الأزمة لكن المديونية تجاوزت 29 مليار دينار

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

ساعات قليلة جداً فصلت بين إعلان الوزيرة جمانة غنيمات في الأردن بأن بلادها تخرج تدريجياً من الأزمة الاقتصادية، وبين الإفصاح المالي الأخير لوزارة المالية، الذي يقول إن المديونية تجاوزت 29 مليار دينار، بمعنى أنها تقترب من حاجز الـ45 مليار دولار، وهو ما لم يحصل إطلاقاً في الماضي.

طبعاً، الوزيرة النشطة التي تنطق باسم الحكومة لم تشرح بصور مفصلة عن ماذا تتحدث.

في المقابل، لم يفصح وزير المالية عز الدين كناكرية، عن الحيثيات التي دفعت المديونية في النصف الأول من العام الحالي إلى سقفها الجديد، وبعد نصف عام على الأقل من سياسة التصعيد الضريبي، التي قالت الحكومة إنها ستؤدي إلى تقليص العجز المالي وخفض الدين الخارجية.

وهنا لا يتحدث أي من الوزيرين عن الدين الداخلية، ولا عن ركود القطاع التجاري بنسبة يقدرها الخبراء بـ40 في المئة على الأقل، ولا يتحدثان أيضاً عن تراجع تم رصده مؤخراً في الصادرات إلى العراق، رغم توقيع نحو 15 ألف اتفاقية مع العراقيين، ولا عن استمرار ارتفاع فاتورة النفط والطاقة.

وتسترسل حكومة الرئيس الدكتور عمر الرزاز في رفع المعنويات بخصوص المسألة الاقتصادية وإدراج الوزيرة غنيمات جزءا من هذه الاستراتيجية.

وعندما يتعلق الأمر باستفسار «القدس العربي» المباشر من أحد أركان الطاقم الاقتصادي عن مؤشرات الخروج من الأزمة، يؤشر إلى مسألتين: الصادرات نمت مؤخرا إلى نسبة 6 في المئة، ونسبة الإشغال في قطاع الفنادق والسياحة كادت تصل إلى 100 في المئة، والدخل السياحي زاد بوضوح.

والغرق في لعبة أرقام الاقتصاد الأردني مهمة محفوفة بالمخاطر، كما يقدر يوسف القرنة، الرئيس الأسبق للجنة المالية في البرلمان، وهو يعيد التذكير بضرورة التوقف في الحسابات الرقمية عن عقلية المحاسب، والانتقال إلى مستوى ذهنية التخطيط المالي والاقتصادي.

وثمة من يقول وسط وزراء الطاقم الاقتصادي الأردني إن الدراسة التي تحولت إلى خطة عمل حكومية، أجراها فريق جامعة هارفرد وتحمس لها وزير التخطيط والتعاون الدولي الحالي، الدكتور محمد العسعس، هي الأساس المعتمد للبرهنة على مؤشرات مغادرة الأزمة الاقتصادية التي تتحدث عنها الوزيرة غنيمات.

لكن الرئيس الدكتور الرزاز سبق أن رفع قبل الجميع شعار الاستعداد الوطني لمرحلة الفطام؛ بمعنى الاستغناء عن المساعدات الخارجية والاعتماد على الذات، وهي صيغة لا يفهمها الشارع الأردني إلا على أساس المزيد من الضرائب وارتفاع الأسعار، وهما نطاقان يحاول الرزاز وطاقمه تمريرهما تحت شعار إحداث فارق في نوعية الخدمات التي تقدم للمواطن باسم القطاع العام.

في كل حال، لم يعد من المعروف طبيعة الرهانات التي تعتمد عليها حكومة الأردن في القول بمغادرة الأزمة الاقتصادية.

عند الإصغاء لأركان المطبخ الاقتصادي ثمة تفاؤل ارتفعت نسبته مؤخراً بناء على مؤشرات محددة لا تقف عند حدود ارتفاع سلم الصادرات والموسم السياحي الناجح، بل تشمل تعويض خسائر وقف الاستيراد المتبادل مع سوريا بالاسترسال في لعب دور الوسيط السياسي، مع شراكة اقتصادية بين جمهورية مصر ونخبة الحكم العراقي التي تتحدث عن رغبة العراق الجديد في العودة إلى المشرق.

وهنا ثمة رهانات حقيقية عند صانع القرار الأردني في تحقيق مكاسب جديدة عبر تقريب المسافة في التجارة والأعمال بين القاهرة وبغداد. وثمة رهانات موازية على الاستثمار في البديل القطري بعد عودة العلاقات بين البلدين إلى طبيعتها، والمؤشرات التي تصدر عن الدوحة بعنوان الاستعداد لإطلاق حزمة مؤثرة واستراتيجية من الاستثمار المتبادل.

وبين الرهانات بالتأكيد ما هو مرتبط ببرنامج وأجندة حكومة الرزاز بخصوص ملف الطاقة، بعد التوسع في مشاريع إنتاج الطاقة البديلة والحديث عن مؤشرات لاستخراج النفط والغاز من مناطق في جنوب المملكة أو شرقها.

وبالتأكيد يبدو أن اجتماعات اللجنة الوزارية العليا الأخيرة مع مصر كانت واعدة، وتخللتها سلسلة مشاورات واتفاقيات يحرص الطرفان الآن على التكتم عليها، وقد تقود إلى استراتيجية فعالة تساهم في أن يستفيد الأردن من التشبيك بين العراقيين والمصريين مستثمراً في موقعه الجغرافي أو الجيوسياسي.

في الأثناء، تبدو حكومة الرزاز ميالة لاتجاه «وطني أكثر» في إدارة المصالح الاقتصادية، فقد ألغت اتفاقية تقول إنها غير عادلة للتبادل التجاري مع تركيا، وتشددت في منع الاستيراد من سوريا رداً على منع سوريا الاستيراد من الأردن، وذهبت باتجاه ما تصفه بزيادة بعض المكاسب في إعادة التفاوض على اتفاقية التبادل التجاري مع الاتحاد الأوروبي.

ولم تنس إظهار قدر من التراخي عن محاولات المعارضة التنديد باتفاقية الغاز مع إسرائيل، أملاً على الأرجح في إعادة التفاوض عليها أيضاً. تلك كلها رهانات ضمن خطة منهجية ودقيقة كما يصفها رئيس الطاقم الاقتصادي الدكتور رجائي المعشر.

لكن ما يقوله عقل الحكومة إنها خطة تحتاج إلى وقت حتى تدرس انعكاساتها ومكاسبها.

وهو وقت قد لا يسعف الدولة الأردنية في الخيارات السياسية الإقليمية، وقد لا يقنع الشارع بسبب حمى الضرائب والأسعار، والأهم أنه وقت لا يمنع الركود التجاري في الأسواق ولا تجاوز المديونية لحاجز الـ29 مليار دينار حتى اللحظة على الأقل.

مسيرة في هونغ كونغ تستهدف التجار الصينيين

قام آلاف من سكان هونغ كونغ بمسيرة في بلدة حدودية السبت للاحتجاج ضد تجار صينيين من البر الرئيسي وتسليط الضوء على مشكلة يرون أن الحكومة تسيء معالجتها.

وبدأت المظاهرة في بلدة شونغ شوي، غير البعيدة عن مدينة شينتشن الصينية، بشكل سلمي لكن الأمر تطور إلى عراك وصياح. وأطلقت الشرطة رذاذ الفلفل على المحتجين.

وهذا هو الاحتجاج الأحدث في سلسلة مظاهرات تشهدها المستعمرة البريطانية السابقة منذ أكثر من شهر وأشارت أكبر أزمة سياسية منذ أن استعادت الصين السيطرة على المدينة في عام 1997.

وشارك ملايين في احتجاجات بالشوارع واقتحم مئات مبنى البرلمان في الأول من تموز/يوليو احتجاجا على مشروع قانون معلق حاليا يقضي بإرسال المشتبه بارتكابهم جرائم في هونغ كونغ إلى الصين للمثول للمحاكمة هناك.

ويرى المعترضون على مشروع القانون أنه يمثل تهديدا لسيادة القانون في هونغ كونغ. وأعلنت الرئيسة التنفيذية للمدينة كاري لام تعليق مشروع القانون الشهر الماضي تحت ضغط المعارضين له وقالت قبل أيام إنه «لم يعد له وجود» لكن المعارضين يصرون على إعلان سحبه رسميا.

وتركزت معظم الاحتجاجات داخل وحول المنطقة التجارية الرئيسية في هونغ كونغ، لكن المتظاهرين بدأوا في الآونة الأخيرة للتوجه إلى أماكن أخرى لتوسيع نطاق التأييد لهم من خلال إبراز قضايا أصغر وأكثر محلية.

وفي منطقة شونغ شوي حيث يشتري تجار يطلق عليهم «تجار السوق الموازية» كميات كبيرة من سلع السوق الحرة لنقلها لبر الصين الرئيسي وبيعها هناك، قال رايان لاي (50 عاما) «مدينتنا الحبيبة أصبحت فوضى... لا نريد إيقاف السفر والشراء، لكن من فضلكم افعلوا هذا بطريقة منظمة وقانونية».

وأضاف «قانون التسليم كان نقطة الانطلاق للتعبير عن شكاوانا. نريد عودة شونغ شوي».

وتجار البر الرئيسي مصدر غضب قائم منذ فترة طويلة بين سكان هونغ كونغ الذين يقولون إنهم تسببوا في ارتفاع التضخم وأسعار العقارات وأضعفوا هوية المدينة ويفلتون من الضرائب.

وجاب مئات من أفراد الشرطة الشوارع القريبة بينما أخذ المحتجون يرددون هتافات تطالب التجار بالعودة لديارهم. وكانت متاجر كثيرة مغلقة.

وقال جيمي شام ممثل جبهة حقوق الإنسان المدنية التي نظمت سلسلة الاحتجاجات الكبرى ضد مشروع قانون التسليم إن المشكلة الرئيسية هي افتقار هونغ كونغ للديمقراطية الكاملة.

وأضاف «الحكومة وكباري لام وبعض المشرعين في الدوائر الفعالة لم ينتخبهم الشعب، لذا هناك الكثير من الأحداث الآخذة في التصاعد بمناطق مختلفة تعكس العديد من القضايا الاجتماعية».

وقال «إذا لم يتم حل المشكلات السياسية فستظل تظهر قضايا اجتماعية لا تنتهي؟».

وعندما أعادت بريطانيا هونغ كونغ للصين في عام 1997 تعهد الزعماء الصينيون بأن تنال المدينة قدرا كبيرا من الاستقلالية لمدة 50 عاما. لكن كثيرين يقولون إن الصين شددت تدريجيا قبضتها على المدينة وهددت الحريات فيها من خلال سلسلة إجراءات مثل مشروع قانون التسليم.

ويعتزم المعارضون لمشروع القانون تنظيم مظاهرة أخرى يوم الأحد في بلدة شا تين في المنطقة التي يطلق عليها اسم الأراضي الجديدة والواقعة بين جزيرة هونغ كونغ والحدود مع الصين.

(رويترز)

الاقتصاد الإيراني يحتضر والحصار الأمريكي يشتد ويتنامى

فؤاد الصباغ

الأحداث التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط اليوم تمثل تحولا جذريا في العلاقات الدولية بحيث تشكل تلك التحالفات الإقليمية الجديدة بداية ملامح التغيير الاستراتيجي والدبلوماسي الجديد في تلك المنطقة خاصة منها بروز التكتلات الموالية للكتلة التابعة لدولة إيران الإسلامية وتكتلات أخرى منصهرة مباشرة في التحالف الأمريكي الدولي. فمجمل تلك المتغيرات الدولية والإقليمية أصبحت تشكل بدورها منعطفا جديدا بحيث أصبحت تتصاعد فيها لهجات الوعد والوعيد أو التصعيد والتهديد. أما بخصوص تلك الأحداث المتشعبة والمتوترة أصلا بين جماعة أنصار الله الحوثية المدعومة إيرانيا فهي تندرج ضمن ذلك الصراع الإقليمي مما زاد من وتيرة التوترات الدولية في تلك المنطقة التي أصبحت مؤخرا تعيش برمتها على صفيح ساخن. إذ أن تلك الأعمال الموجهة ضد المصالح الاقتصادية السعودية خاصة منها تفجير خط أنابيب النفط أو الهجمات المتتالية والمتكررة على السفن التجارية في المياه الإقليمية الإماراتية أو العمانية مثلت أيضا في مجملها تصعيدا متوصلا في ذلك الصراع الإقليمي المنفجر بطبعه أصلا. فتلك العمليات كانت بمثابة القطرة التي أدت إلى فيضان ذلك الكأس بحيث كانت أخطرها متمثلة بالأساس في إسقاط تلك الطائرة الأمريكية المسيّرة والتي تبلغ قيمتها 200 مليون دولار بواسطة صواريخ قوات الحرس الثوري الإيراني. بالتالي كانت تلك الأحداث الحربية في صميم ذاك التصعيد الذي من الممكن أن ينحرف عن مسار مجهودات التهدئة التي ترعاها مفوضية الاتحاد الأوروبي وبالنتيجة تنجرف نحو التدخلات العسكرية المباشرة إما ضد مليشيات إيران في المنطقة أو ضد قوات حرسها الثوري إجمالا. فتلك الحرب بدأت فعليا «اقتصاديا» عبر فرض حصار أمريكي على جميع المصالح المالية والتجارية الإيرانية بحيث أشتد الخناق على الاقتصاد الوطني الإيراني الذي أصبح يعاني اليوم الأمرين منها تدهور الأوضاع الداخلية وانغلاق كامل للعلاقات الدولية والإقليمية.

ضامن للاستقرار السياسي

يعتبر الاتفاق النووي الإيراني المبرم سنة 2015 بين مجموعة خمسة زائد واحد في جوهره أفضل ضامن للاستقرار السياسي والاقتصادي لجمهورية إيران الإسلامية. كان ذلك الاتفاق بمثابة وثيقة دبلوماسية تحفظ استمرارية العلاقات الدولية لإيران مع بقية دول العالم بحيث ساهمت في تعزيز مبادلاتها التجارية بمنطقة الشرق الأوسط واستمرارية علاقاتها المالية والتجارية. إلا أنه في المقابل كانت لقرارات ترامب خلال شهر آذار/مارس 2018 بالانسحاب من ذلك الاتفاق من جانب واحد انعكاسات سلبية مباشرة على الأوضاع الاقتصادية الإيرانية مما تسبب في عزلتها دوليا وانفصالها الكامل عن محيطها الإقليمي. كان ذلك الخروج بمثابة سكب الزيت على النار وصفعة مؤلمة لعلاقاتها الدولية أدت نتائجه إلى تأجيج العمليات العدائية ضدها بحيث فقدت الثقة العامة بينها وبين بقية دول المنطقة وأيضا مع الإدارة الأمريكية وبالنتيجة انهارت جميع مؤشرات استقرار اقتصادها الوطني. من المنظور الاقتصادي تعتبر الثقة من أهم العوامل التي تساعد على تحفيز الاقتصاد الكلي بحيث تضمن استقراره وازدهاره. فقد كانت لتلك الأحداث المأسوية في العلاقات الدولية تداعيات مباشرة خلقت من إيران العدو الرئيسي والوحيد لجميع دول مجلس التعاون الخليجي باستثناء دولة قطر التي اختارت نهجا سياسيا آخر متحالفا مع تركيا وروسيا وإيران. لقد زادت تلك الأحداث المعقدة أصلا من تعقيد الأمور خاصة منها العلاقات الاقتصادية التجارية والمالية مع الدول العربية والغربية. عموما أدى ذلك الخروج من ذلك الاتفاق النووي إلى انهيار العملة المحلية الإيرانية التي وصلت مؤخرا إلى الحضيض مقارنة مع سلة العملات الأجنبية. بالإضافة إلى ذلك ارتفع التضخم المالي بشكل ملحوظ مما أدى إلى زيادة أسعار المواد الغذائية وتدهور القدرة الشرائية. بالنتيجة انخفضت نسبة النمو الاقتصادي بشكل رهيب ما أدى إلى كبح عجلة التنمية الاقتصادية فانعكست بدورها سلبا على نسبة التشغيل بحيث زادت من نسبة التذمر الشعبي والسخط العام على الأوضاع الاجتماعية من بطالة وفقر وعجز على مجابهة غلاء المعيشة. الأدهى والأمر من كل ذلك هو تدهور المبادلات التجارية من صادرات وواردات مع بقية دول العالم مما زاد من نسبة العجز في الميزان التجاري وبالنتيجة في تعميق ذلك العجز الكلي في الميزانية العامة. إذ ساهمت عملية الخروج الأمريكي من ذلك الاتفاق النووي في فقدان الثقة الكاملة وبالنتيجة في شلل الاستثمارات والمعاملات المالية والمبادلات التجارية الدولية الإيرانية. فأصبحت تلك الأحداث بمثابة الكابوس الذي راح يؤرق الجهات الحكومية الإيرانية المعزولة دوليا وإقليميا إذ كانت تلك «الحرب الاقتصادية» تأثيرات تدميرية وكانت نتائجها أكبر وأعظم من الحروب العسكرية.

عزلة إيران

مما لا شك فيه تعتبر تلك العزلة التي تعيشها إيران حاليا بمثابة عقم يكبل جميع أجهزة الدولة مما تسبب لها في شلل اقتصادي حاد وفي تباطؤ المبادلات التجارية والمعاملات المالية. فالعلاقات الإيرانية في محيطها الإقليمي شهدت مؤخرا شللا ملحوظا خاصة منها مع بعض الدول العربية التي اختارت التكتل مع الحلف الأمريكي والإسرائيلي الساعي إلى شيطنة الأعمال الإيرانية وميليشياتها الحوثية في منطقة الشرق الأوسط. بالنتيجة خلق ذلك «البعبع» والعدو الوحيد في المنطقة بحيث أصبح البرنامج النووي الإيراني يشكل تهديدا مباشرا للأمن القومي لجميع دول منطقة الشرق الأوسط. أما بخصوص الأعمال التخريبية للميليشيات الإيرانية في المنطقة خاصة منها لجماعات الحوثي اليمنية التي تسببت في أضرار جسيمة للمصالح الاقتصادية السعودية والإماراتية لم تكن هي أيضا بعيدة عن تصاعد تلك الحرب الاقتصادية التي تديرها حاليا الولايات المتحدة الأمريكية ضد جميع المصالح التجارية والمالية الإيرانية. أما الحشود العسكرية المهولة للقوات الأمريكية في المنطقة فهي أيضا ساهمت في خنق ذلك الاقتصاد الإيراني الذي أضحى يحتضر تدريجيا. كما يعتبر التهديد الأمريكي الأخير بشن حرب إلكترونية شاملة ضد جميع أجهزة وبرمجيات الحاسوب للمؤسسات الخاصة والحكومية الإيرانية جزءا لا يتجزأ من تلك الحرب الاقتصادية التي ستتسبب في تخريب كلي للبنية التحتية للإقتصاد الرقمي الإيراني مما ستؤدي بالنتيجة إلى انهيار كلي لجميع المرافق الحيوية للدولة. عموما كان لنتائج الحصار الاقتصادي والعسكري الأمريكي ضد إيران نتائج سلبية ووخيمة تسببت خاصة في انهيار العملة المحلية الإيرانية وفي شلل تام للمبادلات التجارية والمعاملات المالية لتلك الدولة التي أصبحت ضحية لمؤامرة إقليمية ودولية. أما بخصوص ورشة المنامة في البحرين التي خصصت لها أموال ضخمة بلغت 50 مليار دولار من أجل إنعاش الاقتصاد الفلسطيني ولاقتصاديات بعض الدول المجاورة منها خاصة لبنان والأردن ومصر فهي أيضا تندرج في إطار إخراج الصراع العربي ـ الإسرائيلي من تلك الدائرة ليتحول بالنتيجة إلى صراع عربي ـ إيراني. فتلك الورشة الاقتصادية هي عبارة عن عملية ضرب عصفورين بحجر واحد منها التخلص من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي بصفة نهائية تحت صفقة «المال مقابل السلام» وتحويل ذلك الصراع نحو العدو الجديد المختلق في المنطقة وهو «بعبع الخطر النووي الإيراني المصطنع» و«ميليشياته المزروعة في المنطقة». عموما يمكن القول من خلال مجمل تلك الأحداث أن الاقتصاد الإيراني أضحى يحتضر بتدريجيا وفي طريقه للإنهيار الكلي وأن الحشود العسكرية المهولة للقوات الأمريكية في المنطقة فهي أيضا ساهمت في خنق ذلك الاقتصاد الإيراني الذي أضحى يحتضر تدريجيا. كما يعتبر التهديد الأمريكي الأخير بشن حرب إلكترونية شاملة ضد جميع أجهزة وبرمجيات الحاسوب للمؤسسات الخاصة والحكومية الإيرانية جزءا لا يتجزأ من تلك الحرب الاقتصادية التي ستتسبب في تخريب كلي للبنية التحتية للإقتصاد الرقمي الإيراني مما ستؤدي بالنتيجة إلى انهيار كلي لجميع المرافق الحيوية للدولة. عموما كان لنتائج الحصار الاقتصادي والعسكري الأمريكي ضد إيران نتائج سلبية ووخيمة تسببت خاصة في انهيار العملة المحلية الإيرانية وفي شلل تام للمبادلات التجارية والمعاملات المالية لتلك الدولة التي أصبحت ضحية لمؤامرة إقليمية ودولية. أما بخصوص ورشة المنامة في البحرين التي خصصت لها أموال ضخمة بلغت 50 مليار دولار من أجل إنعاش الاقتصاد الفلسطيني ولاقتصاديات بعض الدول المجاورة منها خاصة لبنان والأردن ومصر فهي أيضا تندرج في إطار إخراج الصراع العربي ـ الإسرائيلي من تلك الدائرة ليتحول بالنتيجة إلى صراع عربي ـ إيراني. فتلك الورشة الاقتصادية هي عبارة عن عملية ضرب عصفورين بحجر واحد منها التخلص من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي بصفة نهائية تحت صفقة «المال مقابل السلام» وتحويل ذلك الصراع نحو العدو الجديد المختلق في المنطقة وهو «بعبع الخطر النووي الإيراني المصطنع» و«ميليشياته المزروعة في المنطقة». عموما يمكن القول من خلال مجمل تلك الأحداث أن الاقتصاد الإيراني أضحى يحتضر وفي طريقه للإنهيار الكلي وأن الحشود العسكرية المهولة للقوات الأمريكية في المنطقة فهي أيضا ساهمت في خنق ذلك الاقتصاد الإيراني الذي أضحى يحتضر تدريجيا. كما يعتبر التهديد الأمريكي الأخير بشن حرب إلكترونية شاملة ضد جميع أجهزة وبرمجيات الحاسوب للمؤسسات الخاصة والحكومية الإيرانية جزءا لا يتجزأ من تلك الحرب الاقتصادية التي ستتسبب في تخريب كلي للبنية التحتية للإقتصاد الرقمي الإيراني مما ستؤدي بالنتيجة إلى انهيار كلي لجميع المرافق الحيوية للدولة. عموما كان لنتائج الحصار الاقتصادي والعسكري الأمريكي ضد إيران نتائج سلبية ووخيمة تسببت خاصة في انهيار العملة المحلية الإيرانية وفي شلل تام للمبادلات التجارية والمعاملات المالية لتلك الدولة التي أصبحت ضحية لمؤامرة إقليمية ودولية. أما بخصوص ورشة المنامة في البحرين التي خصصت لها أموال ضخمة بلغت 50 مليار دولار من أجل إنعاش الاقتصاد الفلسطيني ولاقتصاديات بعض الدول المجاورة منها خاصة لبنان والأردن ومصر فهي أيضا تندرج في إطار إخراج الصراع العربي ـ الإسرائيلي من تلك الدائرة ليتحول بالنتيجة إلى صراع عربي ـ إيراني. فتلك الورشة الاقتصادية هي عبارة عن عملية ضرب عصفورين بحجر واحد منها التخلص من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي بصفة نهائية تحت صفقة «المال مقابل السلام» وتحويل ذلك الصراع نحو العدو الجديد المختلق في المنطقة وهو «بعبع الخطر النووي الإيراني المصطنع» و«ميليشياته المزروعة في المنطقة». عموما يمكن القول من خلال مجمل تلك الأحداث أن الاقتصاد الإيراني أضحى يحتضر وفي طريقه للإنهيار الكلي وأن الحشود العسكرية المهولة للقوات الأمريكية في المنطقة فهي أيضا ساهمت في خنق ذلك الاقتصاد الإيراني الذي أضحى يحتضر تدريجيا. كما يعتبر التهديد الأمريكي الأخير بشن حرب إلكترونية شاملة ضد جميع أجهزة وبرمجيات الحاسوب للمؤسسات الخاصة والحكومية الإيرانية جزءا لا يتجزأ من تلك الحرب الاقتصادية التي ستتسبب في تخريب كلي للبنية التحتية للإقتصاد الرقمي الإيراني مما ستؤدي بالنتيجة إلى انهيار كلي لجميع المرافق الحيوية للدولة. عموما كان لنتائج الحصار الاقتصادي والعسكري الأمريكي ضد إيران نتائج سلبية ووخيمة تسببت خاصة في انهيار العملة المحلية الإيرانية وفي شلل تام للمبادلات التجارية والمعاملات المالية لتلك الدولة التي أصبحت ضحية لمؤامرة إقليمية ودولية. أما بخصوص ورشة المنامة في البحرين التي خصصت لها أموال ضخمة بلغت 50 مليار دولار من أجل إنعاش الاقتصاد الفلسطيني ولاقتصاديات بعض الدول المجاورة منها خاصة لبنان والأردن ومصر فهي أيضا تندرج في إطار إخراج الصراع العربي ـ الإسرائيلي من تلك الدائرة ليتحول بالنتيجة إلى صراع عربي ـ إيراني. فتلك الورشة الاقتصادية هي عبارة عن عملية ضرب عصفورين بحجر واحد منها التخلص من القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي بصفة نهائية تحت صفقة «المال مقابل السلام» وتحويل ذلك الصراع نحو العدو الجديد المختلق في المنطقة وهو «بعبع الخطر النووي الإيراني المصطنع» و«ميليشياته المزروعة في المنطقة». عموما يمكن القول من خلال مجمل تلك الأحداث أن الاقتصاد الإيراني أضحى يحتضر وفي طريقه للإنهيار الكلي وأن الحشود العسكرية المهولة للقوات الأمريكية في المنطقة فهي أيضا ساهمت في خنق ذلك

مدن وآثار

ثِلاء اليمنية: مدينة تاريخية إسلامية حصينة

صنعاء-«القدس العربي»: أحمد الأغبري

تستند مدينة ثِلاء اليمنية إلى حضن جبل يتوّج رأسه بقلعة حصينة تحمي المدينة التي تعد واحدة من أهم المُدن التاريخية في البلاد، ومثلت مزاراً لعشاق استطلاع حال المُدن التاريخية المعمارية فاتنة لاسيما مع تكوينها الجغرافي المحيط؛ فالجبل والقلعة والتحصينات المختلفة للمدينة تضفي عليها مسحة أسطورية تفتح شهيتك لاستطلاعها من الداخل.

مدينة ثِلاء «بكسر الثاء» تنتمي إدارياً لمحافظة عمران الواقعة في شمال غرب مدينة صنعاء، وتمر في وادٍ يدعى ضلاع همدان، الذي أصبح جزءاً من نطاق العاصمة صنعاء. تتجاوز السيارة هذا الوادي إلى سلسلة جبلية ممتدة تمر فيها بعدد من القرى تفضي بك تلك السلسلة الجبلية إلى أرض مفتوحة ومنبسطة حي مذبح في شمال غرب مدينة صنعاء، وتمر في وادٍ يدعى ضلاع همدان، الذي أصبح جزءاً من نطاق العاصمة صنعاء. تتجاوز السيارة هذا الوادي إلى سلسلة جبلية ممتدة تمر فيها بعدد من القرى خمسين كيلو متراً تقريباً، تقطعها السيارة عبر طريق ممهدة تبدأ من تحيط بها جبال من الجهات الأربع وتُدعى قاع البون، وهناك تتنفس السيارة هواء طرياً؛ فتمضي في التهام ما تبقى من مسافة الطريق المتد في خضم هذا القاع.

ما زالت السيارة تطوي الطريق صوب مدينة ثلاء، وقبل ان تتعانق عقارب الساعة تكون هذه المدينة قد

انتصبت هناك أمام عينيك من بعيد، لكن تلك المسافة لا تمنع من اشتعال الذهول في نفسك من روعة ما تشاهد عليه المدينة من بعيد؛ وهو ذهول يزداد اشتعالاً كلما اقتربت من هذه المدينة الساحرة، التي كانت حكومة اليمن قبل الحرب قد أعدت ملفا لها تضمن توثيق لأهم ملامح خصوصيتها التاريخية، وذلك لتقديم الملف إلى لجنة التراث العالمي في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو» لاعتمادها ضمن قائمة التراث العالمي.

مدينة حربية

كلما اقتربت السيارة أكثر اتضحت كثيراً ملامح المدينة التي تظهر رابضة على ربوة كأنها مربعة الشكل ويزيد من جمالها اتكاؤها على سفح جبل. منظر يسلب اللب لمدينة تستعجل وصولك لتروي لك فصولاً من تاريخها.

ووفق بعض المؤرخيّن فأنّ اسم المدينة أستمد من (ثلا بن لباخة بن أقيان بن حميّر الأصغر) فيما يرى آخرون أنّ اسمها اشتق من كلمة ثلِئ؛ أي وفير المال، حتى عُرفت بثِلاء، وهو الاسم الذي اشتهرت به حتى الوقت الراهن.

اشتهرت المدينة في عدد من عصور التاريخ اليمني كمدينة حربية حصينة حتى أوائل القرن العشرين، واختلفت المصادر في تحديد العمق التاريخي لها، إلا أن الثابت أنها عريقة، وتعد من أهم المُدن التاريخية اليمنيّة المنيعة ومن أهم المراكز الحربية الحصينة، وقد اشتهرت بهذا خلال العصر الإسلامي، كما ظلت الدولة في صنعاء توليها اهتماماً كبيراً بما في ذلك الدولة الزيدية، التي ظلت تمنح هذه المدينة اهتمامًا يجعلها تبقيها تحت سيطرتها؛ بسبب موقعها الاستراتيجي وحصانتها، وقد اتّخذها اليمنيّون وبخاصة خلال معركتهم ضدّ الدولة العثمانيّة في اليمن قاعدةً لانطلاق جيوشهم.

باتت السيارة قريبة جداً من المدينة، وقبل أن تدلف إلى فناءاتها تُدهشك واجهات تحصينات المدينة؛ فمبانيها يحيط بها سور حصين من الحجر قد يصل طوله إلى أكثر من ألفي متر تقريباً، وترتفع منه أبراج المراقبة وتتخلله عدة بوابات تنتشر في أجزاء متفرقة منه، ويصل عددها إلى تسع بوابات، تحف كلا منها منشآت دفاعية متمثلة في برجين عن اليمين وعن الشمال مما يجعلها صعبة الاقتحام.

إلى ذلك السور المنيع الذي يحف بمباني المدينة تجد على قمة الجبل الذي يسند المدينة من الخلف حصنا يشكل تحفة معمارية وموسوعة دفاعية متكاملة علاوة على أنه يقع في أعلى قمة في المنطقة ما عزز من أهمية المدينة ومكّنها، قديماً، من صد الغارات وجعل منها ساحة مواجهة ساخنة خلال فترات مختلفة من التاريخ، وخصوصًا إبان الاحتلال العثماني الذي عجز عن اقتحام المدينة وسقط من جنوده الكثير أمام سورها الحصين، الذي ما زال جزءاً كبيراً منه قائماً حتى اليوم، وما تزال بواباته محتفظة بأسمائها.

باب المشرق

الطريق الآتي من صنعاء إلى ثِلاء، يدخل إلى المدينة عبر أحد الأبواب في ذلك السور، ويدعى باب المشرق، الذي يفضي إلى فناء مرصوف بالأحجار، تطل عليه واجهات بعض الوحدات المعمارية للمدينة من الجهة الغربية والشمالية والجنوبية، وما يتخللها من شوارع وممرات وسلالم جميعها مرصوفة بالأحجار، ولها مسميات مكتوبة على لوحات معدنية مرورية.

وأنت تتنقل ببصرك يمنة ويسرة، في ذلك الفناء، متأملاً جمال المعمار ودقة التخطيط، تتملكك حالة ذهول، تظل تتصاعد، كلما أمعنت التأمل في التفاصيل المعمارية والمدنية؛ فثمة سحر يشع بريقه من كل زاوية وركن في المدينة، يجعلك تقف في حاله انبهار تشعر معها أنك في مدينة من عالم الأساطير.

وبينما أنت في تلك الحالة من الذهول؛ يباغتك أحد سكان المدينة بتحيته وترحابه بك عارضاً مرافقتك خلال رحلتك كامتداد لعلاقتهم البسيطة مع الزوار الذين كانوا يرتادون المدينة باستمرار قبل الحرب وخاصة السياح الأجانب الذين تعلم منهم بعض فتيان المدينة لغات جديدة لدرجة كان هناك من يتقن الحديث بأربع لغات اكتسبها بالممارسة من خلال الاحتكاك اليومي بالسياح واستطاعوا بواسطتها العمل كمرشدين سياحيين في فترة ما قبل الحرب؛ فبعضهم كان يتحدث الانكليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية؛ لكن مع توقف ممارستها خلال سني الحرب فقد خسروا مهارات الحديث بهذه اللغات التي اكتسبوها بالران بفعل احتكاكهم الدائم بالأفواج السياحية، التي كانت تزور المدينة باستمرار. وهنا يتحدث عبد الوهاب، وهو أحد سكان المدينة، بحزن عما آل إليه وضع المدن التاريخية اليمنية جراء الحرب من تضرر مباشر وإهمال وتراجع في الخدمات الأمر الذي أصبح واقعها مهددا على حد تعبيره.

تخطيط هندسي متقن

في ذلك الفناء الواقع على عتبة المدخل الشرقي للمدينة يتبين للزائر من النظرات الأولى أن المدينة تتسم بتخطيط هندسي متقن: شوارع وممرات تقسمها إلى أحياء وفق تخطيط لا تقل دقته عما هو لافت في تصميم الوحدات المعمارية وتشكيلتها الزخرفية.

عندما تقرر تجاوز ذلك الفناء والدخول في تفاصيل المدينة ستجد أمامك شوارع وممرات كثيرة تقودك إلى جميع أحياء المدينة، إلا أن ثمة ما يغريك لتبدأ رحلتك في المدينة عبر ذلك الممر، الذي يفتح فاه في الركن الشمالي الغربي لذلك الفناء، فتتجه صوب ذلك الممر لتمر عبر سلالم حجرية تصعد بك إلى السوق القديمة للمدينة، والتي تدهشك كثيرا في تنظيمها، ومعروضاتها.

تضم تلك السوق، التي تتوسط المدينة، مجموعة من الدكاكين الصغيرة المتراصة والمتقاربة في أحجامها وأشكالها، والتي يتجاوز عددها المئة دكان، تعرض كثير منها كل ما هو تقليدي، ويخص تراث هذه المدينة.

من تلك السوق قد تنتقل إلى أي حي من أحياء المدينة، التي تشغل مبانيها مساحة تقدر بحوالي عشرين هكتارا تقريباً، وتجدها مقسمة إلى عدد من الأحياء منها: رأس المدهان في الغرب، وقرية الحامد في الشمال الشرقي، وحي قرية الطلح في الجنوب، وحي اللؤلؤة في الجنوب الشرقي، والذي يحتمل أنه أقدم أحياء المدينة، وغير ذلك من الأحياء الموزعة توزيعا دقيقا، وترتبط بينها الشوارع والممرات بشكل إبداعي جميل.

ما أن تفرغ من قراءة الإبداع في التخطيط العام للمدينة، تستمر دهشتك مع جمال طرق ومواد البناء وسحر عناصر المعمار، سواء في منشآت ثلاء المعمارية الدينية أو المدنية أو الحربية؛ فالمنشآت المعمارية الدينية في ثلاء والتي يصل عددها إلى خمس وعشرين منشأة معمارية دينية، ما بين مساجد ومدارس ومصلى وأضرحة موزعة في أرجاء المدينة منها: مدرسة الأمام شرف الدين، ومسجد الأمام سعيد الكينعي وغيرها تشكل منظومتها المعمارية والزخرفية والهندسية روائع فنية لا تقل إبهاراً وجمالاً عن العمائر المدينة كالسوق، والحمامات العامة، والمنازل، والسور، والحصن والأبراج، والخندق، وكذلك المنشآت الحربية؛ فجميعها مزدانة بروائع الإبداع المعماري الحجري، ومطرزة بفنون الزخارف الجصية والخشبية في النوافذ والأبواب والقمريات والجدران؛ الأمر الذي جعلها محط دهشة وإعجاب الزوار إلى اليوم.

> قدّمت المدينة نموذجاً من نماذج المدينة اليمنية الإسلامية
>
> اتخذها اليمنيّون في معركتهم ضدّ العثمانيين قاعدةً لانطلاق جيوشهم
>
> احتلت بفعل موقعها وتحصيناتها وتكنيكها المدني أهمية بالغة بالنسبة لصنعاء

المكونات المعمارية

في كل ذلك قدّمت ثلاء نموذجاً من نماذج المدينة اليمنية الإسلامية، كما ترى الكثير من الدراسات، من حيث التخطيط العام، وطرق ومواد البناء؛ فمنشآت ثلاء المعمارية الدينية كالمساجد والقباب والعمائر المدينة كالسوق والمنازل والحمامات العامة والمنشآت الحربية والحصن والسور، هي العناصر التي توجد في المدينة العربية الإسلامية، لكنها في اليمن تختلف خصوصاً في المباني السكنية والحربية عن غيرها، من حيث التخطيط ومواد البناء والمكونات المعمارية لكل منشأة وأسسها وتقسيماتها من الداخل والخارج، وحتى في بعض العناصر الزخرفية المستخدمة في تزيين هذه المنشآت.

لا تتوقف الدهشة عند هذا الحد بل تستمر وأنت تقلب صفحات تاريخها لتجد عدداً كبيراً من الأعلام والعلماء والقادة احتضنتهم هذه المدينة، وشكلت من خلالهم منارة علمية ما تزال مآثرها ومشاعلها قائمة حتى اليوم من خلال تلك الأضرحة والمدارس.

إنها مدينة مختلفة في تفاصيل حكايتها التي تعكس طبيعة خاصة لمدينة إسلامية حصينة في اليمن شهدت فناءاتها معارك ويروي تاريخها فصولاً من تاريخ تثبيت السلطة في مراحل مختلفة من تاريخ اليمن.

رياضة

صفقة الريال الكبرى:
من هو «الغالاكتيكوس» المثالي لزيدان ومشروعه؟

لندن ـ «القدس العربي»
من عادل منصور:

على الرغم من قيام رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز، بنشاط تجاري جيد ومقبول جدا لدى المشجعين منذ فتح نافذة انتقالات اللاعبين الصيفية وحتى هذه اللحظة، إلا أن جُل التقارير الواردة من داخل «سانتياغو بيرنابيو»، تؤكد أن الملياردير الإسباني لن يكتفي بالخماسي الجديد، بل في طريقه لإبرام الصفقة السادسة الكبرى، ويُقال إنها ستكون الأغلى في تاريخ نادي القرن على مر العصور.

مجبر أخاك لا بطل

هكذا كان بيريز بعد الموسم الكارثي، الذي ختمه الميرينغي بإنهاء سباق الليغا في المركز الثالث للمرة الثانية على التوالي، وهو الأمر الذي لم يحدث منذ فترة طويلة، والأســوأ من ذلـك، مـا شـاهـده المتابع البسيط على أرض الواقع، بتحول مرعب كبار القارة العجوز، لفريق بائس ومهزوم نفسيا ومعنويا، في موسمه الأول بدون أفضل لاعب في تاريخ النادي كريستيانو رونالدو، وذلك لأسباب لا تُخفى على أحد، منها على سبيل المثال مقامرة الرئيس بعدم شراء 2 أو 3 نجوم من الطراز العالمي، لحل معضلة رحيل ماكينة الأهـداف البرتغالية، فقط اكتفى بضم أنصاف نجوم ولاعبين شباب، ظنا منه أن شعار النادي سيساعد كبار جيل «لا ديسيما» والشباب الجـدد، على الذهـاب بعيدا في الكأس الأوروبيـة المفضلة للملكي، مع منافسة الغريم التقليدي برشلونة على البطولتين المحليتين، لكن في النهاية جاءت الرياح بما لا تشتهيه سفن الرئيس، بانهيار الفريق في ظرف 6 أيام، كانت كفيلة بخروجه من كل البطولات في وقت مبكر من مـارس/آذار، نتيجة لحجر الأساس الهش، الذي وضع في بداية الموسم، بلاعبين معروف مسبقا أنهم وصلوا لمرحلة التخمة من البطولات، والبـعـض منهم مثـل لـوكـا مـودريـتـش ورافابيل فاران وآخرون، حاول الهروب من السفينة قبل الـغـرق، أو على الأقل للبحث عن تحديات جديدة، بعدما فعلوا وحققوا كل شيء في عالم كرة القدم، بل بدون مبالغة، فعلوا ما عجز على تحقيقه كل الأجيال التي تعاقبت على الريال منذ جيل الخمسينات الأسـطوري، الـذي فاز بأول 5 نسخ للأبطال، إلا أن «عار» التفريط في المطرقة البرتغالية، أجبر الرئيس وكل من يعاونه في غرفة «صناعة الـقـرار»، برفض كل العروض المقدمة لكبار النجوم، فكانت النتيجة الطبيعية، الكابوس المفزع الذي استفاق عليه النادي وجمهوره، ليلة فضيحة أياكس في إياب ثمن نهائي الكأس ذات الأذنـين، والتي جـاءت بعد ساعات من هزيمتين على يد أصدقاء البرغوث في كأس الملك والليغا.

كما تم التخطيط

لو نتذكر ما حدث بعد كارثة الخروج من الأبطال بالسقوط أمام أياكس برباعية «البيرنابيو»، لم تتأخر الإدارة في إعفاء الأرجنتيني سانتياغو سولاري من منصبه، وآنـذاك تضاربت الأنباء حول خليفته ما بين تقارير تتحدث عن إمكانية عودة جوزيه مورينيو، وأنباء أخرى ترجح خيار زيدان، إلـى أن تم الإعـلان الرسمي عن العودة العاطفية لزيزو في ولايته الثانية، ومعها لم تتوقف تسريبات «ماركا» و«آس» عن الاتفاق الذي تم بين الرئيس والمدرب، ليُغير الأخير موقفه فجأة ويوافق على العودة، بعدما قال بنفسه في مؤتمر تقديم استقالته بعد ساعات من الاحتفاظ بكأس الأبطال للمرة الثالثة، إنه سيبتعد عن عالم كرة القدم وضغطها لمدة عام، كما يقول «لإعادة شحن بطارية العمل»، ومن الواضح حتى هذه اللحظة، أن المنابر الإعلامية المقربة من النادي، كانت على صواب ومحقة في أكثر من 90% مما أشـارت إليه، والدليل على ذلك ليس قدوم أغلب الأسماء التي كانت مرشحة لدخول مشروع زيـدان الجديد، والحديث عن إيدين هازارد ولوكا يوفيتش بالتحديد، بل أيضا لما يحدث وقت كتابة هذه المادة، بالمذبحة الكبرى التي يقوم بها المدرب بالتعاون مع مجلس الإدارة، بطرد الفائضين عن الحاجة، على غرار ما حدث مع أبناء منجم «لا فابريكا»، بالتخلص من الواحد تلو الآخر، بداية بدي توماس، وماركوس بوريتي، وريغيليون، حتى زيدان الابن لوكا لم يسلم من الطوفان، هو الآخر حيث أرسل إلى راسينغ سانتاندير على سبيل الإعـارة لـمدة موسم، وسبقه خارج «البيرنابيو» ثيو هيرنانديز وماتيو كوفاسيتش، وأسماء أخرى في طريقها لمغادرة النادي بلا عـودة، إن لم تكن قد غـادرت بالفعل، وحـدوث ذلك على أرض الواقع، يعني أن الرواية المسربة إعلاميا منذ البداية، بالكشف عن أدق تفاصيل اجتماع بيريز وزيدان، الذي انتهى بتوقيع المدرب الفرنسي على عقد عودته في وقت قياسي، كانت صحيحة، ولا يتبقى منها سوى الفصل الأخير، أو بالأحرى الاسم السـادس المرشح ليكون قطعة «ثابتة» في مشروع إعـادة بناء الريال، بلاعبين قادرين على تحقيق آمال وتطلعات النادي وجماهيره، المنكوبة على مـا حـدث في الموسم الأخير.

ما بعد الرقم القياسي

آتدري عزيزي القارئ كم أنفق الرئيس الأسـطوري للريال في سـوق الانتقالات الصيفية حـتـى الآن؟ بحسب الـمـوقـع المتخصص في هـذه الأرقـام «ترانسفير ماركت»، بلغ حجم الإنفاق 303 ملايين يورو، محطما رقمه السابق الصامد عقدا من الـزمـن، في صيف 2009 عندما أتى بكريستيانو وكاكا وبقية ما تم تصنيفهم على أنهم «جيل الغالاكتيكوس الثاني»، كمـا يُـقـال عـن هـــازارد ورفـــاف «جيل الغالاكتيكوس الثالث»، وآنذاك أنفق 258 مليونا، ما يعني أن قصة تدعيم زيدان بنصف مليون يـورو لم تكن كذبة أبريل كما قيل وقت تداول هذه المعلومة. وحال ضرب بيريز ضربته وجلب لاعبا من فئة «الغالاكتيكوس» كنهاية شبه مثالية لعمله في الصيف، سيكون قد اقترب كثيرا من النصف مليار، لكن السؤال الذي يفرض نفسه ويـحـتـاج إجـابـة كما أشـرنـا في العنوان، من هو اللاعب الأنسب لزيدان ومشروعه الطموح في الفترة المقبلة؟ بالنظر إلى ما يتردد في مختلف وسائل الإعلام، فإن المفاضلة الآن بين بول بوغبا وكريستيان إريكسن ومفاجأة أياكس السارة فان دي بيك، بالنسبة لبطل العالم، فيعتبر المنافس الأول لنيمار في القسم الخاص بالشائعات وانتقالات اللاعبين، بعشرات التقارير والشائعات المتحدثة عن مستقبله، ما بين بقائه في معقل الشياطين الحمر لموسم آخر وما بين العودة لناديه السابق في جنة كرة القدم يوفنتوس أو تحقيق حلمه كما قال من قبل «بالعمل مع زيدان في فريق واحد»، أضف إلى ذلك، الـروايـات المحدثة على رأس الساعة عن شـروط المدير التنفيذي لليونايتد السيد إد ودوارد لإطلاق سراح بطل العالم، هذا في الوقت الذي لا يفوت فيه وكيل أعمال اللاعب مينو رايـولا، ربع فرصة، لوضع النادي الإنكليزي في حـرج شديد أمام الجماهير، كما نقول في مصر «بتلقيح كلام» على اليونايتد، ليعطي صورة وفكرة عامة للرأي العام، أن الإدارة تخنق على موكله وتُجبره بالإكراه على التواجد مع الفريق في بعثته في أستراليا لبدء فترة الاستعداد للموسم الجديد. الشاهد، أن بوغبا تحول لمادة دسمة لوسائل الإعلام الـريـاضـية، ورغـم مـا يـتـردد من داخل عملاق البريميرليغ عن استحالة خروجه هذا الصيف، لحاجة سولشاير لخدماته، ليكون قائد مشروع الشباب الجديد، إلا أن نسب بقائه لا تزيد على 50% تماما مثل نسب عودته إلى المدينة الحديدية أو ليكون الصفقة السادسة الكبرى لريال مدريد هذا الصيف.

مجرد فرض

دعونا نفترض مثلا أن التقارير التي تراهن على انتقاله للريال عاجلا أو آجلا صدقت، كما صدقت قبلها تقارير هازارد ولـوكـا يوفيتش والبقية، فهل سيكون الخـيـار الأنـسـب لـزيـدان عـلـى حساب الساحر الدنماركي واليافع الهولندي؟ شخصيا أميل إلى تصديق ما يتردد أن صاحب الطول الفارع الفرنسي هو الهدف الأهـم لزيزو في المرحلة المقبلة على أقل تقدير، أولا مشروعه بحاجة ماسة لدماء جديدة في وسط الميدان، لمنحه خيارات لعب جديدة، بدلا الإفراط في الاعتماد على الثلاثي توني كروس، وكاسيميرو ولوكا مودريتش، ثانيا وهو الأهم، المدرب يحتاج بوغبا بالذات لحاجة مهمة جدا في نفس «يعقوب»، وهو استخدام مواطنه لمد عمر أفضل لاعب في العالم أطول فترة ممكنة، على غرار ما فعل من قبل مع كريستيانو رونالدو، بتحويل مركزه من لاعب جناح أقـرب للمهاجم الثاني، إلى رأس حربة سفاح يخشاه الكبير قبل الصغير في أرجـاء العالم، مع إراحـتـه في مباريات

بوغبا (يسار) واريكسن من المرشحين للانتقال الى الريال

المدرب زيدان أقنع رئيسه بيريز بالانفاق

اللـيغا السهلة، ليبقى واقفا على قدميه في ليالي دوري الأبـطـال. أيضا يُخطط زيزو للاستفادة من خبرة وعبقرية لاعبه الكرواتي، بالاعتماد عليه في نفس مركزه (زيدان) في آخر أيامه كلاعب، عندما أحزن عالم كرة القدم على قرار اعتزاله، بعد تقديم أفضل مباريات في تاريخه أمام البرازيل وإيطاليا بالذات في مونديال ألمانيا، أي سيعتمد عليه في أدوار هجومية أكثر من الدفاعية، وهذا فقط في المواجهات المحلية المعقدة والبطولة الأوروبية المفضلة، وفي الأسماء الثلاثة المرشحة، لا يوجد أفضل من بوغبا يمكنه تنفيذ مخطط المـدرب، بالاعتماد عليه أسبوعيا في كل مباريات اللـيغا، مع توظيفه في مركز يعطي لوكا حرية أكثر في الثلث الأخير من الملعب، ولا ننسى أن صاحب الـ26 عاما، لاعب «جوكر» في نسخة الملعب، تجاربه السابقة مع مورينيو، بالاعتماد عليه في أكثر من 3 أو 4 مراكز في وسط الملعب، جعلته أكثر نضجا كلاعب، ويظهر ذلك بوضوح عندما راموس أكثر من مرة، بالاعتراف جهرا بأن السيطرة على غرفة خلع الملابس أحيانا تكون أهم من السيطرة على المنافسين على الملعب، هذا في حد ذاتـه، يعطي أفضلية للفرنسي على منافسيه في القائمة، بالمصطلح الكروي الدارج، هو أكثر شمولا من إريكسن ودي بيك، يمكنه اللعب كمحور ارتكاز وسط دفاعي بامتياز، أو لاعب ثالث على الرواق الأيمن أو الأيسر، أو في مكانه المفضل كلاعب حر أمـام لاعبي الوسط، كحلقة وصل بين المهاجمين الوسط، ليطلق إذا قضى الموسم كما يخطط وكيل أعماله، فستكون ضربة مزدوجة لإدارة اليونايتد التي ستجد نفسها بين مطرقة انخفاض قيمته السوقية وسندان موسمه الأخير، تمهيدا لحدوث الكابوس الأسوأ، خروجه من «أولد ترافورد» بدون مقابل بعمر 28 عاما، وقد كلف الخزينة حوالي 90 مليون إسترليني بخلاف «عمولة» رايولا، لذا قد تنتقل عدوى غاريث بيل إلى اليونايتد، ويأتي الوقت الـذي لا يجد فيه النادي طريقة للتخلص من لاعبـه، الـذي أظهر بالفعل كل أنواع التمرد سواء بلسانه أو موكله النشيط جدا هذه الأيام، لخوفه من تأييد عقوبته بالإيقاف 3 أشهر عن العمل.

كاريزما زيدان

إذا نحينا عيب المزاجية جانبا، على اعتبار أن وجود مدرب بعقلية و«كاريزما» زيدان، أحسن السيطرة على مجموعة من النجوم، التي يصعب ترويضها، وهذا الأمر أباح به راموس أكثر من مرة، بالاعتراف جهرا بأن السيطرة على غرفة خلع الملابس أحيانا تكون أهم من السيطرة على المنافسين على الملعب، هذا في حد ذاتـه، يعطي أفضلية للفرنسي على منافسيه في القائمة، من إريكسن ودي بيك، يمكنه اللعب كمحور ارتكاز وسط دفاعي بامتياز، أو لاعب ثالث على الرواق الأيمن أو الأيسر، أو في مكانه المفضل كلاعب حر أمـام لاعبي الوسط، كحلقة وصل بين المهاجمين الوسط، ليطلق العنان لنفسه بلمساته التي تجعله لاعبا من كوكب آخر، عندما يتم تحضيره بشكل جيد، والنقيض تماما عندما يتلقى معاملة كالتي وجدها مع «سبيشال وان»، بينما الدنماركي، يعتبر نسخة كربونية من لوكا مودريتش. صحيح الملعب يتحمل وجودهما معا، لكن هذا لن يحدث في المباريات التي سيخوضها الفريق خـارج أرضـه وتحت ضغط جماهير المنافسين الأقوياء، دعك من أن الثنائي من أصحاب القامات القصيرة، لكن في وجود مودريتش في المركز المعدل الجديد الذي ينتظره الموسم المقبل لد عمره في الملاعب، أين سيتم توظيف المحتمل قدومه من توتنهام في مباراة كبرشلونة في «كـامـب نـو» أو فالنسيا في معقل الخفافيش «الميستايا» وغيرها من مثل هذه المباريات؟ فهو ليس باللاعب الذي يجهد نفسه في عناء القتال على الكرة في وسط الملعب، فقط ينتظرها بعد أمتار قليلة من منتصف ملعب الخصم، ليدس سمه بين خطوط الخصم، إما بالحل الفردي، باتخاذ القرار الصحيح بالمراوغة في موقف لاعب ضد لاعب أو بالتمرير الدقيق لآخر مهاجم ليضعه وجها لوجه مع الحـارس، أقرب ما يكون لرقم (10) في البريميرليغ، كما كان يفعل لامبارد وستيفن جيرارد في مواسمهما الأخيرة، وكما لفتنا أعلاه، هذا المركز غير مدرج ضمن قائمة أهداف زيدان، باعتبار أن تعديل مركز مودريتش سيكون أشبه بالصفقة الجديدة في مركز رقم 10 الصريح، لذا نلاحظ انخفاض موجة التقارير والشائعات التي تربط مستقبله بالريال، لدرجة أن بعض التقارير زعمت أن الرئيس دانيال ليفي طلب من نظيره المدريدي إعادة النظر في شراء إريكسن، لخـوف ثعلب المفـاوضـات من سيناريو فقدان اللاعب بموجب قانون بوسمان في مثل هذه الأيام العام المقبل، مع ذلك، لم يستجب له بيريز، بحسب ما يتداول، والسبب لأمر بعيدا عن توظيفه، وهو تراجع مستواه في نهاية الموسم مع السبيرز.

مزايا غير مطلوبة

ووضع فان دي بيك لا يختلف كثيرا عن بوغبا ولاعب أياكس السابق، فهو واقعيا أقلهم خبرة، وكما يبدو واضحا، زيزو لا يخطط لمشروع قوامه الرئيسي لاعبون في بداية العشرينات أو أقل بقليل، فقط يريد نجوما أو مواهب على وشك الانفجار، كما يفعل بيب غواريديولا مع مانشستر سيتي، وبالنسبة لصاحب الـ22 عاما، فهو لاعب وسـط مهاجم من طـراز لا يختلف عليه اثنان، لاعب سريع ويملك حلولا بالجملة في الثلث الأخير من الملعب، وهـذا النوع متوفر في فينيسيوس، وقبله حلال العقد إيدين هـازارد، ورغـم اقتناعنا بموهبته كلاعب من طينة «عفاريت الـكـرة»، من الصعب فهم مـا سيفعله عندما يتسلم الكرة على خط منطقة الجزاء أو حين ينفرد بالحارس، قـادر على المغالطة بالتسديد بكلتا القدمين بنفس الدقة والكفاءة، ربما لو لم يأت هازارد، لكان مستقبله مع الريال في أمان، أما التعاقد معه، يعني جلوسه دوما على مقاعد البدلاء، في انتظار إصابة أو إيقاف أو إراحة زميل مع ضغط المباريات، وللأمانة هو نصف غالاكتيكوس، كونه لا يتمتع بنفس شعبية ولا شهرة بوغبا في المقام الأول ثم إريكسن، لكن بالنسبة لموهبته، فلا خلاف عليها كما أمتعنا وهو يحتفل بطريقته المختلفة، بيده الاحتفال بالهدف بمجرد أن يسدد في وضعية الانـفـراد مع حـراس المـرمى، وكأنه على يقين بأن قدمه لن تخذله. تبقى مشكلته الوحيدة أنه لا يتمتع بمواصفات النجم الكبير المنتظر الذي تتحدث عنه الصحف المدريدية، بجانب الحاجة الماسة للاعب قـادر على تنفيذ أفكار زيـدان، بالسيطرة المطلقة على وسط الملعب، من خلال لاعب قادر على الاحتفاظ والتحكم بالكرة أطول فترة ممكنة في وسـط الملعب، كما كنا نشاهد في ولايته الأولى، بتدوير الكرة من أقصى اليمين إلى اليسار أو العكس، ومن ثم ضرب المنافس بعرضية مقوسة على القائم البعيد لرونالدو، ليمارس هوايته المفضلة أمـام الشباك، فمن يا تـرى من الثلاثي يملك ما يبحث عنه زيدان؟ لإعادة عملية الدوران التي تعطلت تماما بعد تقدم موردريتش في السن، والانخفاض المفاجئ في مستوى كروس وكاسيميرو ومعهما الظهيران مارسيليو ودااني كاربخال، هذا ما سنعرفه قريبا. ومن يـدري، قد يكتفي الريـال بالخماسي الجديد أو يظهر في الأفق خيار رابع أو خامس آخر إذا حدثت أشياء طارئة في معسكر مونتريال.

«نسور قرطاج»: واقعية «إيطالية» وتأهل مستحق برعاية «الاولياء الصالحين»!

تونس ـ «القدس العربي» من روعة قاسم:

يهتم التونسيون كثيرا بمشاركة منتخبهم في كأس أمم إفريقيا في مصر، وهو المتأهل إلى الدور نصف النهائي للملاقاة السنغال اليوم بعدما بثلاثية نظيفة، وبمردود مقنع أعاد لأبناء الخضراء الثقة في منتخبهم.

وكان التأهل في الدور ثمن النهائي على حساب واحد من عمالقة القارة الإفريقية، منتخب غانا، الذي كانت له صولات في الماضي في هذه التظاهرة الإفريقية الكبرى، وفاز بالقلب مرات عدة، منها على حساب المنتخب التونسي في عقر دار الأخير سنة 1965 في نهائي مثير بالعاصمة التونسية. وبعد التندر بتأهل نسور قرطاج عن مجموعتهم بثلاثة تعادلات وثلاث نقاط لا غير، والقول أن «المنتخب التونسي لم ينتصر ولم ينهزم ولم يفرح ولم يحزن وتأهل بدون أن يفوز ولو في مباراة واحدة»، فتحت أحداث مباراة غانا الباب على مصراعيه لمزيد تندر التونسيين على هذا المنتخب «العجيب» الذي تأهل بدون أن يبذل مجهودا يذكر. ففي مباراة غانا بادر نسور قرطاج بالتسجيل وقبل أن تنتهي المباراة بثوان، وفي وقت كان فيه الجميع يعتقد أن ورقة التأهل حسمت للتونسيين، يقحم المدرب الفرنسي للمنتخب التونسي آلان جيراس المدافع رامي البدوي الذي سجل بمجرد دخوله ضد مرماه وعدل النتيجة للغانيين، ليتم المرور إلى الوقت الإضافي ومنه إلى ركلات الترجيح التي حسم فيها القرطاجيون التأهل لصالحهم.

ومن أطرف تعليقات التونسيين على مباراة المنتخبين التونسي والغاني ما جاء على لسان أحدهم ملخصا أطوار المباراة بالقول: «تونس تسجل... تونس تعدل لنفسها... تونس تتأهل... ترى أين المنافس؟». وتساءل أحدهم ساخرا: «ما حاجتنا للآخرين كل شيء نقوم به فرادى حتى التسجيل في أنفسنا نهاية عن الآخرين؟ المهم أن تتركنا فرنسا وشأننا». فيما اعتبر آخر بنبرة فيها مزيج من الحزن والأسى والسخرية بعد مباراة غانا أن «عباقرة التحليل الرياضي في تونس دائما يدعون، وبمنطق عنصري، أننا نتميز عن أشقائنا الأفارقة جنوب الصحراء بالنضج التكتيكي، وكأن أبناء قارتنا من ذوي البشرة الداكنة لا يملكون عقولا يفكرون بها في الميدان ويكتفون بالمقارعة الجسدية. لكن والحق يقال تبين في الدورتين الأخيرتين من كأس أمم إفريقيا أن التونسة هم الأكثر سذاجة، ويتذكر القاصي والداني الخروج العظيم لحارس المنتخب السابق أيمن البلبولي إلى حدود وسط الميدان ضد بوركينا فاسو ومشاهدته للمهاجم البوركيني يمر من أمامه بدون أن يحرك حارسنا ساكنا. أما السذاجة فعنوانها المدافع رامي البدوي والحارس معز حسن. وسلامي إلى المتفوقين تكتيكيا».

وواصل البعض تهكمهم من خلال نسبة انتصارات المنتخب إلى الأولياء الصالحين الذين يحفظ المولى لأجلهم تونس وأهلها، وقبل في هذا الإطار بعد نهاية مباراة غانا أنه ثبت أن الولي الصالح سيدي محرز بن خلف هو الراعي الرسمي للمنتخب. ودعا أحدهم أولياء تونس إلى الوقوف يدا واحدة مع نسور قرطاج بما أنهم سيواجهون مدغشقر بلد رئيس الإتحاد الإفريقي لكرة القدم أحمد أحمد المقرب من المغاربة بفعل المصاهرة والذي هو في خصومة مع الاتحاد التونسي ومع الترجي التونسي بفعل أحداث مباراة نهائي دوري أبطال إفريقيا بين الترجي والوداد البيضاوي المغربي.

في المقابل انتشى البعض بالفوز على غانا، بالقول أن «قرطاج تُبقي دائما على أسرارها ومن يدعي أنه سبر أغوارها يجد نفسه بعيدا جدا عن الواقع... نحن التونسيين نعرف قوة هذه البلاد ونعرف جيدا كيف نرهق حسادنا ومن يتمنون لنا الهزيمة لأننا باختصار توانسة ونحب بعضنا بعضا». واعتبر أحدهم بعد مباراة غانا أنه «قبيل انطلاق مونديال روسيا أطلقت الصحافة البريطانية والبلجيكية تسمية «إيطاليا إفريقيا» على المنتخب التونسي واستعد منتخب بلد شكسبير وقبل في هذا الإطار بعد نهاية مباراة غانا لتونس بالتباري مع إيطاليا وديا. نسور قرطاج أثبتوا في هذه الكأس الإفريقية أنهم يشبهون الإيطاليين من خلال عدم صنع الفرجة وغياب الإقناع لكنهم يحققون المطلوب و يتقدمون في الدورة بخطى ثابتة. لكن وبعيدا عن واقعية المنتخب التونسي وتأثر القرطاجيين بالمدرسة الإيطالية، فإن هدف المنتخب التونسي ضد غانا الذي سجله طه ياسين الخنيسي بعد توزيعة من الظهير الأيمن وجدي كشريدة يثبت أن المدرب الفرنسي آلان جيراس تنقصه الشجاعة والجرأة، وهو من كبل أرجل اللاعبين التونسيين في الدور الأول على غرار ما حصل مع المدرب الأسبق لنسور قرطاج البلجيكي جورج ليكنز والذي سحق الجزائر بعد توزيعة من ظهير وخططه الدفاعية المبالغ فيها. فهو على ما يبدو، أي جيراس، من كان يمنع الظهيرين من معاضدة الهجوم أمام منتخبات لعبت ضد تونس في الدور الأول بكثافة دفاعية لافتة تقتضي تحرك الظهيرين لخلق الحلول البديلة. وهو ما حصل في مباراة النصف النهائي ضد مدغشقر، حيث منح المدرب الفرنسي الحرية للظهيرين وجدي كشريدة وأسامة الحدادي للنزول إلى الهجوم خاصة وأن للمنتخب التونسي محور دفاع يمكن الإطمئنان به، إضافة إلى لاعبي وسط ميدان دفاعيين من أعلى طراز يتقدمهم لاعب مونبلييه الفرنسي إلياس السخيري.

تعليقات ساخرة ومطالب بتقديم الحساب والكُلفة المالية تلاحق هزيمة المنتخب المغربي!

الرباط ـ «القدس العربي» من الطاهر الطويل:

لم تهدأ بعد الزوبعة التي أثارها خروج المنتخب المغربي لكرة القدم منهزما من نهائيات كأس أمم إفريقيا التي تجري أطوارها بالعاصمة المصرية القاهرة، حيث تنوعت ردود الفعل ما بين استدعاء وزير الشباب والرياضة إلى البرلمان، والمطالبة باستقالة رئيس الاتحاد الكروي (الذي يُطلق عليه في المغرب الجامعة الملكية لكرة القدم)، والدعوة إلى إجراء فحص مالي لميزانية هذه الجامعة، واستبدال المدرب الأجنبي بآخر مغربي، وإعداد منتخب قومي انطلاقا من لاعبي البطولة المحلية. وفي كل هذه النقاشات، كانت السخرية حاضرة من خلال التعليقات الطريفة والرسوم الكاريكاتورية وغيرها.

حين طالب برلمانيون بدعوة رشيد الطالبي العلمي (وزير الشباب والرياضة) للحضور إلى البرلمان لتقديم توضيحات حول نتيجة مشاركة المغرب في البطولة الإفريقية، كان الرأي العام يتوقع أن يكتفي المسؤول المذكور بتقديم تبريرات، أكثر من كونها إجابات مقنعة، وهو ما حصل حين مَثُلَ الوزير، الاثنين الماضي، في جلسة عامة بالبرلمان المغربي، تابعها المشاهدون عبر النقل التلفزيوني المباشر. وخلف كلام المسؤول الحكومي مواقف ساخطة خاصة حين حاول التخفيف من حدة الانتقادات بالطرائف والمستملحات، من خلال لجوئه إلى الثقافة الشعبية وحديثه عن «التقواس» أي الإصابة بالعين المنحوسة. وكتب الصحافي المختص في الرياضة جمال اسطيفي تدوينة اعتبر فيها أن الوزير رشيد الطالبي العلمي قدم معطيات مغلوطة وروّج للدجل والخرافة في المؤسسة التشريعية للبلاد، حيث أرجع إقصاء المنتخب المغربي إلى الحرارة و«التقواس» ضد اللاعب حكيم زياش، وهذا في الواقع من قبيل «التخريف»، لأن الحرارة عامل مشترك بين كل المنتخبات المشاركة، سواء العربية أو تلك التي تنتمي إلى إفريقيا جنوب الصحراء، أما حكاية «التقواس» فإنها تختصر نظرة الوزير لقطاع الرياضة.

وشن نشطاء «فيسبوكيون» حملة ساخرة من كلام وزير الشبيبة والرياضة المغربي على إثر تصريح أدلى به في مجلس النواب، حول فشل المنتخب المغربي في اجتياز منتخب بنين، والإقصاء المبكر الذي لحقه جراء الهزيمة. وسخر البعض العلمي علق على تضييع زياش لركلة الجزاء، وعزا ذلك إلى غياب الحظ و«شي واحد قوّس علي» (أحد ما ضربه بالعين). وخلف هذا التعليق جدلا واسعا في مختلف صفحات «فيسبوك»، وجلب سخرية لاذعة على كلام الوزير، الذي اعتبره البعض لا يمكن أن يصدر من مسؤول سياسي، وقام بعض النشطاء ببث فيديوهات تمزج بين تصريح العلمي ومقاطع ساخرة للكوميدي عادل إمام أو ضحكات موغلة في السخرية.

تصريحات وتصريحات مضادة

لم تسلم تصريحات أخرى للوزير المغربي من النقد، حيث رد عليه الصحافي الرياضي جمال اسطيفي بما يلي: زعم الطالبي العلمي أن المنتخب الوطني حقق في هذه الدورة انتصارات على منتخبات لم يسبق له أن فاز عليها، سواء في الداخل أو في الخارج. في الواقع لقد سبق للمنتخب الوطني أن فاز على كوت ديفوار في الداخل أو الخارج، لقد هزم المنتخب الإيفواري في تصفيات كأس إفريقيا 1994 بالدار البيضاء بهدف لصفر، كما أنه قبل عامين نجح المنتخب وتحديدا في «كان» الغابون 2017 في الفوز على كوت ديفوار بهدف لصفر، ثم جدد فوزه عليه في تصفيات كأس العالم بأبيدجان بهدفين لصفر. أما منتخب ناميبيا فخسر عدة مرات أمام المنتخب وخصوصا في المغرب، علما أن مباراة رسمية واحدة جمعت بين المنتخبين بناميبيا وانتهت سلبا. أما جنوب إفريقيا فصحيح أن المغرب لم يسبق له الفوز عليه، إذ انهزم أمامه مرتين في «كان» 1998 و«كان» 2002، لكنه لم يسبق له أن واجه المغرب رسميا ببلادنا، ولذلك كيف سيفوز عليه المغرب في الداخل وهو لم يسبق له أن التقى به. لكن في المقابل فإن بنين التي لم يسبق في تاريخها أن فازت على المنتخب، تغلبت عليه، مثلما أن مصر التي لم يسبق أن فازت على المنتخب منذ 1986 تجاوزته في «كان» الغابون 2017. وتوالت التصريحات والتصريحات المضادة بين وزير الشباب والرياضة واللاعب زياش الذي أضاع ركلة جزاء حكمت على المنتخب المغربي بالخروج من النهائيات، حيث صرح الوزير الطالبي العلمي خلال الجلسة البرلمانية أن اللاعب المذكور تأثر بالانتقادات، وأنه لذلك لم يرد على 23 مكالمة هاتفية، في إشارة إلى أنه لن يلعب للمنتخب المغربي مجددا، وسارع زياش إلى الرد على كلام الوزير، داعيا إياه إلى عدم ترويج الأكاذيب، وأنه إذا أراد أن يأتي بشيء فإنه لا بد أن يأتي بأشياء حقيقية وليست كاذبة، ثم خرج مقربون من زياش ليؤكدوا أن اللاعب لا يضع قميص المنتخب الوطني محل مزايدة. ثم عاد زياش فتراجع عن التدوينة السابقة عقب اتصالات أجراها معه ساعون إلى الصلح، حيث شرحوا للاعب المذكور أن الوزير كان يحاول الدفاع عنه وعن بقية اللاعبين من خلال إثارة الانتباه إلى حالته النفسية الصعبة. ومن ثم، كتب زياش في تدوينته إن ما حصل مجرد سوء فهم من الجانبين، متمنيا حظا سعيدا للوزير في ما يقوم به من عمل من أجل الوطن.

أموال ضخمة ونتيجة هزيلة

على صعيد آخر، تنامت مطالب عدة بتغيير مدرب المنتخب المغربي، الفرنسي هيرفي رونار، وأجرت صحيفة «هسبريس» الإلكترونية استطلاعا للرأي في الموضوع، طرحت فيه السؤال: هل تؤيد بقاء رونار مدربا للمنتخب المغربي؟ فأجاب حوالي ستين مشاركا بـ«لا». وهي نتيجة أكدها تحليل صحفي أشار إلى أن ارتباط الاتحاد المغربي مع المدرب رونار يسير نحو نهايته بعد تواضع نتائج المنتخب في كأس أمم إفريقيا. ورغم امتداد ارتباط الجامعة بالمدرب الفرنسي بعقد سار إلى غاية 2021، إلا أن الكثير من المؤشرات قرّبت انفصال الطرفين بعد ثلاث سنوات ونصف السنة من الارتباط، حقق فيها رونار نتائج متباينة، ونجح في كسر عقد تاريخية تواصلت لعشرات السنين، على غرار التأهل إلى نهائيات كأس العالم بعد 20 سنة من الغياب، وهزم كوت ديفوار والكاميرون وجنوب إفريقيا. غير أن الاعتماد الكلي لرونار، طيلة الفترة الماضية، على لاعبين على مشارف نهاية المسار، وإصراره على عدم منح الفرصة للاعبين آخرين وخلق نواة جديدة يمكن التعويل عليها مستقبلا، أعاد المنتخب المغربي بعد بطولة مصر إلى نقطة الصفر.

تعليقات أخرى انصبت على انتقاد الأجر العالي الذي يتقاضاه مدرب «أسود الأطلس»، فكتب الإعلامي والبرلماني السابق عادل تشيكيطو: هل تعلم عزيزي المواطن أن رونار يتقاضى شهريا 120 مليون سنتيم (125484 دولارا أمريكيا)، دون احتساب المكافآت والإقامة وتذاكر الطائرة والامتيازات، ملاحظا أن أجر رونار يعد الأضخم والأول ضمن قائمة 24 مدربا شاركوا في نهائيات كأس إفريقيا. كما انتقد آخرون الميزانية الضخمة التي تخصص للجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، والتي تعد الأعلى من بين ميزانية الاتحادات الكروية الإفريقية التي شاركت في نهائيات كأس أمم إفريقيا، حيث تبلغ أكثر من 87 مليون دولار مقارنة مع الجزائر (27,6 مليون دولار وتونس 12,1 مليون دولار)، في حين لم تتعد ميزانية اتحاد كرة القدم في بنين التي هزم فريقها المنتخب المغربي 0.3 مليون دولار. ويطالب المنتقدون بالقيام بافتحاص وتدقيق في ميزانية الجامعة المغربية، معتبرين ميزانيتها الضخمة إهدارا للمال العام، كما يطالبون بإقالة رئيس الجامعة فوزي لقجع اقتداء بما جرى في مصر نتيجة خروج فريقها القومي من المسابقة الإفريقية. كما لا ينفكون يتبادلون التعبيرات الساخرة من المنتخب المغربي بسبب هزيمته أمام منتخب بنين، علاوة على الرسوم الكاريكاتورية التي يبدع فيها الرسامون أمثال الفنان أنغلوس والفنان الدرقاوي وغيرهما.

عندما يتحول السوبر ستار الى كابوس!

عندما أعلن باريس سان جيرمان عن عدم ممانعته رحيل نجمه البرازيلي نيمار، فان البعض قد يعتبر الامر جنونيا أن يرحب ناد طواعية بالتخلي عن أبرز نجوم العالم في وقت يبحث فيه عن التتويج بأعظم ألقاب القارة، فهو لا يعاني ماديا، ولا يبحث عن أرباح سريعة.

لكن الحال بات اليوم يختلف من حيث المنطق والبديهيات، لأن النادي الباريسي في الواقع لا يتخلى عن موهبة خارقة بقدر ما هو يتخلى عن مشكلة متأزمة تكبر بمرور الوقت، خصوصا ان تصرفات النجم البرازيلي خلال الشهور الماضية لم تعكس أي حرفية أو احتراما لناديه، خلال انتقاداته للاتحاد الأوروبي للعبة، بعد اقصاء دوري الابطال، ما قاده الى الحصول على عقوبة ايقاف، ولا بتصرفاته الصبيانية بلكمه مشجعا لفريق منافس، ونال أيضاً عقوبة ايقاف من الاتحاد الفرنسي، ولا حتى بتعامله مع بقية البشر، بعد اتهامه باغتصاب سيدة من بنات جلده، عدا عن تمرده برفضه الانصياع لتعليمات ناديه ولا حتى حضور تدريباته، بل صرح برغبته في الرحيل علانية، علاوة على اصاباته المتكررة في أوقات حاسمة من الموسمين الماضيين. فبات من المنطقي أن يعلن النادي رغبته في الحصول على ما دفعه من قيمة لبرشلونة لضمه قبل عامين، أي نحو 222 مليون يورو، ويا باب ما دخلك شر.

هذه الحالة لم تعد استثنائية عند الكثير من الأندية الأوروبية الكبيرة، والتي يعد وضعها ربما أسوأ من موقف سان جيرمان، فريال مدريد تأخر كثيراً في التخلص من نجمه الويلزي غاريث بيل، معتقداً أن الاندية الانكليزية ستتهافت عليه بمجرد الاعلان عن رغبته بالتخلي عنه، وهذا بالضبط الذي لم يحصل، حتى مع اعلان زين الدين زيدان مدرب الريال ان بيل غير مرغوب فيه، فان ذلك لم يهز كبرياء النجم الويلزي ولم يخدش حياءه، بل زاده اصرارا على البقاء والاستمتاع براتب النصف مليون يورو الاسبوعي التي يتقاضاه، والذي أساسا نفر المهتمين بضم لاعب شارف الثلاثين من العمر، ويمضي غالبية موسمه في حجرة العلاج وقلة منه في أرض الملعب، وحتى بعدما أدرك الريال هذا النفور الجماعي، قلل قيمة بدل انتقاله الى النصف (تحو 60 مليوناً)، بل بدأ يبحث عن سبل لاعارته للتخلص من عبء راتبه، أو حتى استخدامه في صفقات تبادلية، لكن بيل كان أول من صعد الطائرة المتجهة الى كندا في رحلة الفريق الاستعدادية للموسم الجديد.

مانشستر يونايتد يعاني من المشكلة ذاتها، وهي التخلص من عبء «الكارثي» اليكسيس سانشيز، والامر لا يتعلق بمستواه البائس منذ قدومه من أرسنال قبل عام ونصف عام، بل بالراتب الخيالي المقدر بـ500 ألف جنيه استرليني أسبوعياً، والذي قاد عددا من نجوم الفريق الى الامتعاض والرغبة اما بتحسين الراتب او الرحيل، وعلى رأسهم الفرنسي بول بوغبا والحارس الاسباني ديفيد دي خيا، ما اخل بتوازن الفريق، ولا يجد المدرب أولي غونار سولشاير حلاً مع صاحب الاصابات الكثيرة والعروض الضعيفة. والامر ذاته يتكرر مع أرسنال الذي تورط بتمديد عقد نجمه الالماني مسعود اوزيل براتب خيالي يبلغ 350 الفا اسبوعياً، ينتهي صيف 2021، وهو بنفس عقلية بيل، سعيد في شمال لندن ولا يريد الرحيل، فعندما عرضت خدماته على عمالقة الدوري التركي، حيث يحظى بشعبية هائلة هناك، كونه من أصولها وبسبب علاقته المتينة مع الرئيس رجب طيب أردوغان، الا ان هذه الاندية أعلنت صراحة انها لا تستطيع تحمل عبء راتبه، حتى أصبح سببا رئيسياً في عدم قدرة أرسنال على الانفاق على نجوم جدد، رغم ان السبب الرئيسي الآخر هو «بخل» رئيسه الأمريكي ستان كرونكي.

طبعاً هناك نجوم آخرون، كانوا في يوم ما نجوما خارقين، لكن لا تتردد أنديتهم في التخلص من أعبائهم، على غرار المهاجم الأرجنتيني غوانزالو هيغواين مع يوفنتوس، وصانع الألعاب البرازيلي كوتينيو مع برشلونة، لتصبح العقبة الحقيقية في عدم القدرة على التخلص منهم هي رواتبهم الخيالية وضعف قيمة بدل الانتقال المتوقعة، ليتحول السوبر ستار «المفترض» الى كابوس يصعب زحزحته.

@khaldounElcheik

مجتمع

مكتبة «بور سعيد» في الرَّقة
«داعش» حوّلها إلى أنقاض وأبرز روّادها العجيلي

عبد الكريم البليخ

أحمد الخابور، ارتبط اسمه بمدينة الرَّقة السورية، كما هو حال أديبها الراحل الدكتور عبد السلام العُجيلي، وشاعرها الآثاري مصطفى الحسّون. هو ذاك الرجل الذي أسّس لمكتبة الخابور «بور سعيد» وهجها ومكانتها في فكر وقلب ابن الرَّقة.

مكتبة الخابور، وعلى الرغم من تواضعها وبساطتها، ظلّت لها ذكريات مفرحة وعبق ماض متجدد، وتاريخ حافل ومكانة في قلوبَ أبناء الرّقة المعاصرين على مدى أكثر من ستين عاما ونيّف، إلى أن هجم «داعش» على المدينة وأفرغها من الكتب وقام بإحراقها جميعها بعد سيطرته على الرّقة ربيع عام 2013 وبقي الخابور يمارس عمله فيها بهدوئه ورزانته المعتادين.

وأوّل ذكرياتنا عنها كانت قبل أكثر من أربعين عاماً عندما كنا أطفالاً صغاراً، بعمر الورود. كانت تشدنا تلك المكتبة التي عرفناها منذ ذلك الوقت، وعمرها الفعلي قبل ذلك بكثير.

العودة إلى تلك الأيام الخوالي يعني أننا نقرأ فيها تاريخ مدينة، ومدى ارتباطها بهذه المكتبة، وصاحبها أحمد الخابور «أبو زهرة» وهو الاسم المتداول، والمعروف به كصاحب مكتبة لها اسمها وتاريخها ومكانتها لدى النخبة من مثقفي وعاشقي الحرف في «درّة الفرات» وعُرف بعد ذلك باسم أبو المهند، نسبة إلى ابنه البكر، الشاعر الشعبي مهند الخابور الذي ترك بصمة، وأخذ من أبيه صفات تجلت في صوغه الشعر بقالب وأسلوب جميل ولافت. إنَّ مكتبة الخابور كانت محور لقاء كان وما زال يضمّ أكثر المهتمين بالشأن الثقافي، وكان من أميز المثقفين الذين يترددون عليها، وطالما جلس داخلها، أو جاء من أجل شراء بعض الصحف والمجلات، الدكتور عبد السلام العجيلي، فهو ابن المحافظة الغني عن التعريف، كما سبقه إلى ذلك الآثاري الراحل مصطفى الحسّون، وتبعهما جيل آخر من المثقفين، من أبناء الرّقة، وكان لقاءَهما الوحيد في مكتبة الخابور، التي كانت تعقد فيها جلسات حوارية مطوّلة لها أوّل وليس لها آخر.

وأحمد الخابور، رغم تواضعه الجمّ، فهو إنسان مثقف وموهوب بسعة اطلاعه، وله علاقاته الاجتماعية مع الكثير من أبناء الرّقة، من أطباء، ومهندسين، وكتّاب، وصحافيين، وفنانين تشكيليين، ورجال مال، ووجوه عشائر، وأصحاب نفوذ، وله أسلوبه الخاص في تعامله مع هذه الشرائح مجتمعة، بفن وحكمة.

فهو يغنيك بحديثه المشوّق، وباسلوبه السلس، ويرشدك إلى غايتك بطريقة فيها الكثير من الإيهار، أضف إلى أنّه يمتلك صورة ثقافية عميقة، والسبب في ذلك مدى تعاطيه مع شرائح المجتمع «الرقّاوي» المثقف، وبمختلف فئاته.

وإذا ما أردنا أن نبحث عن المدرسة التي نهل منها «أبو زهرة»، فهي مدرسة الحياة والمجتمع، ولم تتعد الصفوف الدراسية الأولى، ولكن علاقاته الواسعة مع مختلف شرائح المجتمع، وكبار شخصيات الرقّة ووجهائها وشبابها المثقف، وبصورة دائمة ويومية، جعلت منه إنساناً أكثرَ وعياً، وتجربة عميقة ذات بعد ثقافي، ومبحرة في عالم ما زال الكثير من أبناء جيله، وللأسف، ضعيف الرؤية، غير قادر على محاكاة الغير إلاّ بأفق ضيّق جداً.

إنَّ مكتبة الخابور، وعلى الرغم من الدمار الكبير الذي لحق بها، وإحراق ما احتوته رفوفها على مرّ السنين الماضية، ومنذ تأسيسها، في العام 1957 على وجه التحديد، من كتب أدبية وعلمية، تاريخية وفلسفية، ومن مجلات وصحف ورقية، ظلّت وما زالت وستبقى بمكانة صاحبها، وعلاقاته الاجتماعية، وثقافته الغنية، وزيارات العديد من مثقفي الرَّقة إليها بصورة دائمة، وحضور جلساتها المتواضعة، ونقاشاتها الجادّة، وتظل هي الحافز الوحيد على بقائها، وصاحبها أحمد الخابور، الذي يعودُ إليه الفضل في استقطاب هؤلاء الشباب المثقف، ويضفي على تلك الحوارات الساخنة، طابع الضيافة العربية الأصيلة، بالاحتفال بزوّاره بتقديمه لهم القهوة العربية «المُرّة» التي يقوم بإعدادها وتقديمها بنفسه لكل من تحط قدمه أرض المكتبة.

هكذا كان واستمر في استقطاب كل من يجد في نفسه القراءة، ليس محبةً في المال وإنما هو الحب المجبول بالمعرفة الذي كان يحاول أن يصل به إلى شرائح المتعلّمين الهواة الراغبين في اكتساب المعرفة أولاً من أبناء بلدته.

ويصرّ الخابور على إبقائه مهمّشاً، برغم العوَز وضعف المورد من عائدات المكتبة، من توزيع الصحف وبيع المجلات والكتب، وإنما وجودها مجرد ديوانية، وجلسة حوارية جماعية، والتي تعتبر رمزا لمثقفي مدينة الرّقة، وكتّابها وصحافيها، بصورة خاصة، الهدف منها سرد الحكايات، ومعرفة الأخبار، والوقوف على كل ما هو جديد في الرّقة، وما يدور في أذهان أبنائها، ومن هنا ظلّت مكتبة أبو المهند اسما على مسمّى، فهي تشكل منتدى ثقافيا اجتماعيا متأصّلا.

يقول أحمد الخابور: «عمر المكتبة الحالي أكثر من ستين عاماً، وأنا من أنصار السلم العالمي، وأكره الحروب». والحروب، كما يؤكد، «نتيجتها الخراب والدمار والتشرّد». وهذا ما حصل بالفعل بالرّقة وبأهلها.

وأضاف: «مكتبتي الصغيرة تمثّل مركزا ثقافيا مصغّرا، وكان من أبرز روّادها الطبيب الأديب عبد السلام العجيلي».

وعن تضييق الخناق الذي مارسه عليه عناصر الدولة الإسلامية «داعش» الذين سبق لهم أن زاروا المكتبة، في أكثر من مرة، وعيونهم على محتوياتها، قال: «قالوا لي بالحرف الواحد، هذا المكان لا يدخله الرحمن، والكتب شبيهة بالكفرة، ونريد التخلّص منها». وقال لهم: «خذوا ما يلزمكم واحرقوا البقية منها فسوريا حرقت جميعها فأنا لن أزعل على حرقكم الكتب».

وعن مدى حبّه وولائه للمكتبة والكتب، قال: «أنا جزء من المكتبة، ومن الصعب أن أتنازل عنها. المكان جزء من تكويني، وأنا لا تهمني الكتب بقدر ما يهمني المكان والروّاد والأصدقاء الذين أحبّهم وأعشقهم، وهم في المقابل يحبونني، وسبق وأن زارني عدد كبير منهم، وقالوا لي بالحرف الواحد: عندما تعود المكتبة إلى الحياة هذا يعني أنَّ الرّقة تحرّرت».

وطلب صاحب مكتبة بور سعيد، دفنه تحت أنقاضها. بقوله: «وبدلاً من دفني في المقابر أفضل دفني هنا». ويشير إلى حيث بقايا مكتبته التي سويت مع الأرض.

شاغ صاحب مكتبة بور سعيد مع مرور الوقت، وها هو اليوم يحتفي بقراء النخبة من مثقفي الرّقة الذين احتضنهم يوماً، والذي عايشهم صغاراً، واليوم أصبحوا من كبار الكتّاب والصحافيين والأطباء والمهندسين والفنانين والمثقفين.

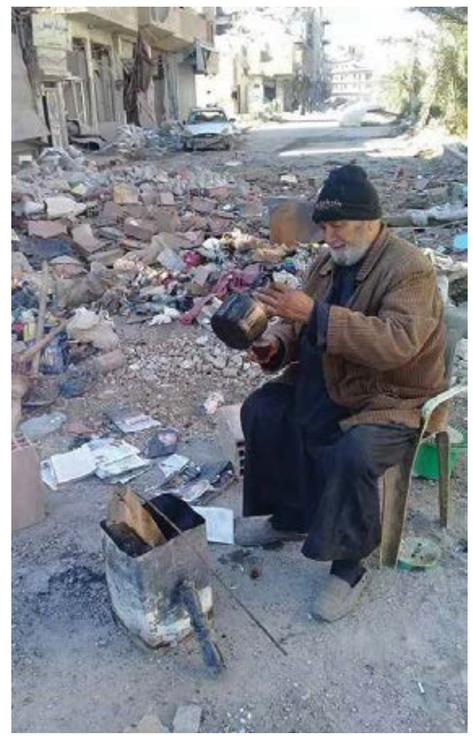

باذنجان بالبارميزان

المقادير

2 حبة كبيرة باذنجان
ملح
علبة طماطم كاملة مقشرة مهروسة
فص ثوم مقشر ومفروم
زيت زيتون
فلفل أسود طازج مطحون
2/1 كوب دقيق
2/1 كوب بقسماط ناعم جاف
4 بيضات كبيرة مخفوقة
ربع كيلو جرام جبنة الموتزريلا الطازج مقطع إلى دوائر بقطر بوصة
كوب جبنة بارميزان مبشورة
كوب مملوء بأوراق ريحان طازجة
ملعقة صغيرة زعتر بري

طريقة التحضير

نقطع الباذنجان إلى شرائح، ونرص طبقة منه في قاعدة مصفاة كبيرة ونرش بالملح بالتساوي.

نصفي الباذنجان، ونحضر صلصة الطماطم:

نشوح الثوم في زيت الزيتون، ثم نضيف الطماطم، ونتبل بالملح والفلفل والزعتر البري. عندما يُصفى الباذنجان، نرص الشرائح على ورق المطبخ لامتصاص الماء.

في وعاء مسطح كبير الحجم نخلط الدقيق مع البقسماط جيدا. نصب البيض المخفوق في وعاء مسطح كبير آخر.

نضع مقلاة عميقة كبيرة على نار متوسطة الحرارة، ونصب فيها ما يكفي من زيت الزيتون. عندما يسخن الزيت، نغمس شرائح الباذنجان أولاً في خليط الدقيق، ثم في البيض المخفوق. على دفعات نضع شرائح الباذنجان المغلفة في الزيت الساخن ونحمرها حتى تكتسب اللون البني الذهبي على الجانبين، مع تقليبها مرة.

نسخن الفرن إلى درجة حرارة 350 فهرنهايت. في قاع صينية خبز زجاجية مستطيلة نفرد 1 كوب من صلصة الطماطم، ثم نضيف ثلث شرائح الباذنجان. نضع نصف شرائح جبنة الموتزريلا فوق الباذنجان، ثم نرش ثلث جبنة البارميزان ونصف أوراق الريحان. نعمل طبقة ثانية من شرائح الباذنجان وفوقها كوب من الصلصة وبقية جبنة الموتزريلا ونصف جبنة البارميزان المتبقي وبقية الريحان كله. نضيف الباذنجان المتبقي، ونغطي بصلصة الطماطم المتبقية وجبنة البارميزان. نخبز حتى تذوب الجبنة لمدة 30 دقيقة تقريبًا ويُحمر الوجه قليلاً. نتركه ليرتاح في درجة حرارة الغرفة لمدة 10 دقائق تقريبا قبل التقديم.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

القرنفل

تصنّف شجرة القرنفل ضمن الفصيلة الآسية التي تُعرَف بحجمها المتوسّط، وهي شجرة دائمة الخضرة، لها شكل مخروطي، مزهرة ذات زهر رباعي الأجزاء وبذورها تشبه المسامير وهي أكثر أجزائها استعمالا، وتسمى كذلك بعود النوار ويكون لونها أحمر ويتحول إلى البني عندما تصبح يابسة. وتستخدم بذورها المجففة كبهارات في الكثير من الأطعمة وللقهوة العربية. ومن أسمائه الشائعة في جزيرة العرب العويدي أو المسمار.

ويتراوح طول الشجرة بين 8 إلى 12 متراً، وتنمو في المناطق الساحليّة التي ترتفع نحو 200 مترٍ عن سطح البحر، وتبدأ براعم زهور شجرة القرنفل بالنمو بعد 4 سنوات من زراعتها، حيث يتم قطفها سواء باستخدام الأيدي أو بالطرق الكيميائية، مشكّلة بذلك الجزء التجاري من شجرة القرنفل. تعود أصول القرنفل إلى جزيرة مالكوفو شرق أندونيسيا، وتُعَد الهند، وماليزيا، وسريلانكا، ومدغشقر، وتنزانيا وخاصّة جزيرة زنجبار من أهم الدول المنتجة له على المستوى التجاري.

استخدم القرنفل لعدّة قرون في مجالات متنوعة، فهو يُعرَف بنكهته التي جعلته يُستخدَم كنوع من التوابل، واعتُبِرَ من المواد الطبيّة لتأثيره كمضادّ للأكسدة وللميكروبات، وحديثًا تمّ إثبات هذه الخصائص وغيرها للتوابل بشكل عام، والقرنفل بشكل خاص، إذ وُجِد أن له تأثيراً مضادّاً للبكتيريا، والفطريات، لكنَّ القرنفل على وجه التحديد قد وُجِد أنّه يحتوي على مضادّات أكسدة فعّالة وقويّة، بالإضافة إلى نشاطه المضاد للميكروبات مقارنة بالتوابل الأخرى.

وقديما قالوا فيه: «إنه ينفع من الاستسقاء منفعة بالغة، ويدخل في الأكحال التي تحد البصر، وتذهب الغشاوة، ويقطع سلس البول وتقطيره إن كان عن برودة، ويسخن أرحام النساء، ويساعد على الحبل». وقال الأطباء القدماء: إن زهر القرنفل يشجع القلب، ويقوي المعدة والكبد، وسائر الأعضاء الباطنة، ويعين على الهضم، ويطرد الرياح المتولدة عن فضول الغذاء في المعدة، ويقوي اللثة، ويطيب النكهة».

وفي الطب الحديث يوصف القرنفل بأنه: طارد للحمى، مطهر، معقم، مخدر، وهو يشفي القروح، وآلام الرأس، والصرع، ويسكن آلام الأسنان، ويدر الطمث وذلك بأخذ مقدار بسيط من مسحوقه مع السكر.

يحتوي القرنفل على نسبة عالية من المعادن، بما فيها الحديد والمغنيسيوم والفوسفور والصوديوم والكالسيوم وحمض الهيدروكلوريك والبوتاسيوم، والفيتامينات كما أنه غني بالمنغنيز، ما يجعل من إضافته للأغذية أمراً مفيداً للصحّة، سواء أكان بشكله الكامل أم المسحوق، وبالإضافة إلى كونه يحتوي على عناصر مهمّة للحفاظ على صحّة الجسم، فهو قليل السعرات الحرارية كذلك. ويمكن أن يساعد فيتامين ج الموجود في القرنفل على تقوية جهاز المناعة والحفاظ على صحّة العظام، حيث أظهرت دراسة أجريت على الحيوانات أنّ استهلاك مكملات المنغنيز مدة 12 أسبوعاً يزيد من كثافة العظام ونموها، كما أظهرت دراسات أُجريَت على الحيوانات أنّ مستخلص القرنفل يُحسن من مؤشرات هشاشة العظام، ويرفع من كثافة العظام وقوتها.

ويعد القرنفل من أحب وأجمل النباتات التي تزرع في الحدائق لجمال أزهاره وطول موسمها. وهو من الأعشاب المعمرة إلا انه يفضل تجديد زراعته سنويا ليعطي أزهارا كثيرة وقوية ذات ألوان جذابة. وأزهار القرنفل مهمة تجاريا لصلاحيتها للقطف وللتزيين وتنسيق السلال والباقات.

ويستخرج من بذور القرنفل زيت طيار يسمى «الأوجينول» الذي له خصائص علاجية خاصة لآلام الأسنان، ويمكن كذلك استخراج الزيت من سوق شجرة القرنفل وأوراقها عن طريق التقطير.

الحمل

استغل طاقتك في التفكير بعقلانية لحل مشاكلك

الثور

اهتم بمشاريعك وعملك ولا تنسى أن تأخذ قسطا من الراحة

الجوزاء

قد يؤدي تعدد المسؤوليات إلى شعورك بالتوتر

السرطان

ركز اليوم على التحكم في أعصابك بتعاملك مع من حولك

الاسد

تتخذ خطوة جديدة نحو هدفك ولذلك ستشعر بالسعادة

العذراء

استمتع بروح المغامرة والدخول في مشروعات جديدة

الميزان

عليك أن تكون متفائلا فستدنو من أحلامك وطموحاتك

العقرب

عبر عن رأيك بحرية حتى وإن عارضك البعض

القوس

تشعر بالتوتر والقلق على مدار الأيام الماضية

الجدي

حاول أن تحل مشاكلك ولا تخاف من الفشل

الدلو

من الأفضل أن تؤجل اتخاذ أي قرارات اليوم

الحوت

سارع إلى إطلاع الشريك على مشروعك

جديد الطب

التعرض لتلوث الهواء يهدد بتصلب الشرايين التاجية

أظهرت دراسة أمريكية حديثة، أن التعرض لتلوث الهواء، يزيد من إصابة الأشخاص بتصلب الشرايين التاجية، الذي يزيد من خطر الوفاة بأمراض القلب.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة بافالو الأمريكية، ونشروا نتائجها، في العدد الأخير من دورية (JAMA Network Open) العلمية.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، ركز الباحثون على الجسيمات الدقيقة المحمولة جوًا التي يقل قطرها عن 2.5 ميكرومتر، ويتعرض لها الأشخاص، ومدى تأثيرها على الشرايين.

وتتبعت الجسيمات الدقيقة المحمولة جوًا في الغالب من مصادر صناعية، بالإضافة إلى عوادم السيارات، والطهي بالخشب والتدخين، ويمكن استنشاقها فتستقر في الرئة وتنتقل إلى مجرى الدم.

وأجريت الدراسة على 8 آلاف و867 من الصينيين الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و92 عامًا.

ووجد الباحثون أن التعرض طويل الأجل للجسيمات الدقيقة المحمولة جوًا وثاني أكسيد النيتروجين، وكذلك العيش بالقرب من حركة مرور المركبات، كان مرتبطًا بخطر الإصابة بتصلب الشرايين.

وأثبتت الدراسة أن تلوث الهواء يزيد من تراكم الكالسيوم في الشريان التاجي، وهو أحد أبرز عوامل الخطر التي تزيد من تصلب الشرايين التاجية.

ويشير تصلب الشرايين إلى تراكم الترسبات الدهنية في جدران الشرايين، والتي تقيد بمرور الوقت تدفق الدم عبر الشرايين، وهذا يمكن أن يسبب جلطة دموية تؤدي إلى نوبة قلبية أو سكتة دماغية.

وقال الدكتور منغ وانغ، قائد فريق البحث: «تقدم هذه الدراسة دليلًا على أن تصلب الشرايين التاجية، هو مرض ينجم عن التعرض لتلوث الهواء، ما يزيد من خطر الوفاة بسبب أمراض القلب التاجية».

وأضاف أن «هذا الاكتشاف يجب أن يساهم في فهم تأثيرات ملوثات الهواء في جميع أنحاء العالم، مع توفير البيانات المطلوبة محليًا والأدلة الداعمة لوضع معايير لمواجهة تأثيرات تلوث الهواء على نطاق عالمي».

(الأناضول)

انتزاع الأطفال من أسرهم مشكلة تؤرق اللاجئين في بلاد المهجر الأوروبي

وجدان الربيعي

ما ان تتابع مواقع التواصل الاجتماعي حتى تشاهد قصصا مؤلمة بلسان أصحابها. فذاك أب يبكي لأنه حرم من أبنائه، وامرأة تبكي دما لانتزاع رضيعها منها، ويقف عائق اللغة في وجه إيجاد حلول لهذه المشكلة التي تتسبب في تدمير بيوت بأكملها وتشتت أفراد الأسرة.

هي مأساة حقيقية تضاف إلى مآسي الاغتراب التي يعيشها هؤلاء الناس هربا من الحروب والخوف والفقر، وهي عوامل جعلتهم يتركون بلادهم بحثا عن أمان ليصطدموا بقوانين لم يكن في الحسبان توقعها، حيث تواجه الأسر المهاجرة في البلدان الغربية مشكلة انتزاع الأطفال، ما يؤدي في أحيان كثيرة إلى تدمير الكيان الأسري، فما أسباب هذه القضية؟ هل المشكلة تكمن في عدم معرفة اللاجئين بقوانين حماية الطفل في البلد المضيف؟ أو بسبب العنف المنزلي الذي يمارس بحق الأطفال من قبل ذويهم؟ وربما بسبب تبليغ الأطفال عن سوء معاملة الأهل لهم للمؤسسات المختصة وطلبهم للحماية؟ أم بسبب النظرة الخاطئة المأخوذة عن اللاجئ كونه لا يعرف كيف يربي ويحمي أبنائه، وقد يكون السبب اعتقاد اللاجئين ان الأمر يتعلق بالعنصرية والتمييز والخوف من المسلمين وخاصة مع تصاعد الإسلاموفوبيا في الآونة الأخيرة وعدم السيطرة على أعداد المهاجرين وتدفقهم إلى أوروبا.

عن فهم قوانين حماية الطفولة في الدول الغربية وكيفية حماية الطفل من العنف وتوعية الأسر المهاجرة بما يضمن تماسكها والحيلولة دون انتزاع أطفالها وحرمانها منهم حاورنا الدكتور حسنين الطيار الإشاراتي في الطب النفسي الجنائي والأستاذ في جامعة أوكسفورد وقال لـ«القدس العربي»:

«من الصعب أحيانا معرفة الحقيقة، هل الطفل تم تعنيفه فعلا من قبل عائلته فقامت السلطات المختصة بانتزاعه لحمايته أم أن اشتكى على أهله وغير ذلك، وهنا من المهم جدا أن يجري تحقيق يشمل كل الجهات من المدرسة والبيت والخدمات الاجتماعية والشرطة، وأحيانا إذا اقتضى الأمر وبدون تدخل هذه الجهات صعب نعرف من تسبب في المشكلة ولماذا انتزع الأطفال من أهلهم. قد يكون الطفل تمرد على عادات أهله ولم يعد يتحمل أسلوب حياتهم في ظل مغريات الحداثة فيشتكي عليهم، كل شيء ممكن ومتوقع».

ويضيف: «أن حماية الأطفال من أي عنف تكون لمصلحتهم خاصة إذا كانوا يتعرضون للضرب والتعنيف من قبل الأب أو الأم، أيضا قد يكون هناك إهمال من الأهل خاصة لو كان الطفل مريضا ويحتاج إلى عناية خاصة، ولكن في الوقت نفسه ففي الحالات الطبيعية تثبت الدراسات أن وجود الطفل مع أسرته يقلل من الصدمات النفسية عندما يكبر ويساعده على الاستقرار النفسي».

ويشير الخبير النفسي إلى أن تعلم اللغة أمر مهم لمعرفة نظم وقوانين البلد المضيف ومعرفة الأسباب الحقيقية وراء أخذ الأطفال، كما أن التوعية الصحية والنفسية مهمة جدا للأسر اللاجئة التي هي أصلا تعاني من صدمات الهروب والقتل والصراعات والنزاعات الطائفية التي تتحاج إلى استقرار نفسي وعائلي.

موضحا ان هناك دورات تدريبية تعلم الأهالي كيفية التعامل مع أبنائهم والاستماع إليهم بالإضافة إلى مؤسسات تقدم الرعاية النفسية لجميع أفراد الأسرة.

التفكير في العودة

وتابع: «لكن وللأسف الشديد الكثير من اللاجئين لا يكترثون لمثل هذه الخدمات ولا يتعلمون اللغة الجديدة وهذا ما يجعلهم في صراع دائم ويواجهون الحياة بصعوبة. ومن أهم الصعوبات تربية الأبناء، ولابد من تعلم القوانين التي تحمي الطفل ليس فقط من أجل تجنب الوقوع في مأزق أخذ الأطفال وإنما أيضا من أجل معرفة السبل المثلى في إنشاء جيل قوي متماسك نفسيا وقادر على مواجهة الصعوبات. يجب أن يكون الهم الأكبر للأسرة فائدة الأبناء وليس إلحاق الضرر بهم، والغريب في الأمر بدل ان يواجه الأهل هذه الصعوبات يقوم البعض منهم بالعودة إلى أوطانهم الأصلية».

المعاقبة القانونية

وعن معاقبة الأهل القانونية في أوروبا قال د. الطيار: يتم إخضاع الأهل بصورة عامة لمجموعة عقوبات وليس فقط اللاجئين لعدة أسباب من ضمنها:

– إهمال الرعاية الصحية والطبية للطفل والتي قد تؤدي إلى موته.

– الإهمال العاطفي والمعنوي وعدم الاستماع له.

– الإهمال التربوي.

– الإهمال بسبب الصدمات النفسية الناتجة عن حروب.

– إهمال بسبب عدم توفير عوامل السلامة في المنزل.

– ترك الأطفال دون سن 16 في المنزل بمفردهم بدون رعاية من شخص بالغ.

وينصح بمراعاة الوضع النفسي للطفل، فأي اضطراب في شخصيته قد يؤدي إلى تعرضه للإكتئاب والحزن وقد يصاب بأمراض تجعله يتحول إلى شخص غير سوي أو قد يتسبب في إيذاء نفسه والآخرين، ويمكن لذلك ان يؤثر على نموه العقلي والفكري والتحصيل الدراسي وقد تحدث إعاقات جسدية.

ويشير الطيار إلى أن من أحد أسباب عدم تأقلم الأسرة اللاجئة مع المجتمع الجديد الذي تلجأ إليه، اختلاف العادات والتقاليد التي تقف عائقا أمام فهم الكثير من قضايا التربية والطفل، والسبب يرجع في ذلك – كما يرى– هو أننا تربينا بطريقة مختلفة تماما عن الجيل الحالي وعلينا أن نستوعب هذا الاختلاف فالعالم يتطور ويتغير بشكل لا يمكن فيه العيش في زمن مضى.

وأوضح ان التسهيلات الآن أصبحت متوفرة لمساعدة اللاجئين، حيث هناك الكثير من الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والمحامين من أصول عربية وتقوم الدول الغربية بالإستعانة بهم لتقديم المساعدة لغير الناطقين بلغة بلد اللجوء.

منوعات

دعا لموازنة متساوية بين وزارتي الدفاع والثقافة

أندريه الحاج الذي أحدث ثورة في الأوركسترا الشرق عربية: لنا جمهورنا ولم نسجل أخطاء

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

يفرح المايسترو أندريه الحاج لأن حفلات الأوركسترا الوطنية الشرق عربية منتظرة من قبل الجمهور، ولأن الإقبال في غالبية الحفلات يفوق قدرة استيعاب الصالة. نجح الحاج في بناء حالة ثقة مع الناس واستقطابهم، وتمكن من تأكيد الأهداف المطلوبة من الأوركسترا على الصعيدين الفني والثقافي.

في بدايات انطلاقه في عالم الموسيقى أسس أندريه الحاج أوركسترا المتن، وكانت لها حفلات في كل لبنان. مشروع ثقافي لم يُعمّر لإفتقاده الدعم. الموسيقي المختص في تأسيس الأوركسترات، أسس كذلك أوركسترا جامعة الكسليك. وعندما أنضم إلى المعهد الموسيقي الوطني أنجز كتابين في دراسة العود صدرا سنة 2009. وفي 2002 تأسست في المعهد الموسيقي الأوركسترا الكلاسيك والأوركسترا الشرق عربية، فكان له مقعد فيها كعازف عود رئيسي، ولاحقاً صار قائدها.

معه هذا الحوار:

○ متى بدأت صلتك المهنية مع المعهد الموسيقي الوطني؟

●بداياتي المهنية كانت في جامعة الكسليك في عمر 21 عاما وقبل التخرج من الجامعة نفسها بدبلوم العود سنة 1991. سنة 1995 طلب مني الدكتور وليد غلمية الإنضمام للهيئة التعليمية في المعهد الموسيقي، وذلك بعد 19 سنة من التدريس في جامعة الكسليك. وعندما تأسست الأوركسترا الوطنية الشرق عربية كنت عازفا أول للعود، وفي الوقت عينه كنت أتابع دراسة قيادة الأوركسترا على يد الدكتور غلمية.

○ كيف ترسخ حضور الأوركسترا الشرق عربية في حياة اللبنانيين بدءا من 2002 وباتت حفلاتها منتظرة؟

●السياسة المتبعة منذ تأسيس الأوركسترا ساهمت في رسوخها بالتدريج كحدث ثقافي منتظر. أخبرت الدكتور غلمية عندما توليت قيادتها في سنة 2011 برغبتي بالتصرف وفقاً لفرق العمر بيننا وهو 30 سنة. حاولت إكمال ما بدأه، لكن رغبته أن يسمع الجمهور اللبناني الموسيقى تماماً كما جمهور الغرب لم تحقق النجاح المطلوب. الجمهور يفرح بالغناء والكورس، ويتململ مع الموسيقى الصافية. سنة 2011 زرت الراحل وديع الصافي رغبة في التعاون لتقديم تحية له من الأوركسترا كواحد من كبارنا. تعاونت مع حنا العميل. وكان الرأي أن يتضمن كل حفل للأوركسترا مقطوعة لموسيقي جديد. وكذلك التركيز على استضافة قائد أوركسترا من بلد عربي في بعض الحفلات.

○ إذا الاتهام ثابت على أندريه الحاج بتجديد ملموس في الأوركسترا الشرق عربية؟

●وحفل وديع الصافي مثالاً. فقد شكل اقتراباً من الناس، حتى عناصر الأوركسترا تبدّل عزفها. وبما أنني منفتح تماماً على النقد فقد تواصلت مع المنتقدين وقدّرت ما أشاروا إليه وصوابيته. النقد هو الذي صوّب الخطى في مسار الأوركسترا الشرق عربية. فحفل التحية للصافي كان من قبل تهتم بحفلاتنا. وكان ذلك في تشرين الأول/أكتوبر 2011. أما الفكرة الأساسية للأوركسترا الشرق عربية فكانت بتقديم باقة من الموسيقى، وهذا هدف سام للغاية. ولكن، وفي تحية الصافي غنى الكورال سبعاً من أغنياته، ولعبت الأوركسترا منفردة خمساً منها. وسجل الحفل نجاحاً باهراً ورضى كبيراً من صاحب التحية. ومن ثمّ تنوعت الأفكار وكانت استضافة أميمة الخليل، حيث فاق الحضور التوقعات. فمن مميزات الأوركسترا أنها تلعب موسيقى تقليدية ومعاصرة، وفي الوقت نفسه كلاسيك. وهذا ما حدث خلال استضافة عبد الرحمن الباشا الذي شاركنا في التحية لوالده توفيق الباشا، فقد لعب مقطوعة كلاسيك في قصر الأونيسكو. أما النموذج الموسيقي الشرق عربي الذي كنت أسعى له، فقد ظهر في التحية لفريد الأطرش سنة 2013. وكان ذلك عبر الاستعانة بآلات من الأوركسترا الكلاسيك. فمن تولى توزيع اغنيات فريد الأطرش كتب للأوركسترا الكلاسيك والعربية معاً. وهذا الشكل الفني عمل عليه الأخوين رحباني وفريد الأطرش وتمثل في إدخال الأوبوا (آلة كلاسيكية) والكلارينيت. أي أنني أحببت ما سبق ونفذه مبدعون لبنانيون وعرب. فالأوركسترا العربية ليست فقط عود وقانون وناي، بل يمكن أن يتسع صدرها للمزيد. هكذا اقتربت الأوركسترا من الناس.

○ نشعر وكأن حفلات المعهد الموسيقي الشرقية والكلاسيكية موجودة في بيئة لبنانية نائية بعيداً عن الواقع السياسي الاقتصادي المرتبك والمتصارع. كيف نأت بذاتها؟

●هذا ما أراده وليد غلمية. لم نغب مرّة عن التمارين ولا عن الحفلات. رغم الظروف الصعبة التي مررنا بها لم تتعطل حفلاتنا مطلقاً. وانطلقنا بإحياء بعض كبرى الحفلات في قصر الأونيسكو، مؤكدين على رمزيته في بال الجمهور الذي راح يزداد، وصار لنا منافسون.

○ طموحك التجديد والتطوير فكيف تسعى إليه؟

●عندما انطلق عمل الأوركسترا الشرق عربية تدافعت الأفكار، ورحنا نختبرها ونسير بالمناسب منها في حفلاتنا. الطموح موجود وهو مشروع. هدفي الأبعد أن تحيي الأوركسترا اللبنانية الشرق عربية حفلات من إرثنا الغني في أوروبا، لعرب ولبنانيين. سبق واختبرت تقديم هذا الإرث في دول عربية، وكنت أول من يقود أوركسترا عُمان ببرنامج عربي وبرفقة الفنانة جاهدة وهبة.

وفي المرة الثانية طُلبت إلى دار الأوبرا في القاهرة في تشرين الثاني/نوفمبر 2018 مع الفنان نصير شمّة للعزف، وقدمنا برنامجاً عربياً مع أوركسترا كلاسيك. عزفنا لتوفيق الباشا وصولاً للأخوين رحباني بعنوان «الزمان الجميل». وهذا الحفل اعتبرته بروفا لحفل أوروبي. وكان الحفل العربي الثالث في الشتاء الماضي في دار الأوبرا السورية. وربما نكون بصدد خطوة أوروبية نحو ألمانيا هذا العام.

○ هل ترى الأوركسترا الوطنية اللبنانية حدثاً مهماً في الحياة الثقافية بعد الحرب الأهلية؟

●بالتأكيد وأذكر أن وليد غلمية الذي قاتل حتى أوجدها. كان يدرك أثرها على المجتمع وفي خلق الناقد والموسيقي معاً. من جهتي لم أكن لأتخصص في الموسيقى لولا وجود الأوركسترا. أعتبرها من الإنجازات القليلة المشهودة بعد اتفاق الطائف.

○ بما أن الناس تنتظر برنامجكم السنوي فكيف يتم وضعه بدءاً من أيلول/سبتمبر وصولاً إلى آخر حزيران/يونيو؟

●بداية أؤكد أن للأوركسترا ناسها لأنها لم تسجل أخطاء بعد. عندما امتلأت المرات في حفل أميمة الخليل سنة 2011 تلقينا إنذاراً بعدم إدخال أكثر من 550 شخصاً، والممرات فارغة لحالات الطوارئ. بالعودة إلى البرنامج أشير هنا إلى التعاون العربي مع الأوركسترا كحضور غادة رجب وكذلك نصير شمّة. وهما فنانان كبيران تفهما وضعنا كإدارة أكاديمية تستطيع فقط تأمين واجب الضيافة. الخطوة الأولى في البرنامج تبدأ بتحديد تاريخ الحفلات وعددها بين 13 و14 حفلاً. وحفل الموسم المقبل الأول في 26 أيلول/سبتمبر وقد يكون برفقة الفنان غسان صليبا. بعد تحديد التاريخ نبدأ بوضع الأسماء التي سنستضيفها، من مايسترو عرب ولبنانيين، ولن ستخصص التحيات. حفلات يلزمها تحضير وعمل، فالتحية لفريد الأطرش استلزمت مني عملاً بدأ من الصفر. فموسيقانا العربية ليست موثقة، وغالباً نعتمد على السمع. فيما الكتابة للأوركسترا تختلف حكماً عن الفرقة الموسيقية. في الأوركسترا توزع الأدوار بين كمان 1 و2، وتشيللو 1 و2. وبالمناسبة سنكون في الموسم المقبل مع اختبار ثان للحفل التونسي الذي حقق النجاح. وسنكون كذلك مع حفل موسيقي مغربي بالتنسيق مع السفارة. والحضور المصري قائم كل عام. ونبحث عن استضافة عراقية.

○ ما الذي يميز العود التقليدي عن العود المعاصر؟

●أعزف العود، الكمان، البزق والبيانو، ودبلوم التخرج عود. في رأيي سجل الكمان تطوره من خلال التأليف وليس العزف. إشكالية العود الأساسية تتشابه مع اشكاليتنا كعرب بشكل عام، والمتمثلة في شغفنا بالكلمة المغنّاة أكثر من الموسيقى. في تحليلي أن الحكم العثماني الذي امتد 402 سنوات، وكما هو ظاهر أننا حاربناه بالكلمة والزجل، ولهذا افتقدنا التوازن بين الكلمة والموسيقى. في حين أن أوروبا التي احتل العثمانيون أجزاء كبيرة منها حافظت على التوازن بين الكلمة والموسيقى. جميعنا يعشق الكلمة، لكن للموسيقى مكانتها. في أوروبا توجد الموسيقى الصغيرة وفي الوقت عينه الأوبرا، وعندنا للكلام سطوته. في أوائل القرن 19 كانت الكلمة هي الأساس في مصر. وعندما بدأت موسيقانا في لبنان تشق طريقها بقوة في الخمسينيات والستينيات فيما يشبه الثورة الغنائية مع الرحابنة وزكي ناصيف وفيلمون وهبة وآخرين كانت الكلمة هي الأساس. بدأت الأغنية اللبنانية تفرض نفسها منذ الأربعينيات، لكنّ المدماك الأساسي تمثل بالدعم الكبير للأخوين رحباني. كموسيقي كنت أتمنى لو فكر من سبق ذكرهم في وضع أسس لمسرح موسيقي لكان الجمهور اعتاد سماع الموسيقى.

○ لكن الجمهور استمع لموسيقى جهاد عقل في الحفل قبل الأخير للأوركسترا؟

●كان الحضور يغنون مع موسيقى جهاد عقل. ولا بد من التأكيد بأن جهاد عقل حالة فنية وليس عازفاً فقط. أطال الله عمره يشبه صباح التي كانت حالة من الحضور، الكرم، الصوت، الفرح، المتعة والهضامة. جهاد عقل في مكان ما يتشابه مع هذا الوصف. خلال استضافته قدمنا غناء موسوقاً وفق طريقته. وبالتأكيد أي نوع من الموسيقى في حفل جهاد عقل سيؤدي للنجاح. لتزدهر الموسيقى يتمثل الحل المطلوب بدعم مالي للمؤلفين.

○ يفخر الفنانون الذين تستضيفهم دار الأوبرا المصرية بذلك. هل صار للأوركسترا اللبنانية مماثلة؟ الشرق عربية مكانة مماثلة؟

●بات لنا وجود واسم جيد جداً. حين ادعى لحفل في الخارج أمثل بلدي والأوركسترا والمعهد الموسيقي الوطني. فخر لي أن تكتب جريدة «الأهرام»: «أندريه حاج يزرع أرزة في دار الأوبرا». نحن موجودون ولنا مكانتنا، إنما لا تاريخ تراكمنا لنا. الحرب الأهلية التي عشناها أرخت بأثقالها على الفن. ولا أدري أين كنا بدون تلك الحرب. يجب أن تتماثل موازنة وزارة الثقافة مع موازنة وزارة الدفاع، وبغير ذلك لن يستقيم الوطن.

○ بالمناسبة كيف تمّ عصر موازنتكم؟

●منذ التأسيس نتمتع كإدارة مستقلة بموازنة جيدة ولم نُمس. وهي تفوق موازنة وزارة الثقافة.

○ أين أنتم من مهرجانات الصيف؟

●الهوى الموسيقي لبلدنا مسيحي، لهذا يقولون «واو» لأي أوركسترا كلاسيك غربية، ويُسحر البيانو البعض. ثقافتنا أوروبية مسيحية، وهذا لا نجده لدى الشعب السوري أو المصري. على مهرجانات الصيف أن تفتتح نشاطها

بعمل لبناني كما في مهرجانات كافة الدول العربية. موسيقى كبارنا يجب أن تعيش لأنها تستحق. فإن لم ترغب المهرجانات في التورط مع أي صوت لتقدم الأوركسترا موسيقى أغنيات الكبار.

ثمانية عروض في الدورة 34 لمهرجان «الجم» العالمي:

رحلة بلا حدود إلى ضفاف الموسيقى السيمفونية

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

كعادته كل عام يحتضن المعلم الروماني في «الجم» المهرجان السيمفوني العالمي الذي تحول إلى موعد سنوي صيفي تزدان فيه شوارع المدينة العتيقة بأجمل حلة لاستقبال ضيوفها القادمين من شتى أرجاء المعمورة. هنا في قصر الجم أو مسرح «كُولُوسِّيُومْ تِيسْدْرُوسْ» أو قصر الكاهنة، الذي أدرج سنة 1979 على لائحة مواقع التراث العالمي من طرف اليونسكو. ويعد ثالث أكبر مسرح في العالم وأضخم معلم أثري روماني في افريقيا، وأصبح يستقطب أهم فرق العزف الموسيقي السيمفوني حول العالم.

وقد اختار القائمون على المهرجان ان تكون سهرة افتتاح الدورة 34 استثنائية على أضواء الشموع التي أنارت المعلم الأثري في ليلة أخذت معها الجمهور إلى ضفاف الحلم بعيدا عن حروب الواقع وأزماته، فكانت رحلة صيفية على جناح أوركسترا مهرجان بوتشيني الايطالي. وصمت الجمهور أمام رهبة المكان والأصوات والموسيقى السيمفونية التي باحت بأسرارها كما لم تفعل ذلك من قبل وذلك مع الملحن الأوبرالي الكبير جياكومو بوتشيني وبقيادة المايسترو ألبرتو فيرونيزي وحضور أصوات شهيرة في عالم موسيقى الأوبرا وهم حمادي الآغا وأماريلي نيزا وجيوفانا كاسولا وإيليا فابيان وإيفانا كانوفيتش.

لمهرجان الجم السيمفوني عشاقه ومريدوه في تونس وخارجها وهم يأتون إلى هذا المكان السحري من كل حدب وصوب باحثين عن السلام المفقود وعن جنائن الموسيقى المعلقة في هذا المكان الأثري القديم، وكأنها ليلة خاصة من ليالي الأنس والجمال في صيف تونس الهادئ الذي يتفتح فيه الياسمين مرحبا بضيوفه. ورغم أن مدينة الجم تبعد حوالي 205 كلم عن تونس العاصمة إلا ان القائمين على المهرجان وفروا قطارا سريعا مخصصا لنقل الجمهور إلى هذا المعلم الأثري.

وقدمت الأوركسترا الآتية من مهرجان بوتشيني، مقطوعات من موسيقى الأوبرا كـ «البوهيمية» و «السيدة الفراسة» و«توسكا» و«تورانـدو» وغيرها من معزوفات الأوبرا العالمية التي لحنها الراحل جياكومو بوتشيني وخلدت باسمه. وبوتشيني، هو أحد رواد موسيقى الأوبرا في العالم، ولد في 22 كانون الأول/ديسمبر 1858 وتوفي في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1924 ونجح طيلة حياته في نحت اسم لا يُمحى في المجال الموسيقي.

ثم تولت نتاجات بوتشيني الأوبرالية، ورغم وقوف الحرب عائقا أمام تأليفه وتلحينه لأوبرا كبيرة لفيينا، إلا أن نجاحاته تتابعت وازدادت شهرته مع كل عمل إبداعي جديد إلى أن أصيب بسرطان الحلق وتوفي. وخصوصية هذا العرض الذي تقدمه أوركسترا بوتشيني انه مزج بين الموسيقى الايطالية والتونسية وذلك بمشاركة مغني الأوبرا التونسي حمادي الآغا الذي تألق في عرض استثنائي ايطاليا وأهم مغنيه وهم أماريلي نيتسا وجيوفانا كازولا وإيفانا كانوفيتش. وقدمت للجمهور حوالي عشرين معزوفة موسيقية من «مدام باترفلاي» إلى أحدث أوبرا لحنها بوتشيني قبل وفاته وهي «تورانـدو». «مدام باترفلاي» من أبرز المعزوفات التي تتحدث عن قصص الحب والخيانة والتضحية وهي من بين أعمال بوتشيني، وتلتها معزوفة «النوتات الأولى لتوسكا» وهي إحدى أشهر معزوفات أوبرا بوتشيني، وقدمها الثنائي جيوفانا كاسولا وحمادي الآغا في «ماريو ماريو». ومع أوبرا «مانون ليسكات» الثالثة لبوتشيني، حلق الجمهور بعيدا مع قصص الحب والعشق العالمية. وافتتحت إيفانا كافانوفيتش أداء أوبرا «البوهيمي» قبل أن تنطلق في غناء ثنائي عبر حوار مع صوت الساحر التونسي حمادي الآغا، ثم أماريلو نيتزا ليجتمعوا في آخر مقتطف من «البوهيمي» وهو آخر عمل للملحن الكبير جياكومو بوتشيني، أدته إيفانا كانوفيتش ببراعة كبيرة بين الارتفاعات المروعة والإيقاعات الأكثر ثراءً وامتدادًا، فيسمع صوتها رائعًا في ارتفاعات لطيفة ويتحرك ويتغير حسب متطلبات الأداء. جسدت السوبرانو الغنائي جيوفانا كاسولا دورها كأميرة قاسية ولإنهاء هذه الأوبرا غير المكتملة، قام حمادي الآغا ببراعة بأداء «نسون دورما» الشهيرة. وتضمنت برمجة الدورة 34 للمهرجان ثمانية عروض افتتحت بعرض تونسي ايطالي لأجمل المعزوفات الايطالية تلاها عرض اسباني يوم 20 تموز/يوليو لـ«كونسرتو ملقة» بمشاركة عازف آلة الساكسفون أوليريش برينهوبر ثم عرض لأوركسترا الغرفة منميوركا للبلد نفسه. وأهم العروض التي تقدمها الدورة الحالية هي لسيمفونية القاهرة ثم أوركسترا أبورا فيينا (النمسا) فيما تختتم الدورة يوم 08 آب/اغسطس بعرض يحمل عنوان «موتسارت بين ضفتين» تؤثثها «الأصوات الشابة في فرنسا» وجوقة «أصدقاء شهرزاد» في عرض فرنسي تونسي مشترك.

«المنتقمون: نهاية اللعبة» الفيلم الذي فاق كل التوقعات في نجاحاته

يوخنا دانيال

لم يتصور أحد أن فيلم «المنتقمون: نهاية اللعبة سيلاقي كل هذا القدر الهائل من النجاح الجماهيري، في شباك التذاكر الأمريكي والعالمي، والاستحسان الكبير من قبل النقاد في كل مكان. إذ استطاع الفيلم أن يحقق مزجا عاليا بين الأداء الدرامي الثقيل في الساعة الأولى منه، والأكشن من العيار الأثقل في الساعتين الاخيرتين أيضا؛ الأكشن الذي ما أن يبدأ لا ينتهي حتى اللحظات الأخيرة من الفيلم، وصولا إلى مشهد ختامي حزين وقصير. ويلعب الرباعي الرائع روبرت داوني جونيور، وسكارليت جوهانسون، وكريس إيفانز، ومارك روفالو، دورا دراميا لافتا للنظر في تجميع قوى المنتقمين وأفرادهم، ورفع معنوياتهم بعد خمس سنوات من الهزيمة الكبرى، التي انتهت بانتصار الشرير ثانوس وجيشه الجبار، ومحو نصف الأحياء في الكون من الوجود، وبضمنهم بعض أعضاء المنتقمين، كما رأينا في فيلم «المنتقمون: حرب اللانهائية» عام 2018. وإن كانت الخسائر في الفيلم الأسبق نصف الكائنات في الكون، فإن هذا الفيلم قد انطوى على تهديدات أكبر، بمحو جميع الكائنات في الكون هذه المرة، والعودة إلى نقطة الصفر.

لقد انتقد الكثير من المشاهدين طول الفيلم البالغ 3 ساعات، كما انتقدوا بطء الأحداث في الساعة الأولى، وخلوها من الأكشن مقارنة بالفيلم الأسبق الحرب اللانهائية. لكن هل كان يمكن حل المأزق الذي وقع فيه الأبطال في الفيلم الأسبق، بطريقة مقنعة للمشاهدين من دون الساعة الدرامية الأولى؟ لقد كان الأمر صعبا جدا، لأن المأزق كان كبيرا، ويبدو مستحيلا على الإصلاح. وهنا كانت عودة الفنان بول رود أو الرجل النملة للمجموعة بعد خمس سنوات من الغياب هي الحل المنتظر، بعد عرضه لأفكاره الثورية في الانتقال عبر الزمن في العالم الكوانتمي، لتجميع أحجار اللانهائية من أجل إعادة الأمور الى نصابها. وفي رأيي ان الساعة الدرامية الأولى أعطت قيمة كبرى لهذا بفيلمي «المنتقمون» الأول والثاني، وتطورا متزايدا عن الفيلم الأسبق، مما يؤهله للعديد من جوائز الأوسكار ومن بينها لأفضل فيلم وأفضل إخراج أيضا. ورغم كل هذا، يبدو أن الأكشن في الفيلم الأسبق كان أروع بكثير، من ناحية عدد وحجم ومواقع المعارك مع جيش ثانوس. ومن أطرف النكات حول الفيلم، أن ناقدا غربيا محترما قال ان المشاهد في إمكانه الخروج من دار العرض وقضاء أشغاله، أو يذهب لبيته لتناول وجبة طعام، ثم يعود لدار العرض بعد ساعة، من دون أن يفوته شيء، لكننا نأخذ الأمر كمزاح فحسب.

ويحاول الإخوان روسو مخرجا فيلم» المنتقمون: نهاية اللعبة» إعادة عرض الفيلم في الصالات مجددا في أمريكا وبعض الدول الأخرى، من أجل إزاحة فيلم «آفاتار» من قمة المداخيل حول العالم. إذ يحتفظ الفيلم الأخير بأعلى رقم ايرادات من شباك التذاكر وهو 2.78 مليار دولار بينما فيلم «المنتقمون: نهاية اللعبة» بلغت إيراداته 2.76 مليار دولار. وبالتحديد، فقد بلغ الفارق بينهما 22 مليون دولار فقط لصالح «آفاتار» وهو رقم يمكن تجاوزه حسب رأي المخرجين والشركة المنتجة. لكن المراقبين غير متفائلين بذلك، ربما بسبب حجم القرصنة الهائلة التي تعرض لها الفيلم منذ أيامه الأولى، رغم أن هذه القرصنة لم تؤثر على حجم المداخيل، عندما كان الفيلم يعرض في دور العرض بكثافة حول العالم. وكنتيجة، فقد برهنت أفلام السوبرهيروز العالية التكاليف، انها الاستثمار الأنجح في هوليوود، من خلال الأفلام التي تدور في عالم مارفل السينمائي المبني على القصص المصورة أو الكوميكس، إذ تجاوزت إيرادات ثمانية من أفلامها الـ 22 حاجز المليار دولار، من بينها فيلمان تجاوزا حاجز المليارين دولار. وهذا يشير إلى أن أفلام عالم مارفل السينمائي، ستستمر وتغزو الشاشات حول العالم. وعلى مدى السنوات الماضية شاهدنا هذه الأفلام تتالى وتترابط فيما بينها وتتداخل في حكاياتها، كي تربط المشاهد بهذا العالم الخيالي الخارق. وقد نجحت شركة «مارفل ستوديوز» المتفرعة من شركة «ديزني فيلم» في رهاناتها دائما، خصوصا فيما يتعلق بجماهيرية أفلامها وتميزها ومستواها التقني العالي. لقد جذبت هذه الأفلام جميع الفئات العمرية، حتى من الذين لم يكونوا قراء لمجلات الكوميكس في حياتهم.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9603 الأحد14 تموز (يوليو) 2019 – 11 ذوالقعدة 1440 هـ
Volume 31 - Issue 9603 Sunday 14 July 2019

فرنسا: عريضة ضد الصّياح الصباحي للديوك

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

في مدينة بوتور بمنطقة هوت فرانس، الواقعة شمال فرنسا، أطلق مجموعة من السكان عريضة ضد الصياح الصباحي للديوك في مدينتهم. في المقابل، استنكر مواطن في مدينة مارنيي لي كومبينه التابعة لنفس المنطقة، ابعاد ديكه بقرار قضائي؛ كما أطلق مواطن آخر عريضة ضد قرار المحكمة بترحيل ديكه من المدينة.

لكن ماذا يقول القانون في فرنسا عن أصوات الديوك؟ تشكل أصوات الحيوانات في المناطق الريفية مضايقات بالنسبة لبعض السّكان: صياح الديوك ـ قرقرة الدجاج ـ نباح الكلاب ـ خُوار أو جؤار البقر ... إلخ) ويمكن لهذه الأصوات أن تحدث اضطرابًا غير طبيعي في الأحياء التي توجد فيها.

ويسمح القانون الفرنسي بما يسمى بالطيور الداجنة، وهي طيور يربيها الشخص في حديقته المنزليّة أو مزرعته وتُصنّف ضمن الدجاجيات: الديوك والدجاج والبط والنعام ...الخ، إلى حدود خمسين من الحيوانات على مدى ثلاثين يوما. ومهما كان حجم قن الديك، فإنه يحظر عليه إصدار ضجيج أو إزعاج شمي.

ويُعتبر صياح الديوك في الصباح أمراً طبيعياً عند شروق الشمس وغروبها. ومع ذلك، إذا قامت الطيور الداجنة بدفع الصوت بدون توقف ليلا أو نهارا، فإن ذلك يعتبر سلوكاً غير طبيعي، من شأنه أن يتسبب في ازعاج الجيران.

وتقول المادة 1385 من القانون المدني إن مالكي أو حراس الطيور الداجنة يتحملون المسؤولية إذا تحول الضجيج الذي تتسبب فيه هذه الحيوانات إلى عامل ازعاج غير طبيعي للجيران. أما المادة 1334–31 من قانون الصحة العامة فتقول: «يجب ألاّ يؤثر أي ضجيج معين، من خلال مدته أو تكراره أو شدته، على هدوء الحي أو صحة الأشخاص، في مكان عام أو خاص».

وبالنسبة للأشخاص الذين يحبون أصوات الريف، طلب أحد رؤساء البلديات، تصنيف صوت الديك أو صوت الأجراس ضمن التراث الثقافي غير المادي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو». بينما قام عمدة بلدية ريفية أخرى بوضع لافتات عند مدخل قريته من أجل تنبيه السّياح بأنهم سيكونون عرضة للإزعاج من قبل أصوات الديوك والطيور الداجنة الأخرى الموجودة بالقرب من المدينة؛ موضحاً أن تلك هي الحياة في الأرياف، وأن على الجميع تقبل هذه المناطق بتقاليدها.

إنها أقدارنا التي نتصارع معها ونعجز عن فك شفرتها

عوالم الغيب وتصريفات الأقدار التي نعيش داخلها وتتحكم في مصائرنا

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

نستيقظ كل يوم ليخوض كل منا حسب مؤهلاته وحظوظه معركة حياته.

في كل يوم من هذا السجل المتجدد، نندفع لا يدري أي منا ما يخبؤه القدر له من مفاجآت سلبية أو إيجابية.

والناس في التعامل مع القدر قسمان: قسم يرى أن الفاعل في الحياة هو الوسائل المادية المحسوسة الماثلة للعيان، وقسم آخر فيه المتدينون والمؤمنون بالغيبيات أن المعركة معركة مع القدر يخوضها البعض بالإيمانيات وبالحظوظ عاثرة كانت أم موفقة، ويواجهها البعض الآخر بتعليق الأحجبة والتمائم وهمهمات السحرة.

ووسط هذا الخضم تطرح أسئلة كثيرة: من هو الإنسان؟ وكيف يعمل ويتعامل مع القدر؟ وما هي الحياة وما شفرتها؟

الجميل في هذا الموضوع أنه ليس صعبا ولا مخيفا ولا محذورا، لأنه الحقيقة؛ فالحقيقة دائما تتجلى لمن يكون في طريقها، على الرغم من أن هناك خطابا دينيا، نتج عنه خطاب اجتماعي يخوف من طرح الأسئلة في هذه الموضوعات ويقدم أجوبة مسبقة الصنع بنكهة محددة.

ومع تكاثر المشاكل والابتلاءات، ومع ما يحيط بالإنسان في حياته اليومية من امتحانات ومصائب وأمراض وأعراض وأغراض، تزدهر دكاكين الكشف عن الغيب التي يسيرها متمشيخون ومدعون للصلاح.

فقد وجدت هذه الدكاكين زبناءها في آلاف الأشخاص الحيارى في مصيرهم الذين يصارعون الأقدار ليحتاطوا لأنفسهم ضمن خطوات استباقية.

وازدهرت في خضم هذه المعركة المشتعلة بين الإنسان وقدره وبين الإنسان ومصيره، عمليات استكشاف الغيب عبر ضرب الرمل وقراءة الكف وفتح المصاحف على نية معينة والنظر في الآيات التي تتضمنها الصفحة اليمنى للتفاؤل أو التشاؤم بمضمونها.

وعبر هذه العمليات التي يعيش عليها الآلاف من المشائخ وأشباه المشائخ الذين نصّبوا أنفسهم عارفين بالغيب.

لكن هل لمعركة الإنسان مع الغيب أساس ديني أم أنها تقاليد ومسلكيات موروثة خرافية؟

صرّح القرآن الكريم في آيات عديدة وفي أحاديث نبوية بضرورة الإيمان بالغيب، قال تعالى «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

وفي نقاش هاتفي معه يقول الشيخ محمد إبراهيم شيخ سنغالي مختص في الاستخارة «أن الغيب لغةً هو ما لا تدركه الحواسّ، واصطلاحاً هو كلّ ما استأثر الله تعالى بعلمه دون أن يُطلع عليه أحداً من خلقه إلّا من ارتضى».

ويضيف «ممّا لا شك فيه أنّ الغيب بهذا المعنى يشمل ما كان غائباً ومحجوباً عن الإنسان من حوادث قد مضت، ولم تصل أخبارها إلى الناس، ومن حوادث تحدث في لحظتها ولم يطّلع عليها الإنسان لبُعدها المكانيّ مثلاً، ومن حوادث ستحصل في المستقبل، هو لا يعلمها قطعاً؛ وبتعبير آخر غيب ما كان، وما هو كائن، وما سيكون إلى يوم القيامة».

وعن شرعية الاستخارات والكشوفات يقول الشيخ الحاج عبد الله ستيني موريتاني مختص في الروحانيات «لا يجوز الاعتقاد بأنّ هذه الوسائل تكشف عن الغيب بنحوٍ الجزم واليقين، ولا أن يخبر بها إخباراً جزميّاً بما استوجاه من النظر فيها، لأنّ هذه الوسائل لم يدلّ عليها دليل شرعيّ معتبر».

وعن حكم الاستخارة، يقول الشيخ أحمد سالم مدرس للفقه المالكي بنواكشوط «إنّ الاستخارة والفأل بالقرآن لا يكشفان عن الغيب، ولذلك لا نعلم لمَ كانت الاستخارة جيّدة أو سيّئة، ولا ندري ما يوصل إليه المستخير فقد تظهر المصلحة لاحقاً، وقد لا تظهر بالنسبة إلينا، فغاية الاستخارة أنّ نتيجتها في صالح المستخير، لكنّها لا تكشف له عن هذا الصالح ومتى يظهر».

ويضيف الشيخ أحمد سالم «الإنسان في غنى عن تضييع الوقت في متابعة الأمور التي لا تقدّم له في الحياة شيئاً يعتمد عليه، ونحن مسؤولون عن صرف أوقاتنا فيما فيه خير لنا في دُنيانا وأُخرانا باعتبار أن الدنيا مزرعة الآخرة، وما نزرعه هنا سنحصده هناك، إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشرّ».

والحقيقة أن الإنسان لم يعد معزولا عن أحداث الحياة ومجرياتها، لذلك لا غرابة أن تنبثق في داخله، بل تتفجر أسئلة كبرى عن ذاته وحياته وأقداره؛ وهذه الأسئلة الكبرى لم تعد تقتنع بالأجوبة السطحية، ولا بترهات الخرافة، لكنها مع ذلك بقيت وقد تبقى للأبد بدون أية أجوبة.